المستوى العلمي الأول

جمع وإعداد

طائفة من طلبة العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١]. **أما بعد،،،**

فهذه مادة «**الدورة العلمية الأولى**» لطلبة العلم المبتدئين، وقد آثرنا أن تكون متكاملة في تنوعها، يسيرة في منزعها، مجتمعة في فروعها، جارية في أمراعها، نبتغي بذلك عند الله وحده الأجر، وعلى نعمائه نبذل الحمد والشكر، وعلى لأواء مخالفة خلقه نسأله الثبات والصبر.

وقد قسمنا هذه المادة الكلية إلى ثماني وحدات، ذكرنا بالتفصيل ستا وتركنا اثنتين راجعتين إلى التواصل بين المعلم والتلميذ بطرائق معلومة وعلامات مرسومة، وهذه الوحدات المذكورة هنا سنضع عليها علامة (√):

١) القرآن الكريم (الحفظ المتقن المُجوَّد للثلث الأخير من القرآن الكريم).

٢) دراسة معاني مفردات هذا الثلث.

٣) العقيدة.

* (دراسة ثلث كتاب مائتي سؤال وجواب في العقيدة لحافظ بن أحمد حكمي).
* (دراسة كتاب تحقيق كلمة الإخلاص للحافظ ابن رجب الحنبلي).
* الحديث النبوي الشريف (حفظ خمسة عشر حديثا).

١) السيرة النبوية (الجمل في السيرة) حفظ ودراسة.

٢) الأصول العلمية: حفظ ودراسة.

٣) الرقاق: حفظ ودراسة.

٤) الأنشطة.

ملحوظة: يرجى من أبنائنا الطلبة الاهتمام بقيد العلم بالكتابة؛ لذا فإن وجود الكراريس المرتبة لكل مادة مع الأقلام المناسبة : ضرورة علمية.

والله نسأل التوفيق والرشاد والعون والسداد.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي الحبيب محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الوحدة الأولى: دراسة معاني مفردات القرآن الكريم

لماذا اختير هذا الجزء؟ لأن غالب سوره مكية، قصيرة، سهلة الحفظ، كثير من الناس يحفظونه، يؤمُّون به المصلين يدرسونه لأولادهم في المدارس ودور التحفيظ والحضانات والبيوت؛ فكان من المناسب أن نعرف معاني مفردات وكلمات هذا الجزء؛ تدينا لله وتقربا إليه؛ ليكون ذلك عونا لنا على فهمه وتدبره وتعليمه أولادنا والناس.

عدد سور هذا الجزء ٣٦ سورة.

المطلوب: قراء السورة -معرفة معانيها-تدبر هذه المعاني وعرض نفسك عليها-تدارس هذه المعاني مع زملائك-تدريس هذه المعاني لأولادك ولزوجك-تدريس هذه المعاني لتلاميذك بدور التحفيظ والحلقات والحضانات.

أنشطة: حاول بعد كل سورة أن تجيب عن هذه الأسئلة:

❋ ماذا تعلمت من هذه السورة؟

❋ كيف يمكن العمل بما تعلمت؟

❋ هل هذا العلم مؤثر في إيماني؟

❋ كيف أثَّر هذا العلم في حياتي؟

❋ هل يمكن تكرار آيات مما تعلمته مرات كثيرة؟

❋ يا ترى عندما كررت هذه الآيات حدث جديد في قلبي..في فهمي..في علاقتي بالله؟

❋ يا ترى هل تحب أن تموت على هذه الحالة الإيمانية؟

❋ هل يمكن استخلاص نصائح وفوائد ومعانٍ تعلمتها من هذه السورة وتعلمها غيرك؟

سورة النبأ

ملاحظات:

الملحوظة الأولى: ثبت مصحفا واحدا للدراسة والحفظ لا تغيره أبدا، ولو غيرته لضياع أو طارئ سفر أو نحوه: لا بد أن يكون البديل على الشكل والرسم نفسه.

الملحوظة الثانية: اجعل قراءتك تدويرا أو تجويدا، وقلل من الحدْر.

الملحوظة الثالثة: بعد الانتهاء من هذا الجزء القرآني بهذه الطريقة تُعاد قراءته ودراسته (على الأقل مرتان).

الملحوظة الرابعة: الدائرة يمين رأس السورة، يشير الرقم الأول إلى ترتيب السورة في جزء عم، ويشير الرقم الثاني إلى ترتيب السورة في القرآن.

[٧٨/١] سورة النبأ ـ مكية (آياتها ٤٠)

١	عَمَّ؟	عَنْ أي شَيْءٍ عَظيم الشَّأنِ؟
٢	عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيم	عن القرآنِ أو الْبَعْثِ
٤	كلَّا	رَدْعٌ وَزَجرٌ عَن الاختلاف فيه
٦	الأرْضَ مِهَاداً	فِرَاشاً مُوَطَّأً للاِسْتِقْرَارِ عَليها
٧	الْجِبَالَ أَوْتَاداً	كالأَوْتَادِ للأرْضِ لِئَلَّا تمِيدَ
٨	خَلَقْنَاكُمْ أزْوَاجاً	أَصْنَافاً ذُكوراً وَإِنَاثاً لِلتَّنَاسُل
٩	نَوْمَكُمْ سُبَاتاً	قَطْعاً لأَعْمَالِكمْ وَرَاحَةً لأَبْدَانِكُمْ
١٠	اللَّيْلَ لِبَاساً	سَاتِراً لكُمْ بِظلْمته كَاللِّبَاسِ
١١	النَّهَارَ مَعَاشاً	تُحَصِّلُونَ فيهِ مَا تَعِيشُونَ به

سورة النبأ

الآية	الكلمة	التفسير
١٢	سَبْعاً شِدَاداً	سَمٰوَاتٍ قَوِيَّاتٍ مُحْكَمَاتٍ
١٣	سِرَاجاً وَهَّاجاً	مِصْبَاحاً مُنِيراً وَقَّاداً (الشَّمْسَ)
١٤	المُعْصِرَاتِ	السَّحَائِبِ الَّتِي حانَ لَهَا أَنْ تُمْطِرَ
١٤	مَاءً ثَجَّاجاً	مُنْصَبًّا بِكَثْرَةٍ مَعَ التَّتَابُعِ
١٦	جَنَّاتٍ أَلْفَافاً	بَسَاتِينَ مُلْتَفَّةَ الأَشْجَارِ
١٨	فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً	أُمَماً أَوْ جمَاعاتٍ مُخْتَلِفَةَ الأحْوال
١٩	فَكَانَتْ أَبْوَاباً	صَارَتْ ذَاتَ أَبْوَابٍ وَطُرُقٍ
٢٠	فَكَانَتْ سَرَاباً	كَالسَّرَابِ الَّذِي لا حَقِيقَةَ لَهُ
٢١	كَانَتْ مِرْصَاداً	مَوْضِعَ تَرَصُّدٍ وَتَرَقُّبٍ لِلْكافرين
٢٢	لِلطَّاغِينَ مَآباً	مَرْجِعاً وَمَأْوَى لَهُمْ
٢٣	أَحْقَاباً	دُهُوراً مُتَتَابِعَةً لا نِهَايَة لَهَا
٢٤	بَرْداً	نَوْماً او رَوْحاً مِنْ حَرِّ النَّارِ
٢٥	حَمِيماً	مَاءً بالِغاً نهايَةَ الْحَرَارَةِ
٢٥	غَسَّاقاً	صَدِيداً يَسِيلُ مِنْ جلُودِهِمْ
٢٦	جَزَاءً وِفَاقاً	جَزَيْنَاهُمْ جزَاءً موافقاً لأعمالِهم
٢٨	كِذَّاباً	تَكْذِيباً شَدِيداً

الآية	الكلمة	التفسير
٢٩	أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً	حَفِظْنَاهُ وَضَبَطْنَاهُ مكتُوباً
٣١	مَفَازاً	فَوْزاً وَظَفراً بِكلِّ مَحْبُوبٍ
٣٣	كَوَاعِبَ	فَتَياتٍ نَاهِدَاتٍ (نِسَاءَ الجنَّةِ)
٣٣	أَتْرَاباً	مُسْتَوِيَاتٍ في السِّنِّ
٣٤	كَأْساً دِهَاقاً	مُتْرَعَةً مَلِيئَةً من خَمْرِ الْجَنَّةِ
٣٥	لَغواً	كَلَاماً غيْرَ مُعْتَدٍّ به. أَوْ قَبِيحاً
٣٥	كِذَّاباً	تَكْذِيباً
٣٦	عَطَاءً حِسَاباً	إِحْسَاناً كَافِياً أَو كَثِيراً
٣٧	خِطَاباً	إلَّا بِإِذْنِه
٣٨	الرُّوحُ	جِبرِيلُ عليه السَّلام
٣٩	مَآباً	مَرْجِعاً بالإِيمَانِ وَالطَّاعةِ
٤٠	كُنْتُ تُرَاباً	في هذا اليَوْم فَلا أُعذَّبُ

[٧٩/٢] سورة النازعات ـ مكية (آياتها ٤٦)

١	وَالنَّازِعَاتِ	(أُقْسِمُ) الله بالمَلَائِكَةِ تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ مِن أَقاصِي أَجْسَامِهِمْ
١	غَرْقاً	نَزْعاً شَدِيداً مُؤْلِماً بَالِغَ الغَايَة

سورة النازعات

الآية	الكلمة	التفسير
٢	وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً	المَلاَئِكَةِ تَسُلُّ أَرْوَاحِ المُؤْمِنِينَ بِرِفْقٍ
٣	وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً	المَلاَئِكَةِ تنزلُ مُسْرِعةً لِمَا أُمِرَتْ بِهِ
٤	فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً	الملائكةِ تَسْبِقُ بالأَرْوَاحِ إلى مُسْتَقَرِّها نَاراً او جنّةً
٥	فَالمدَبِّرَاتِ أَمْراً	المَلائكَةِ تنزِلُ بالتَّدْبيرِ المأمُور به
٦	يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ	لَتُبْعَثُنَّ (جوابُ القسم) يَوْمَ تَضْطَرِبُ الأَجْرَامُ بِالصَّيْحَةِ الهَائِلة (نفخةِ المَوْتِ)
٧	تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ	نَفْخَةُ الْبَعْثِ التي تَرْدُفُ الأولَى
٨	وَاجِفَةٌ	مُضْطَرِبَةٌ. أو خَائِفَةٌ وَجِلَةٌ
٩	أَبْصَارُها خَاشِعَةٌ	ذَلِيلَةٌ مُنْكَسِرَةٌ من الْفَزَعِ
١٠	في الْحَافِرَةِ	إلى الحَالةِ الأولَى (الْحياةِ)
١١	كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً	بَالِيَةً مُتَفَتِّتَةً
١٢	كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ	رَجْعَةٌ غَابِنَةٌ
١٣	زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ	صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ (نَفْخَةُ البَعْثِ)
١٤	هُمْ بِالسَّاهِرَةِ	هُمْ أَحْيَاءٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ

سورة النازعات

الآية	الكلمة	التفسير
١٦	طُوًى	اسْمُ الْوَادي المُقَدَّسِ
١٧	طَغَى	عَتَا وَتَجَبَّرَ وَكَفَرَ باللهِ تعالى
١٨	تَزَكَّى	تَطَهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ
٢٠	الآيَةَ الْكُبْرَى	معجزَةَ العصا واليدِ البيضاء
٢٢	يَسْعَى	يَجِدُّ في الإِفْسَادِ وَالمُعَارَضَةِ
٢٣	فَحَشَرَ	جَمَعَ السَّحَرَةَ. أوِ الجُنْدَ
٢٥	نَكَالَ . .	عُقُوبَةَ. أو بِعُقُوبَةِ. .
٢٨	رَفَعَ سَمْكَهَا	جَعَلَ ثِخَنَهَا مُرْتَفِعاً جِهَةَ العُلُوِّ
٢٨	فَسَوَّاهَا	فَجَعَلَهَا مُسْتَوِيَةَ الْخَلْقِ بِلا عَيْب
٢٩	أَغْطَشَ لَيْلَهَا	أَظْلَمَهُ
٢٩	أَخْرَجَ ضُحَاهَا	أَبرزَ نَهارَهَا المضِيءَ بِالشَّمْس
٣٠	دَحَاهَا	بَسَطَهَا وَأَوْسَعَهَا لِسُكْنَى أَهْلِهَا
٣١	مَرْعَاهَا	أَقْوَاتَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
٣٢	الْجِبَالَ أَرْسَاهَا	أَنبتَها في الأرْضِ ؛ كالأَوْتَادِ
٣٤	الطَّامَّةُ الْكُبْرَى	الدَّاهِيَةُ العُظْمَى (الْقِيَامَةُ)
٣٦	بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ	أُظْهِرَتْ إِظْهاراً بَيِّناً

الآية	الكلمة	التفسير
٣٩	هِيَ الْمَأْوَى	هِيَ الْمَرْجِعُ وَالْمُقَامُ لَهُ لا غيرُهَا
٤٢	أَيَّانَ مُرْسَاهَا؟	مَتَى يُقِيمُهَا اللهُ وَيُثْبِتُهَا؟

[٨٠/٣] سورة عبس ـ مكية (آياتها ٤٢)

١	عَبَسَ	قَطَّبَ وَجْهَهُ الشَّرِيفَ ﷺ
١	تَوَلَّى	أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الشَّرِيفِ ﷺ
٣	لَعَلَّهُ يَزَّكَّى	يَتَطَهَّرُ بِتَعْلِيمِكَ مِنْ دَنَسِ الْجَهْلِ
٤	يَذَّكَّرُ	يَتَّعِظُ
٦	لَهُ تَصَدَّى	تَتَعَرَّضُ لَهُ بِالإِقْبَالِ عليهِ
٨	جَاءَكَ يَسْعَى	وَصَلَ إِلَيْكَ مُسْرِعاً لِيَتَعَلَّمَ
١٠	عَنْهُ تَلَهَّى	تَتَلَهَّى ـ تَتَشَاغَلُ وَتُعْرِضُ
١١	كَلَّا	حَقًّا أو إرشادٌ، بليغٌ لِتَرْكِ الْمُعَاوَدَةِ
١١	إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ	إِنَّ آيَاتِ الْقُرآنِ مَوْعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ
١٣	فِي صُحُفٍ	منتسخَةٍ من اللوحِ المحفوظِ
١٤	مَرْفُوعَةٍ	رَفِيعَةِ الْقَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ عنده تعالى
١٥	بِأَيْدِي سَفَرَةٍ	ملائكةٍ ينسخونها من اللوحِ المحفوظِ
١٦	بَرَرَةٍ	مُطِيعِينَ لهُ تعالى أو صَادِقِين

سورة عبس

الآية	الكلمة	التفسير
١٧	قُتِلَ الإنْسَانُ	لُعِنَ الْكافِرُ. او عُذِّب
١٩	فَقَدَّرَه	أطواراً أو هيْأَهُ لِما يَصْلُحُ له
٢٠	السبيلَ يَسَّرَهُ	سَهَّلَ له طَرِيقَي الهُدَى وَالضَّلالِ
٢١	فأَقْبَرَهُ	أَمَرَ بِدَفْنِهِ في قَبْرٍ تكْرِمَةً لَهُ
٢٢	أَنْشَرَهُ	أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْته
٢٣	لمّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ	لَمْ يَفْعَلْ ما أَمَرَهُ الله بِهِ بَلْ قَصَّرَ
٢٦	شَقَقْنَا الأَرْضَ	بِالنَّباتِ أو بالْحَرثِ
٢٨	قَضْباً	عَلفاً رَطْباً لِلدَّوَابِّ كَالْبَرْسِيم
٣٠	حَدَائِقَ غُلْباً	بَسَاتِينَ عِظَاماً مُتكاثفَة الأشجار
٣١	أَبّا	كَلأً وَعُشْباً. او هُوَ التِّبْنُ خاصَّةً
٣٣	جَاءَتِ الصَّاخَّةُ	الصَّيْحَةُ تُصِمُّ الآذَانَ لِشِدَّتِهَا (النَّفخةُ الثَّانيةُ)
٣٨	مُسْفِرَةٌ	مُشْرِقَةٌ مُضِيئَةٌ (وجوهُ المؤمنينَ)
٤٠	غَبَرَةٌ	غبارٌ وَكُدُورَةٌ (وجوهُ الكافرينَ)
٤١	تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ	تَغْشَاهَا ظُلْمَةٌ وَسَوَادٌ

سورة التكوير

الآية	الكلمة	التفسير
		[٨١/٤] سورة التكوير ـ مكية (آياتها ٢٩)
١	الشَّمْسُ كُوِّرَتْ	أزيلَ ضِيَاؤُهَا أو لُفَّتْ وَطُوِيَتْ
٢	النُّجُومُ انْكَدَرَتْ	تَسَاقَطَتْ وَتهَاوَتْ
٣	الْجِبَالُ سُيِّرَتْ	أُزِيلَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا
٤	الْعِشَارُ عُطِّلَتْ	النُّوقُ الْحَوَامِلُ أُهْمِلَتْ بِلَا رَاعٍ
٥	الْوُحُوشُ حُشِرَتْ	جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
٦	الْبِحَارُ سُجِّرَتْ	أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَاراً تَضْطَرِمِ
٧	النُّفُوسُ زُوِّجَتْ	قُرِنَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِشَكْلِهَا
٨	الْمَوْءُودَةُ	الْبِنْتُ الَّتِي تُدْفَنُ حَيَّةً
١٠	الصُّحُفُ نُشِرَتْ	صحفُ الأعمال فُرِّقَتْ بينَ أصحابها
١١	السَّمَاءُ كُشِطَتْ	قُلِعَتْ كما يُقْلَعُ السَّقْفُ
١٢	الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ	أُوقِدَت وأُضْرِمتْ للكُفَّارِ
١٣	الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ	قُرِّبَتْ وَأُدْنِيَتْ مِنَ الْمُتَّقِينَ
١٤	عَلِمَتْ نَفْسٌ	مَا عَمِلَتْ من خَيْرٍ أو شَرٍّ
	مَا أَحْضَرَتْ	(جواب إِذَا)
١٥	فَلَا أُقْسِمُ	(أُقْسِمُ) و «لا» مزيدةٌ

الآية	الكلمة	التفسير
١٥	بالْخُنَّسِ	بالكَواكِبِ السَّيَّارَةِ تَخْنُسُ نَهَاراً وَتَخْتفي عن البصر وَهِي فَوْق
١٦	الْجَوَارِ الْكُنَّسِ	الأفق، وَتَظْهَرُ لَيْلاً ثم تكنِسُ وَتَسْتَتِرُ في مَغِيبها تحتَ الأفقِ
١٧	وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ	أَقْبَلَ ظَلَامُهُ، أو أَدْبَرَ
١٨	وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ	أَقْبَلَ او أَضَاءَ وَتَبَلَّجَ
١٩	إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ	جبريل عن الله (جَوَابُ الْقَسَمِ)
٢٠	مَكِينٍ	ذِي مكانةٍ رَفِيعةٍ وَشرفٍ
٢٣	رَآهُ	رأى الرسولُ جبريلَ بِصُورتِه الخِلْقِيَّةِ
٢٤	الغَيْبِ	الْوَحْي وَخَبَرِ السَّمَاءِ
٢٤	بِضَنِينٍ	بِبَخِيلٍ فَيُقَصِّرُ في تَبْلِيغِهِ

[٨٢/٥] سورة الانفطار ـ مكية (آياتها ١٩)

١	السَّماءُ انْفطَرَتْ	انشَقَّتْ عِندَ قِيَامِ السَّاعَةِ
٢	الكَوَاكِبُ انتَثَرتْ	تَسَاقَطتْ مُتَفَرِّقَةً
٣	الْبِحَارُ فُجِّرَتْ	شُقِّقَتْ جَوَانبهَا فصَارَتْ بحراً واحداً
٤	الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ	قُلِبَ تُرَابُهَا، وَأُخْرِجَ مَوتَاهَا

الآية	الكلمة	التفسير
٦	مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ؟	مَاخدَعَكَ وَجرَّأَكَ عَلَى عِصيانِه؟
٧	فَسَوَّاكَ	جَعَلَ أَعْضَاءَكَ سَوِيَّة سَلِيمَةً
٧	فَعَدَلَكَ	جَعَلَكَ معتدلاً متناسبَ الْخَلْق
٩	تُكَذِّبُونَ بِالدِّين	بالبعث أو الْجزاءِ أو بالإسلام
١٣	الأبرَارَ	الذين بَرُّوا وَصَدَقُوا في إيمانهِم
١٥	يَصْلَوْنَهَا	يَدْخُلُونَهَا، أَوْ يُقَاسُونَ حَرَّهَا

[٨٣/٦] سورة المطففين ـ مكية (آياتها ٣٦)

الآية	الكلمة	التفسير
١	وَيْلٌ	عَذَابٌ أَوْ هَلَاكٌ أَوْ وَادٍ في جَهَنَّم
١	لِلْمُطَفِّفِينَ	المُنقِّصِينَ في الكَيْلِ أو الْوَزْنِ
٢	اكْتَالُوا	اشْتَرَوْا بالكَيْل، وَمثلُه الْوَزْنُ
٣	كَالُوهُمْ	أَعْطَوْا غيرَهم بالوَزْنِ
٣	وَزَنُوهُمْ	أَعْطَوْا غيرَهم بالوَزْنِ
٣	يُخْسِرُونَ	يَنْقُصُونَ الْكَيْلَ وَالوَزْنَ
٦	لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	لأمرِه وحُكْمِهِ
٧	كِتَابَ الْفُجَّارِ	مَا يُكْتَبُ من أعمالهم
٧	لَفِي سِجِّينٍ	لَمُثْبَتٌ في ديوانِ الشَّرِّ

سورة المطففين

الآية	الكلمة	التفسير
٩	كِتَابٌ مَرْقُومٌ	بَيِّنُ الْكِتَابَةِ او مُعَلَّمٌ بِعَلَامَةٍ
١٢	مُعْتَدٍ	فَاجِرٍ مُتَجَاوِزٍ عن نَهْجِ الحَقِّ
١٣	أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ	أَبَاطِيلُهُمْ المُسَطَّرَةُ في كُتُبهم
١٤	كَلَّا	رَدْعٌ وَزَجْرٌ عن قولِهم الباطلِ
١٤	رَانَ عَلَى قُلوبِهِمْ	غَلَبَ وَغَطَّى عليها أو طبعَ عليها
١٦	لَصَالُوا الْجَحِيمِ	لَدَاخِلُوهَا أَوْ لمقَاسُوا حَرَّهَا
١٨	كِتَابَ الأَبْرَارِ	مَا يُكْتَبُ من أعمالهم
١٨	لَفِي عِلِّيِّينَ	لَمُثْبَتٌ في ديوانِ الخير
٢٣	الأَرَائِكِ	الأسِرَّةِ في الحِجَال(١)
٢٤	نَضْرةَ النَّعِيمِ	بهجتَه وَرَوْنَقَه وَبَهَاءَهُ
٢٥	رَحِيقٍ	أَجْوَدِ الْخَمْرِ وَأَصْفَاهُ
٢٥	مَخْتُومٍ	إِنَاؤهُ حتى يَفُكَّهُ الأبرارُ
٢٦	خِتَامُهُ مِسْكٌ	ختَامُ إِنَائِه المِسْكُ بَدَلَ الطِّين
٢٦	فَلْيَتَنَافَسِ	فَلْيَتَسَارَعْ. أَوْ فَلْيَسْتَبِقِ
٢٧	مِزَاجُهُ	مَا يُمْزَجُ بِهِ وَيُخْلَطُ

(١) جمع حجلة محركة ـ بيت يزين بالقباب والأسرة والستور.

الآية	الكلمة	التفسير
٢٧	تَسْنِيمٍ	عَيْنٍ عَالِيَةٍ شَرَابُهَا أشرفُ شَرَابٍ
٢٨	يَشْرَبُ بِهَا	يَشْرَبُ منها
٣٠	يَتَغَامَزُونَ	يُشِيرُونَ إليهم بالأعْيِنِ استهزاءً
٣١	فَكِهِينَ	مُتَلَذِّذِينَ باسْتِخْفَافهم بالمؤمنينَ
٣٦	ثُوِّبَ الْكُفَّارُ	جُوزُوا بِسُخْرِيتهم بالمؤمنين

[٧/ ٨٤] سورة الانشقاق ـ مكية (آياتها ٢٥)

الآية	الكلمة	التفسير
١	السَّماءُ انْشَقَّتْ	انْصَدَعَتْ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَة
٢	أذِنَتْ لِرَبِّهَا	اسْتَمَعَتْ وَانْقَادَتْ له تعالى
٢	حُقَّتْ	حَقَّ اللهُ عَليها الاستماع وَالانْقِيادَ
٣	الأَرْضُ مُدَّتْ	بُسِطَتْ وَسُوِّيَتْ كَمَدِّ الأَدِيم
٤	أَلْقَتْ مَا فيهَا	لَفَظَتْ مَا في جَوْفِها مِنَ المَوْتى
٤	تَخَلَّتْ	خَلَتْ عَنْهُ غايةَ الخُلُوِّ
٦	كادحٌ إلى رَبِّكَ	جاهِدٌ في عَمِلكَ إلى لِقَاءِ رَبِّكَ
٦	فَمُلاَقِيهِ	فَمُلاَقٍ لا مَحَالةَ جزَاءَ عَملك
١١	يَدْعُو ثُبُوراً	يُنَادِي هَلاَكاً قائلاً يَا ثُبُورَاهُ
١٢	يَصْلَى سَعِيراً	يَدْخُلُهَا أوْ يُقَاسِي حَرَّهَا

الآية	الكلمة	التفسير
١٤	لَنْ يَحُورَ	لَنْ يَرْجِعَ الى رَبِّهِ تَكْذِيباً بالْبَعث
١٦	فَلَا أُقْسِمُ	أُقسِمُ و «لا» مزيدةٌ
١٦	بِالشَّفَقِ	بالْحُمرَةِ في الأُفقِ بعد الغروبِ
١٧	مَا وَسَقَ	مَا ضَمَّ وَجَمَعَ مَا انتشر بالنهار
١٨	اتَّسَقَ	اجْتَمَع وَتَكامَلَ وَتمّ نُورُهُ
١٩	لَتَرْكَبُنَّ	لتُلَاقُنَّ أيُّهَا النَّاسُ (جوابُ القَسم)
١٩	طَبَقاً	أحْوالاً بَعْدَ أحْوال مُتطَابِقة في الشدَّة
٢٣	يُوعُونَ	يُضْمِرُونَهُ أوْ يجمعُونَهُ من السيِّئات
٢٥	غَيْرُ مَمْنُونٍ	غَيْرُ مَقطوعٍ عنهمْ

[٨٥/٨] سورة البروج ـ مكية (آياتها ٢٢)

١	وَالسَّمَاءِ	(أُقسِمَ) اللهُ بهَا وَبِمَا بعدَها
١	ذَاتِ الْبُرُوجِ	ذَاتِ المَنَازِلِ المَعْرُوفةِ للْكَوَاكِب
٢	اليَوْمِ المَوْعُودِ	يَوْمِ الْقِيَامَةِ
٣	شَاهِدٍ	مَنْ يَشْهَدُ عَلَى غيْرِهِ فيه
٣	مَشْهُودٍ	مَنْ يَشْهَدُ عليْهِ غيْرُهُ فيه
٤	قُتِلَ	لَقَدْ لُعِنَ أَشَدَّ اللّعْنِ (جوابُ القَسم)

سورة الطارق

الآية	الكلمة	التفسير
٤	الأخدُودِ	الشّقّ العَظيم، كالْخَنْدَق
٨	مَا نَقَمُوا	مَا كَرِهُوا وَما عابُوا وَما أنكَرُوا
١٠	فَتَنُوا	عَذّبُوا أوْ أحْرَقُوا
١٢	بَطْشَ رَبِّكَ	أخْذَهُ الجبَابرةَ وَالظّلَمَة بالْعَذاب
١٣	هُوَ يُبْدِيءُ	يَخْلقُ ابْتِدَاءً بِقُدْرَتِه
١٣	يُعِيدُ	يَبْعَثُ المَوْتى يوْمَ الْقِيامَةَ بِقُدْرَتِه
١٤	الوَدُودُ	المُتَوَدِّدُ إلى أوْليائه بالْكَرامَة
١٥	المَجِيدُ	العَظيمُ الْجليلُ المتَعَالِي

[٨٦/٩] سورة الطارق ـ مكية (آياتها ١٧)

الآية	الكلمة	التفسير
١	وَالطّارِقِ	(قسمٌ) بالنّجمِ الثّاقِبِ يطْلُعُ لَيْلاً
٣	النّجْمُ الثّاقِبُ	المُضيءُ المُتَوَهِّجُ أو المُرْتفع العَالي
٤	إنْ كلُّ نَفْسٍ	ما كلُّ نفْسٍ (جوابُ القَسم)
٤	لَمّا عَلَيْهَا	إلاّ عَلَيْهَا
٤	حَافِظٌ	مُهَيْمِنٌ وَرَقيبٌ وَهُوَ اللهُ تعالى
٦	مَاءٍ	مُمْتزِجٍ مِنْ مَائِي الرَّجُل وَالمرْأةِ
٦	دَافِقٍ	مَصْبُوبٍ بِدَفْعٍ وَسُرْعَةٍ في الرَّحِم

الآية	الكلمة	التفسير
٧	مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ	ظَهرِ كلٍّ من الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ
٧	وَالتَّرَائِبِ	عِظَامِ الصَّدْرِ أوِ الأطْرَافِ مِن كلٍّ منهما، أو يخرُجُ مِن كلِّ البَدَنِ منهما، وَالصُّلْبُ وَالتَّرائِبُ كِنَايَةٌ عنهُ
٨	رَجْعِهِ	إعَادةِ الإنْسَانِ بَعْدَ فَنَائِهِ
٩	تُبْلَى السَّرَائِرُ	تُكْشَفُ مَكْنُونَاتُ القُلُوب
١١	ذَاتِ الرَّجْعِ	المطرِ لرُجوعِه إلى الأرْضِ مِراراً
١٢	ذَاتِ الصَّدْعِ	النَّبَاتِ الَّذي تَنْشَقُّ عَنْهُ
١٣	لَقَوْلٌ فَصْلٌ	فَاصِلٌ بيْنَ الحقِّ وَالبَاطِل
١٦	أَكِيدُ كَيْداً	أُجَازِيهِمْ عَلَى فِعْلِهِم بالاسْتِدراج
١٧	فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ	فَلا تَسْتَعْجِلْ بالانْتِقام مِنهمْ
١٧	أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً	إمْهَالاً قَرِيباً، أَوْ قَليلاً حتى يَأْتِيَهُم العَذَابُ

[٨٧/١٠] سورة الأعلى ـ مكية (آياتها ١٩)

١	سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ	نزِّهْهُ وَمَجِّدْهُ تعَالى عمَّا لا يَلِيقُ بِهِ
٢	خَلَقَ	أوجدَ كلَّ شيءٍ بقُدْرَتِه
٢	فَسَوَّى	بين خَلْقِه في الإِحْكام وَالإِتْقان

الآية	الكلمة	التفسير
٣	قَدَّرَ	جعلَ الأشياءَ عَلى مقادير مخصوصةٍ
٣	فَهَدَى	فوَجَّه كلَّ وَاحِدٍ منها إلى ما ينبغي له
٤	أَخْرَجَ الْمَرْعَى	أنبتَ العُشْبَ رَطباً غَضًّا
٥	فَجَعَلَهُ غُثَاءً	يَابساً هَشِيماً مِن بَعْدُ كَالْغُثَاء(١)
٥	أَحْوَى	أَسْوَدَ أو أَسْمَرَ بعد الخُضْرَةِ
٦	سَنُقْرِؤُكَ	مَا نُوحِي إليك بِواسطَة جِبريل عليهِ السَّلام
٦	فَلَا تَنْسَى	أبداً من قوةِ الحفظِ وَالإتقانِ
٨	نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى	نُوَفِّقُك لِلطريقة اليُسْرَى في كلِّ أمْرٍ
١٢	يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى	يَدْخلُ جهنَّمَ أَوْ يُقَاسِي حَرَّهَا
١٤	أَفْلَحَ	فَازَ بالْبُغْيَةِ
١٤	تَزَكَّى	تَطهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَالمَعَاصِي
١٨	إِنَّ هٰذا	المذكورَ (الآياتِ الأربع السابقَة)

[٨٨/١١] سورة الغاشية - مكية (آياتها ٢٦)

١	الْغَاشِيَةِ	الْقِيَامَةِ تَغْشَى النَّاسَ بِأَهْوَالِها

(١) هو ما يحمله السيل من البالي من ورق الشجر مخالطاً زبده.

سورة الغاشية

الآية	الكلمة	التفسير
٢	خَاشِعَةٌ	ذَلِيلَةٌ خاضِعَةٌ مِنَ الْخِزْيِ
٣	عَامِلَةٌ	تجُرُّ السَّلاَسِلَ وَالأَغْلاَلَ في النَّارِ
٣	نَاصِبَةٌ	تَعِبَةٌ مِمَّا تُلاقيه فيهَا مِنَ الْعَذاب
٤	تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً	تَدْخُلُ أَوْ تُقاسي نَاراً تَناهى حَرُّها
٥	عَيْنٍ آنِيَةٍ	بَلَغَتْ أَنَاهَا (غايتَها) في الحَرَارةِ
٦	ضَرِيعٍ	شيءٍ في النَّارِ، كَالشَّوْكِ مُرٌّ مُنْتِنٍ
٧	لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ	لَا يَدْفَعُ عنهم جُوعاً
٨	نَاعِمَةٌ	ذَات بَهْجَةٍ وَحُسْنٍ وَنَضَارَةٍ
١١	لَاغِيَةً	لَغْواً وَبَاطِلاً
١٣	سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ	مُرْتَفِعَةُ السَّمك أو رفِيعَةُ القَدْر
١٤	أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ	أَقْدَاحٌ بَينَ أَيْدِيهِمْ لِلشُّرْب مِنهَا
١٥	نَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ	وَسَائِدُ وَمَرَافِقُ يُتَّكَأُ عَلَيْهَا مَوْضُوعٌ بَعضُهَا إلى جَنْب بَعْضٍ
١٦	زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ	بُسُطٌ فاخِرَةٌ مُفَرَّقَةٌ في المجَالس
١٧	يَنْظُرُونَ	يَتأَمَّلون فيُذْكِرُونَ
٢٢	بِمُسَيْطِرٍ	بِمُتَسَلِّطٍ جَبَّارٍ

الآية	الكلمة	التفسير
٢٥	إِيَابَهُمْ	رُجُوعَهُمْ بَعْدَ المَوْتِ بِالْبَعْثِ

[٨٩/١٢] سورة الفجر - مكية (آياتها ٣٠)

الآية	الكلمة	التفسير
١	وَالْفَجْرِ	(أَقْسَمَ تَعَالى) بِالْوَقْتِ المَعْرُوفِ
٢	وَلَيَالٍ عَشْرٍ	العَشْرِ الأُوَلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
٣	وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ	يَوْمِ النَّحْرِ، وَيَوْمِ عَرَفَةِ
٤	وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ	إِذَا يَمْضِي وَيَذْهَبُ أَو يُسَارُ فيه
٥	هَلْ فِي ذَٰلِكَ	المَذْكُورِ الَّذِي أَقْسَمْنَا بِهِ
٥	قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ؟	مُقْسَمٌ بِهِ حَقِيقٌ بِالتَّعْظِيمِ لدَى العُقَلاءِ - نعم - (وَجوابُ القَسم) لنعذِّبَنَّ الْكَافرين
٦	بِعَادٍ	قَوْمِ هُودٍ؛ سُمُّوا بِاسْمِ أَبِيهِم
٧	إِرَمَ	هُوَ اسمُ جَدِّهِمْ وَبِهِ سُمِّيَتِ الْقَبِيلَة
٧	ذَاتِ الْعِمَادِ	الشِّدَّةِ أَوْ الأبنيةِ الرفيعةِ المحكمةِ بالْعَمد
٩	جَابُوا الصَّخْرَ	قَطَعُوهُ وَنَحَتُوا فِيهِ بُيُوتَهُمْ
١٠	ذِي الأَوْتَادِ	الْجُيُوشِ الكثيرةِ الَّتِي تَشُدُّ مُلْكَه
١٣	سَوْطَ عَذَابٍ	عَذَاباً شَدِيداً مُؤْلِماً دَائِماً
١٤	إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ	يَرْقُبُ أَعْمَالَهُمْ وَيُجَازِيهِمْ عَلَيهَا

الآية	الكلمة	التفسير
١٥	ابْتَلاهُ رَبُّهُ	امْتَحَنَهُ وَاخْتَبَرَهُ بِالنعَم أوِ النِّقَم
١٦	فَقَدَرَ عليْه رِزْقَهُ	فَضيَّقَهُ عَليْه وَلَمْ يَبْسُطْه لَه
١٧	كَلا	رَدْعٌ للإنْسَانِ عَمَّا قالهُ في الْحالَيْن
١٧	بَلْ	لكُمْ أعمَالٌ أَسْوَأُ مِن ذلك
١٨	لَا تَحَاضُونَ	لَا يَحُثُّ بَعْضُكُمْ بَعضاً
١٩	تَأكلُونَ التُّرَاثَ	مِيراثَ النِّساءِ وَالصِّغارِ
١٩	أَكْلاً لَمّاً	جَمْعاً بيْنَ الْحَلالِ وَالحرَامِ
٢٠	حُبّاً جَمّاً	كَثِيراً، مَعَ حِرْصٍ وَشَرَهٍ
٢١	دُكَّتِ الأَرْضُ	دُقَّتْ وَكُسِرَتْ بِالزَّلازِلِ
٢١	دَكّاً دَكّاً	دَكّاً مُتَتَابِعاً حَتّى صارَتْ هَبَاءً
٢٢	وَالمَلَكُ	ملائكةُ كلِّ سَماءٍ
٢٣	أَنَّى لَهُ الذِّكْرَى	مِنْ أَيْنَ لهُ مَنْفَعَتُهَا؟ هَيْهَاتَ
٢٦	لَا يُوثِقُ	لَا يَشُدُّ بالسَّلاسِلَ وَالأغلال

[٩٠/١٣] سورة البلد ـ مكية (آياتها ٢٠)

١	لَا أُقْسِمُ	(أُقْسِمُ) و «لا» مَزيدَة
١	بهذَا الْبَلَدِ	بِمَكَّةَ المكرَّمَةِ

سورة البلد

الآية	الكلمة	التفسير
٢	حِلٌّ بهذَا الْبَلَدِ	حَلالٌ لَكَ مَا تَصْنَعُ به يومَئِذٍ
٣	وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ	آدمَ وَجميعِ ذرِّيتِه أو الصالحين منهم
٤	لَقَدْ خَلقْنَا الإِنْسَانَ	(جوابُ القسم)
٤	كَبَدٍ	نَصَبٍ وَمَشَقَّةٍ وَمُكَابَدَةٍ للشَّدَائد
٦	أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً	كَثِيراً في المكْرُمَاتِ مباهاةً وَتَعَاظُماً
١٠	هَدَيْنَاهُ النَّجدَيْنِ	بَيَّنَّا له طَرِيقَي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
١١	فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَة	فَهَلاَّ جَاهَدَ نَفْسَهُ في أعمَالِ البِرِّ
١٣	فَكُّ رَقَبَةٍ	تخليصُهَا من الرِّقِّ وَالعُبُودِيَّةِ
١٤	ذِي مَسْغَبَةٍ	مَجَاعَةٍ
١٥	يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ	قَرَابَةٍ في النَّسَبِ
١٦	مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَة	فَاقَةٍ شَدِيدةٍ لَصِقَ منها بالتُّرَاب
١٧	بالمَرْحَمَةِ	بالرحمةِ فيما بينهم
١٨	أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ	اليُمْنِ. أو ناحيةِ اليَمين
١٩	أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ	الشُّؤم . أو ناحيةِ الشمالِ
٢٠	نَارٌ مُؤْصَدَةٌ	مُطبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ أَبْوَابُهَا

الآية	الكلمة	التفسير
	[٩١/١٤] سورة الشمس ـ مكية (آياتها ١٥)	
١	وَالشَّمْسِ	(قسمٌ بها وبما بعدَها)
١	ضُحَاهَا	ضَوْئِهَا إذَا أَشْرَقَتْ
٢	تَلاهَا	تَبِعَهَا في الإِضَاءَةِ بَعْدَ غُرُوبِهَا
٣	جَلَّاهَا	أَظْهَرَ الشَّمْسَ للرَّائين
٤	يَغْشَاهَا	يُغَطِّيها حين تَغِيبُ فَتُظْلِمُ الآفاقُ
٥	وَمَا بَنَاهَا	وَالذي خلقها وهو الله تعالى
٦	وَمَا طَحَاهَا	وَالذي بَسَطَهَا وَوَطَّأَهَا
٧	وَمَا سَوَّاهَا	وَالذي عَدَّلَ أَعضاءَهَا وَمَنَحها قُوَاهَا
٨	فُجُورَها وَتَقْوَاهَا	مَعْصِيَتَهَا وطاعتَها وَخَيْرَهَا وَشَرَّهَا
٩	قَدْ أَفْلَحَ	فَازَ بِالبغية وَظَفِرَ (جوابُ القسم)
٩	مَنْ زَكَّاهَا	طَهَّرَها وَأَنْمَاهَا بالتَّقْوَى
١٠	قَدْ خَابَ	خسِرَ
١٠	مَنْ دَسَّاهَا	نَقَّصَهَا وأَخفَاهَا وَأَخْمَلَهَا بالفُجُور
١١	بِطَغْوَاهَا	بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا وَعُدْوَانِهَا
١٢	انْبَعَثَ أَشْقَاهَا	قَامَ مُسْرِعاً يَعْقِرُ النَّاقَةَ

الآية	الكلمة	التفسير
١٣	نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا	احْذَرُوا عقْرَهَا وَنَصِيبَهَا مِن الماءِ
١٤	فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ	أَهْلَكَهُمْ وَأَطْبَقَ العَذابَ عليْهِمْ
١٤	فَسَوَّاهَا	فَجعَلَ الدَّمْدَمَةَ عليهم سواءً
١٥	عُقْبَاهَا	عَاقِبَةَ هذهِ العُقُوبَةِ

[٩٢/١٥] سورة الليل ـ مكية (آياتها ٢١)

الآية	الكلمة	التفسير
١	وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى	يُغطّي الأشْيَاءَ بِظُلْمَتِهِ (قسَم)
٢	وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى	ظهَرَ بِضَوْئِهِ وَوَضَحَ
٤	إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى	إنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ في الْجَزاء (جواب القسم)
٦	صَدَّقَ بِالْحُسْنَى	بِالمِلَّةِ الْحُسْنَى وَهِيَ الإِسْلامُ
٧	فَسَنُيَسِّرُهُ	فَسَنُوَفِّقُهُ وَنُهَيِّئُهُ
١٠	لِلْيُسْرَى	لِلْخَصْلَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إلى الْيُسْر وَالرَّاحة
١٠	لِلْعُسْرَى	لِلْخَصْلَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إلى الْعُسْر وَالشِّدَّةِ
١١	مَا يُغْنِي	مَا يَدْفَعُ العذابَ عنْهُ
١١	تَرَدَّى	هَلَكَ، أوْ سَقَطَ في النَّارِ
١٢	إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى	الدَّلَالَةَ عَلَى الحقِّ أو بيانَ طريقِهِ

الآية	الكلمة	التفسير
١٤	ناراً تَلَظَّى	تَتَلَهَّبُ وَتَتَوَقَّدُ
١٥	لَا يَصْلَاهَا	لا يَدْخُلُهَا أَوْ لَا يُقَاسِي حَرَّها
١٧	سَيُجَنَّبُهَا	سَيُبْعَدُ عَنهَا
١٧	يَتَزكى	يَطَهَّرُ بهِ مِنَ الذُّنُوبِ
١٩	تُجزَى	تُكافَأُ، نزلت في الصِّديقِ رضي الله عنه

[٩٣/١٦] سورة الضحى - مكية (آياتها ١١)

١	وَالضُّحَى	(أُقْسِمُ) بِوَقْتِ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ
٢	سَجَى	سَكَنَ أوِ اشْتَدَّ ظَلَامُهُ
٣	مَا وَدَّعَـك رَبُّكَ	مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اخْتَارَكَ (جواب القَسم)
٣	مَا قَلَى	مَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ
٦	أَلَمْ يَجِدْكَ..	أَلَمْ يَعْلَمْك رَبُّكَ - قَدْ عَلِمَكَ..
٦	يَتِيماً	طِفْلاً مَاتَ أبوك وأنت جنينٌ
٦	فَآوَى	فَضَمَّكَ إلى مَنْ يكفلك وَيَرْعَاكَ
٧	ضَالّاً	غَافِلاً عَنْ أحكام الشَّرائع
٧	فَهَدَى	فَهَدَاكَ إِلَى مناهِجها بما أوحَى إليك
٨	عَائِلاً	فَقِيراً عَدِيماً

الآية	الكلمة	التفسير
٨	فَأَغْنَى	فرضَّاكَ بما أعطاكَ وَمَنَحكَ
٩	فَلَا تَقْهَرْ	فَلا تَغْلِبْهُ عَلَى مَالِهِ وَلا تَسْتَذِلّه
١٠	فَلَا تَنْهَرْ	فَلَا تَزْجُرْهُ، وَارْفُقْ بِهِ

[١٧/ ٩٤] سورة الشرح ـ مكية (آياتها ٨)

١	أَلَمْ نَشْرَحْ	أَلم نُفسحْ بالحكمة والنبوة ـ قد أَفْسَحْنَا
٢	وَضَعْنَا عَنْكَ	خَفَّفْنَا عَنْكَ وَسَهَّلْنَا عَلَيْكَ
٢	وِزْرَكَ	حِمْلَكَ «أَعْبَاءَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ»
٣	الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ	أَثْقَلَهُ حتّى سُمِعَ له نقِيضٌ «صَوْتٌ»
٧	فَإِذَا فَرَغْتَ	مِنْ عِبَادَةٍ أَدَّيتها
٧	فَانْصَبْ	فَاجْتهِدْ وَأَتْبِعْهَا بِعِبَادَةٍ أُخْرَى
٨	فَارْغَبْ	فاجْعَلْ رَغْبَتَكَ في جميع شُؤُونِك

[١٨/ ٩٥] سورة التين ـ مكية (آياتها ٨)

١	وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ	(قسمٌ) بمنْبَتَيْهِمَا مِنَ الأَرْضِ المبَارَكَة
٢	وَطُورِ سِينِينَ	جَبَلِ المُنَاجَاةِ لِلْكليم عليه السلام
٣	الْبَلَدِ الأَمِينِ	مَكَّةَ المكَرَّمَةِ

سورة العلق

الآية	الكلمة	التفسير
٤	لَقَدْ خَلَقْنَا	(جواب القَسَمِ) بالأربعةِ قبلَهُ
٤	أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	أَكْمَلِ تَعْدِيلٍ وَأَحْسَنِ صُورَةٍ
٥	رَدَدْنَاهُ	رَدَدْنَا الْكافِرَ أَوْ جِنْسَ الإنسان
٥	أَسْفَلَ سَافِلِينَ	إلى النارِ أو الهرَم وَأَرْذَلِ الْعُمُر
٦	غَيْرُ مَمْنُونٍ	غَيْرُ مَقْطُوعٍ عَنهُمْ
٧	بِالدِّينِ	بالْجَزاءِ بعدَ البَعْثِ وَالحسابِ

[٩٦/١٩] سورة العلق ـ مكية (آياتها ١٩)

الآية	الكلمة	التفسير
٢	عَلَقٍ	دَمٍ جَامِدٍ استَحالَ إليه المنيُّ
٤	عَلَّمَ	عَلَّمَ الإنسانَ الكتابةَ بالقلَمِ
٦	كَلَّا	حَقًّا
٦	لَيَطْغَى	لَيَجاوِزُ الْحَدَّ في الْعِصْيانِ
٨	الرُّجْعَى	الرُّجُوعَ في الآخِرَةِ لِلْجَزاءِ
٩	أَرَأَيْتَ	أَخْبِرْنِي
١٥	لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ	لَنَسْحَبَنَّهُ بناصِيَتِهِ إلى النار
١٧	فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ	أَهْلَ مَجْلِسِه من قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِه
١٨	سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ	مَلائِكَةَ الْعَذَابِ لجَرِّهِ إلى النارِ

الآية	الكلمة	التفسير
		[٩٧/٢٠] سورة القدر ـ مكية (اياتها ٥)
١	أَنْزَلْنَاهُ	ابْتَدَأْنَا إنزال القرآنِ العَظيم
١	لَيْلَةِ الْقَدْرِ	لَيْلةِ الشَّرَفِ وَالعَظَمة
٤	الرُّوحُ	جِبْرِيلُ عليه السلامُ
٤	مِنْ كُلِّ أَمْرٍ	بكلِّ أمرٍ من الخير والبركةِ
٥	سَلَامٌ هِيَ	على أولياءِ اللهِ وأهلِ طاعتهِ
		[٩٨/٢١] سورة البينة ـ مدنية (آياتها ٨)
١	مُنْفَكِّينَ	مُزَايِلِينَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِن الكُفر
١	تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ	الحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ وَهي الرَّسُولُ
٢	صُحُفاً	مكْتوباً فيها القُرْآنُ العَظِيمُ
٢	مُطَهَّرَةً	مُنزَّهةٌ عن البَاطِلِ وَالشُّبُهات
٣	فِيهَا كُتُبٌ	آياتٌ وَأَحْكَامٌ مكْتُوبَةٌ
٣	قَيِّمَةٌ	مُسْتَقِيمَةٌ حقة عادلةٌ مُحْكمةٌ
٤	مَا تَفَرَّقَ	في الرَّسُول بيْنَ مُؤْمِنٍ وَجَاحد
٤	جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ	بالهُدَى وَكانَ الحَق أن لا يتفرَّقوا
٥	الدِّينَ	الْعِبَادَةَ

الآية	الكلمة	التفسير
٥	حُنَفَاءَ	مَائِلِينَ عن البَاطِلِ إلى الإِسلام
٥	دِينُ القَيِّمَةِ	المِلَّةِ المُسْتَقِيمَةِ أو الكُتُبِ القَيِّمَةِ
٦	البَرِيَّةِ	الخَلائِقِ أوِ البَشرِ

[٢٢/٩٩] سورة الزلزلة ـ مدنية (آياتها ٨)

١	زُلْزِلَتِ الأَرْضُ	حُرِّكَتْ تَحْرِيكاً عَنِيفاً مُتَكَرِّراً عند النَّفْخَةِ الأولَى
٢	أَثْقَالَهَا	كُنُوزَها وَمَوْتَاها في النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ
٤	تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا	تَدُلُّ بِحَالِها عَلَى مَا عُمِلَ عَلَيْها
٥	أَوْحَى لَها	جَعَلَ في حَالِها دلالَةً عَلَى ذٰلِكَ
٦	يَصْدُرُ النَّاسُ	يخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إلى المَحْشَرِ
٦	أَشْتَاتاً	مُتَفَرِّقِينَ عَلَى حَسَبِ أَحْوالِهِمْ
٧	مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	وَزْنَ أَصْغَرِ نَمْلَةٍ أوْ هَبَاءَةٍ

[٢٣/١٠٠] سورة العاديات ـ مكية (آياتها ١١)

١	وَالْعَادِيَاتِ	(قَسَمٌ) بالخَيْلِ تَعْدُو في الغَزْوِ
١	ضَبْحاً	هُوَ صَوْتُ أَنْفَاسِهَا إذا عَدَتْ
٢	فَالمُورِيَاتِ قَدْحاً	المُخْرِجَات النَّارَ بصكِّ حَوَافِرِها الأَحْجار

سورة القارعة

الآية	الكلمة	التفسير
٣	فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً	المبَاغِتَاتِ لِلْعَدُوِّ وَقْتَ الصَّبَاح
٤	فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً	هَيَّجْنَ في الصُّبْحِ غُبَاراً
٥	فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً	فَتَوَسَّطْنَ فِيهِ مِنَ الأَعْدَاءِ
٦	إِنَّ الإِنْسَانَ	بِطبعِهِ إلَّا من رَحِمَ اللهُ (جوابُ القَسم)
٦	لَكَنُودٌ	لَكَفُورٌ جَحُودٌ
٨	إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ	لِأَجلِ حُبِّ المَالِ
٨	لَشَدِيدٌ	لَقَوِيٌّ مُجِدٌّ في تَحْصِيلِهِ مُتَهالِكٌ عَلَيْهِ
٩	بُعْثِرَ	أُثِيرَ وَأُخْرِجَ وَنُثِرَ
١٠	حُصِّلَ	جُمِعَ وَأُظْهِرَ أَوْ مُيِّزَ

[١٠١/٢٤] سورة القارعة ـ مكية (آياتها ١١)

الآية	الكلمة	التفسير
١	الْقَارِعَةُ	الْقِيَامَةُ تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِها
٤	كَالْفَرَاشِ	هُوَ طَيْرٌ كَالْبَعُوضِ يَتَهَافَتُ في النَّارِ
	الْمَبْثُوثِ	الْمُتَفَرِّقِ الْمُنْتَشِرِ
٥	كَالْعِهْنِ	كَالصُّوفِ الْمَصْبُوغِ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَة
٥	الْمَنْفُوشِ	الْمُفَرَّقِ بالأصَابِعِ وَنَحْوِهَا
٦	ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ	رَجَحَتْ مَقَادِيرُ حَسَنَاتِه

الآية	الكلمة	التفسير
٨	خَفَّتْ مَوازِينُهُ	رَجَحتْ مقَادِيرُ سَيِّئَاتِهِ
٩	فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ	فمَأْوَاهُ جهَنَّمُ يَهْوِي فيها
١٠	مَاهِيَهْ	مَا هِيَ ـ وَالهَاءُ لِلسَّكْتِ

[١٠٢/٢٥] سورة التكاثر ـ مكية (آياتها ٨)

١	أَلْهَاكُم	شَغَلَكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكم
١	التَّكَاثُرُ	التَّبَاهِي بكثْرَةِ مَتَاعِ الدُّنْيَا
٢	زُرْتُمْ المَقَابِرَ	متُّمْ وَدُفِنتُمْ في القُبُورِ
٥	لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ	لَوْ تَعْلَمُونَ مآلَكُمْ عِلْماً يَقِيناً لَمَا أَلْهَاكُم التَّكَاثُرُ
٦	لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ	وَاللهِ لَترَوُنَّ الْجَحِيمَ
٧	عَيْنَ الْيَقِينِ	نَفْسَ الْيَقِينِ وَهُوَ الْمُشَاهَدَةُ
٨	النَّعيم	الَّذِي أَلْهَاكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ

[١٠٣/٢٦] سورة العصر ـ مكية (آياتها ٣)

١	وَالْعَصْرِ	(قَسَمٌ) بالدَّهْرِ أو عصر النُّبُوَّةِ
٢	إنَّ الإِنْسَانَ	جنْسَ الإنسان (جَوابُ الْقَسَمِ)

الآية	الكلمة	التفسير
٢	لَفِي خُسْرٍ	خُسْرَانٍ وَنُقْصَانٍ وَهَلَكَةٍ
٣	تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ	بالخيْرِ كلِّهِ اعْتِقاداً وَعَملاً
٣	تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ	عنِ المعَاصِي وَعَلَى الطَّاعاتِ وَالبَلاءِ

[١٠٤/٢٧] سورة الهمزة ـ مكية (آياتها ٩)

الآية	الكلمة	التفسير
١	وَيْلٌ	عَذاب أوْ هَلاك أوْ وَادٍ في جَهنم
١	هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ	طَعَّانٍ غَيَّاب عَيَّاب لِلنَّاسِ
٢	عَدَّدَهُ	أَحْصَاهُ أَوْ أَعَدَّهُ لِلنَّوَائِبِ
٣	أَخْلَدَهُ	يُخَلِّدُهُ في الدُّنْيا
٤	لَيُنبَذَنَّ	لَيُطْرَحَنَّ
٤	الْحُطَمَةِ	جَهنَمَ. لِحَطْمِها كلَّ ما يُلْقَى فِيها
٧	تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ	تَغْشَى حَرارَتُها أَوْساطَ القُلوب
٨	مُؤْصَدَةٌ	مُطبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ أَبْوَابُهَا
٩	في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ	بأَعمِدَةٍ مَمْدُودَةٍ عَلَى أَبْوَابها

[١٠٥/٢٨] سورة الفيل ـ مكية (آياتها ٥)

الآية	الكلمة	التفسير
١	بِأَصْحَابِ الْفِيلِ	وَقَعَتِ الْقِصَّةُ أَوَّلَ عام مولده ﷺ

الآية	الكلمة	التفسير
٢	يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ	سَعْيَهُمْ لِتَخرِيبِ الْكَعْبَةِ
٢	تَضْلِيلٍ	تَضْيِيعٍ وَإِبْطَالٍ وَخَسَار
٣	طَيْراً أَبَابِيلَ	جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً مُتَتَابعةً
٤	سِجِّيلٍ	طِينٍ مُتَحَجِّرٍ مُحْرَقٍ (آجُرّ)
٥	كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ	كَتِبْنٍ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ فَرَاثَتْهُ

[٢٩/١٠٦] سورة قريش ـ مكية (آياتها ٤)

الآية	الكلمة	التفسير
١	لإِيلَافِ قُرَيْشٍ.	اَعْجَبُوا لإِيلَافِهِمُ الرِّحْلَتَيْنِ وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ رَبِّ الْبَيْتِ

[٣٠/١٠٧] سورة الماعون ـ مكية (آياتها ٧)

الآية	الكلمة	التفسير
١	أَرَأَيْتَ الَّذِي	أَخبِرْنِي الَّذِي يكَذِّبُ مَنْ هُوَ؟
١	يُكَذِّبُ بِالدِّينِ	يَجْحَدُ الْجَزَاءَ لإِنْكَارِ البَعْثِ
٢	يَدُعُّ الْيَتِيمَ	يَدْفَعُهُ دَفعاً عَنِيفاً عَنْ حَقِّهِ
٣	لَا يَحُضُّ	لَا يَحُثُّ وَلَا يَبْعَثُ أَحَداً
٤	فَوَيْلٌ	عذَابٌ أَوْ هَلَاكٌ، أَوْ وَادٍ في جَهنم
٤	لِلْمُصَلِّينَ	نِفَاقاً أو رِيَاءً

الآية	الكلمة	التفسير
٥	سَاهُونَ	غَافِلُونَ غَيْرُ مُبَالِينَ بِهَا
٦	يُرَاءُونَ	يَقْصِدُونَ الرِّيَاءَ بِأَعْمَالِهِمْ
٧	يَمْنَعُونَ المَاعُونَ	مَا يَتَعَاوَرُهُ النَّاسُ بينهم بُخْلاً

[١٠٨/٣٠] سورة الكوثر ـ مكية (آياتها ٣)

الآية	الكلمة	التفسير
١	أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ	نَهْرٌ في الجنَّةِ أَوِ الْخَيْرَ الكَثِيرَ
٢	انْحَرْ	الأَضَاحِي نُسُكاً شُكْراً للهِ تعالى
٣	شَانِئَكَ	مُبْغِضك (أَحَدُ مُشركي قُرَيْشٍ)
٣	هُوَ الأَبْتَرُ	المَقْطُوعُ الأَثر. أو الخَيْرِ

[١٠٩/٣١] سورة الكافرون ـ مكية (آياتها ٦)

الآية	الكلمة	التفسير
٦	لَكُمْ دِينُكُمْ	شِرْكُكُمْ وَكُفْرُكُمْ أَوْ جَزَاؤُهُ
٦	لِيَ دِينِ	إِخْلَاص وَتَوْحِيدِي أو جَزَاؤُهُ

[١١٠/٣٢] سورة النصر ـ مدنية (آياتها ٣)

الآية	الكلمة	التفسير
١	جَاءَ نَصْرُ اللهِ	عَوْنُهُ لَكَ عَلَى الأَعْدَاءِ
١	الْفَتْحُ	فَتْحُ مكَّةَ في السنةِ الثامِنةِ الهجرية
٢	أَفْوَاجاً	جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةً

الآية	الكلمة	التفسير
٣	فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ	فنزِّهْهُ تعالى، حَامداً لهُ
٣	كَانَ تَوَّاباً	كَثيرَ الْقَبُول لتوْبة عِبَادِهِ

[٣٣/ ١١١] سورة المسد ـ مكية (آياتها ٥)

الآية	الكلمة	التفسير
١	تَبَّتْ	هَلَكَتْ أوْ خَسِرَتْ أو خَابَتْ
١	وَتَبَّ	وَقَدْ هَلَكَ أَوْ خَسِرَ أَوْ خَابَ
٢	مَا أَغْنَى عَنْهُ	مَا دَفعَ التَّبَابَ عَنْهُ
٢	مَا كَسَبَ	الذِي كَسَبَهُ بِنَفْسِهِ
٣	سَيَصْلَى نَاراً	سَيَدْخُلُهَا أَوْ يُقَاسِي حَرَّهَا
٥	في جِيدِهَا	في عُنُقِهَا
٥	مِنْ مَسَدٍ	ممَّا يُفْتَلُ قَوِيًّا مِنَ الْحِبَال

[٣٤/ ١١٢] سورة الإخلاص ـ مكية (آياتها ٤)

الآية	الكلمة	التفسير
٢	اللهُ الصَّمَدُ	هو وَحدَه المقصُودُ في الْحَوائج
	كُفُواً	مُكافئاً وَمُمَثِلاً وَنظيراً

[١١٣/٣٥] سورة الفلق ـ مكية (آياتها ٥)

الآية	الكلمة	التفسير
١	أَعُوذُ	أَعْتَصِمُ وَأَسْتَجِيرُ

سورة الناس

الآية	الكلمة	التفسير
١	بِرَبِّ الْفَلَقِ	بِرَبِّ الصُّبْحِ . أو الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
٣	شَرِّ غَاسِقٍ	شَرِّ اللَّيْلِ
٣	وَقَبَ	دَخَلَ ظَلاَمُهُ في كلِّ شيءٍ
٤	النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ	النِّسَاءِ السَّوَاحِرِ يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الخيْطِ حِينَ يَسْحَرْنَ

[٣٦/ ١١٤] سورة الناس - مكية (آياتها ٦)

١	أَعُوذُ	اعْتَصِمُ وَاسْتَجِيرُ
١	بِرَبِّ النَّاسِ	مُرَبِّيهِمْ وَمُدَبِّرِ أَحْوَالِهِمْ
٢	مَلِكِ النَّاسِ	مَالِكِهِمْ مِلْكاً تَامًّا
٣	إِلَٰهِ النَّاسِ	مَعْبُودِهِم الحقِّ
٤	الْوَسْوَاسِ	الْمُوَسْوِس جِنِّيًا أَوْ إِنْسِيًّا
٤	الْخَنَّاسِ	الْمُتَوَارِي الْمُخْتَفِي
٦	الْجِنَّةِ	الْجِنِّ

الوحدة الثانية: العقيدة

❊ ما معنى العقيدة؟

❊ أفكار هذه الوحدة.

❊ لماذا ندرس العقيدة؟

❊ توصيف هذه المادة: كتابان.

الأول: أعلام السنة المنشورة (ثلثه). لحافظ بن أحمد حكمي.

الثاني: تحقيق كلمة الإخلاص للحافظ ابن رجب الحنبلي.

❊ مادة الكتابين: التوحيد.

❊ لماذا تم اختيار هذه المادة؟

❊ كيف تدرس هذه المادة (الفهم-التحصيل لـ «الأدلة-المعاني»-حفظ الأدلة).

❊ ما هي المعاني الكلية التي يمكن استخلاصها من دراسة هذه المادة؟

- الكتاب الأول.

- الكتاب الثاني.

❊ ما هي المعاني التي يمكن أن تنقلها لغيرك؟

❊ هل تأثرت بهذه المادة؟ وكيف تتأثر بالدراسة؟

❊ ضرورة الاجتهاد لتركيز مادة العقيدة.

❊ أهمية إخلاص النية، والعزم الجازم على تدريس هذه المادة.

أعلام السنة المنشورة

لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة

تأليف

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي
المتوفى (١٣٧٧هـ)

تحقيق

حازم القاضي

طبع ونشر
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
على نفقة مؤسسة إبراهيم بن عبدالعزيز البراهيم الخيرية
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون، وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون، بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ﷺ وعلى آله وصحبه الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعلى التابعين لهم بإحسان الذين لا ينحرفون عن السنة ولا يعدلون، بل إياها يقتفون وبها يتمسكون وعليها يوالون ويعادون وعندها يقفون، وعنها يذبون ويناضلون وعلى جميع من سلك سبيلهم وقفا أثرهم إلى يوم يبعثون.

أما بعد/

فهذا مختصر جليل نافع، عظيم الفائدة جم المنافع، يشتمل على قواعد الدين، ويتضمن أصول التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب ولا نجاة لمن بغيره يدين؛ ويدل ويرشد إلى سلوك المحجة

البيضاء ومنهج الحق المستبين شرحت فيه أمور الإيمان وخصاله، وما يزيل جميعه أو ينافي كماله، وذكرت فيه كل مسألة مصحوبة بدليلها، ليتضح أمرها وتتجلى حقيقتها ويبين سبيلها، واقتصرت فيه على مذهب أهل السنة والإتباع وأهملت أقوال أهل الأهواء والابتداع، إذ هي لا تذكر إلا للرد عليها، وإرسال سهام السنة عليها، وقد تصدى لكشف عوارها الأئمة الأجلة، وصنفوا في ردها وإبعادها المصنفات المستقلة، مع أن الضد يعرف بضده ويخرج بتعريف ضابطه وحده، فإذا طلعت الشمس لم يفتقر النهار إلى استدلال، وإذا استبان الحق واتضح فما بعده إلا الضلال ورتبته على طريقة السؤال ليستيقظ الطالب وينتبه، ثم أردفه بالجواب الذي يتضح الأمر به ولا يشتبه وسميته (أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) والله أسأل أن يجعله ابتغاء وجهه الأعلى، وأن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، نعمة منه وفضلا، إنه على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير، وإليه المرجع والمصير، وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

س : ما أول ما يجب على العباد ؟

جـ : أول ما يجب على العباد معرفة الأمر الذي خلقهم الله له، وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسبه تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

س : ما هو ذلك الأمر الذي خلق الله الخلق لأجله ؟

جـ : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الآيات .

س : ما معنى العبد ؟

جـ : العبد إن أريد به المعبد أي المذلل المسخر فهو بهذا المعنى شامل لجميع المخلوقات من العوالم العلوية والسفلية، من عاقل وغيره، ورطب ويابس، ومتحرك وساكن، وظاهر وكامن، ومؤمن وكافر، وبر وفاجر وغير ذلك، الكل مخلوق لله عز وجل، مربوب له، مسخر بتسخيره، مدبر بتدبيره، ولكل منها رسم يقف عليه، وحد ينتهي إليه، كل يجري لأجل مسمى لا يتجاوزه مثقال ذرة ﴿ ذَٰلِكَ

﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨﴾ وتدبير العدل الحكيم، وإن أريد به العابد المحب المتذلل خص ذلك بالمؤمنين الذي هم عباده المكرمون وأولياؤه المتقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

س : ما هي العبادة ؟

جـ : العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده .

س : متى يكون العمل عبادة؟

جـ : إذا أكمل فيه شيئان وهما كمال الحب مع كمال الذل قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧﴾ وقد جمع الله تعالى بين ذلك في قوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ .

س : ما علامة محبة العبد ربه عز وجل؟

جـ : علامة ذلك، أن يحب ما يحبه الله تعالى ويبغض ما يسخطه فيمتثل أوامره ويجتنب مناهيه ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه، ولذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه .

س : بماذا عرف العباد ما يحبه الله ويرضاه؟

جـ : عرفوه بإرسال الله تعالى الرسل وإنزاله الكتب آمراً بما يحبه الله ويرضاه ناهياً عما يكرهه ويأباه وبذلك قامت عليهم حجته الدامغة، وظهرت حكمته البالغة قال الله تعالى : ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ وقال تعالى : ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١﴾ .

س : كم شروط العبادة؟

جـ : ثلاثة: الأول صدق العزيمة وهو شرط في وجودها، والثاني إخلاص النية، والثالث موافقة الشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يدان إلا به وهما شرطان في قبولها.

س : ما هو صدق العزيمة؟

جـ : هو ترك التكاسل والتواني وبذل الجهد في أن يصدق قوله بفعله قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾.

س : ما معنى إخلاص النية؟

جـ : هو أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠ ﴾ وغيرها من الآيات.

س : ما هو الشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يدان إلا به؟

جـ : هي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٨٥ ﴾

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ وغيرها من الآيات.

س : **كم مراتب دين الإسلام؟**

جـ : هو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان وكل واحد منها إذا أطلق شمل الدين كله.

س : **ما معنى الإسلام؟**

جـ : معناه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) ﴾.

س : **ما الدليل على شموله الدين كله عند الإطلاق؟**

جـ : قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، وقال النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»[١] وقال ﷺ: «أفضل الإسلام إيمان بالله»[٢] وغير ذلك كثير.

س : **ما الدليل على تعريفه بالأركان الخمسة عند التفصيل؟**

جـ : قوله ﷺ في حديث سؤال جبريل إياه عن الدين «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة

---

(١) رواه مسلم (الإيمان/ ٢٣٢) والترمذي (٢٦٢٩) وابن ماجه (٣٩٨٦، ٣٩٨٧)، وغيرهم.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل، قال: إيمان بالله...» (الإيمان ١٣٥) ورواه أحمد (٤/ ١١٤) وعبدالرزاق (١١/ ١٢٧) من حديث عمرو بن عبسة.

وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»[١] وقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس»[٢] فذكر هذه غير أنه قدم الحج على صوم رمضان وكلاهما في الصحيحين.

س : ما محل الشهادتين من الدين؟

جـ : لا يدخل العبد في الدين إلا بهما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، وقال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله»[٣] الحديث وغير ذلك كثير.

س : ما دليل شهادة أن لا إله إلا الله؟

جـ : قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ الآيات وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ الآيات وغيرها.

س : ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله؟

جـ : معناها نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله تعالى وإثباتها لله عز وجل وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧) ومسلم (الإيمان/ ١، ٥) وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (٤٥١٤) ومسلم (الإيمان/ ١٩) وغيرهما.

(٣) رواه البخاري (٢٥، ١٣٩٩) ومسلم (الإيمان/ ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧) وغيرهما.

دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

س : ما هي شروط شهادة أن لا إله إلا الله التي لا تنفع قائلها ـ إلا باجتماعها فيه؟

جـ : شروطها سبعة: الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً. الثاني: استيقان القلب بها: الثالث: الانقياد لها ظاهراً وباطناً. الرابع: القبول لها فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها. الخامس: الإخلاص فيها. السادس: الصدق من صميم القلب لا باللسان فقط. السابع: المحبة لها ولأهلها، والموالاة والمعاداة لأجلها.

س : ما دليل اشتراط العلم من الكتاب والسنة؟

جـ : قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي بلا إله إلا الله ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم وقول النبي ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[1].

س : ما دليل اشتراط اليقين من الكتاب والسنة؟

جـ : قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ إلى قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ وقول النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»[2] وقال ﷺ لأبي هريرة: «من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»[3] كلاهما في الصحيح.

---

(١) رواه مسلم (الإيمان/ ٤٣).

(٢) رواه مسلم (الإيمان/ ٤٤، ٤٥).

(٣) رواه مسلم (الإيمان/ ٥٢).

س : ما دليل اشتراط الانقياد من الكتاب والسنة؟

جـ : قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[1].

س : ما دليل اشتراط القبول من الكتاب والسنة؟

جـ : قال الله تعالى في شأن من لم يقبلها: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ الآيات وقال النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت

---

(١) (إسناده حسن إن شاء الله) رواه الحسن بن سفيان في الأربعين له، ورواه الإمام البغوي في شرح السنة (١/٢١٣) وتاريخ بغداد (٤/٣٦٩) من حديث عبدالله بن عمرو وإسناده ضعيف لضعف نعيم بن حماد وقال ابن عساكر: وهو حديث غريب، قال الألباني: يعني ضعيف اهـ (تعليقه على السنة لابن أبي عاصم ١٥) وقد صحح إسناده الإمام النووي (ونعيم بن حماد يخطئ كثيراً فقيه عارف بالفرائض) قال الحافظ: وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال: باقي حديثه مستقيم. وانظر ترجمة نعيم بن حماد في كتاب التنكيل جـ١ ص ٥٠٧، وقال الحافظ أيضاً: وقال أبو أحمد الحاكم ربما يخالف في بعض حديثه وقد مضى أن ابن عدي يتتبع ما وهم فيه فهذا أفضل القول فيه. وقد ذكر الذهبي في الميزان ثمانية أحاديث وكأنها أشد ما انتقد على نعيم وليس هذا الحديث منها.

به»[١].

س : ما دليل اشتراط الإخلاص من الكتاب والسنة

جـ : قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ وقال النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[٢] وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٣].

س : ما دليل الصدق من الكتاب والسنة؟

جـ : قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ إلى آخر الآيات وقال النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»[٤] وقال للإعرابي الذي علمه شرائع الإسلام إلى أن قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[٥].

س : ما دليل اشتراط المحبة من الكتاب والسنة؟

جـ : قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ

---

(١) رواه البخاري (٧٩) ومسلم (الفضائل/ ١٥) وأحمد (٤/ ٣٩٩).

(٢) رواه البخاري (٩٩) وأحمد (٢/ ٣٧٣).

(٣) رواه البخاري (٤٢٥) ومسلم (مساجد/ ٢٦٣).

(٤) رواه البخاري (١٢٨) ومسلم (الإيمان/ ٥٣).

(٥) رواه البخاري (٤٦، ١٨٩١) ومسلم (الإيمان/ ٨، ٩) وأحمد (١/ ١٦٢) وأبو داود (٣٩١).

﴿بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وقال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؟، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»(١).

س : **ما دليل الموالاة لله والمعاداة لأجله؟**

جـ : قال الله عز وجل ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى آخر الآيات وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ الآيتين وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ إلى آخر السورة وغير ذلك من الآيات.

س : **ما دليل شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؟**

جـ : قول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ وغيرها من الآيات.

---

(١) رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١) ومسلم (الإيمان/ ٦٧، ٦٨).

س : ما معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؟

جـ : هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطىء لقول اللسان بأن محمداً عبده ورسوله إلى كافة الناس إنسهم وجنهم ﴿ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ ﴾ فيجب تصديقه في جميع ما أخبر به من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرم من حرام والامتثال والإنقياد لما أمر به والكف والانتهاء عما نهى عنه، واتباع شريعته والتزام سنته في السر والجهر مع الرضا بما قضاه والتسليم له وأن طاعته هي طاعة الله ومعصيته معصية الله لأنه مبلغ عن الله رسالته ولم يتوفه الله حتى أكمل به الدين وبلغ البلاغ المبين وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وفي هذا الباب مسائل ستأتي إن شاء الله.

س : ما شروط شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ وهل تقبل الشهادة الأولى بدونها؟

جـ : قد قدمنا لك أن العبد لا يدخل في الدين إلا بهاتين الشهادتين وأنهما متلازمتان فشروط الشهادة الأولى هي شروط في الثانية كما أنها هي شروط في الأولى.

س : ما دليل الصلاة والزكاة؟

جـ : قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ الآية وغيرها.

س : ما دليل الصوم؟

جـ : قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ الآيات وفي حديث الأعرابي: أخبرني ما فرض الله عليّ من الصيام. فقال: «شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً» الحديث.

س : ما دليل الحج؟

جـ : قال الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى كتب عليكم الحج»(١) الحديث في الصحيحين وتقدم حديث جبريل وحديث «بني الإسلام على خمس»(٢) وغيرها كثير.

س : ما حكم من جحد واحداً منها أو أقر به واستكبر عنه؟

جـ : يقتل كفراً كغيره من المكذبين والمستكبرين مثل إبليس وفرعون.

س : ما حكم من أقر بها ثم تركها لنوع تكاسل أو تأويل؟

جـ : أما الصلاة فمن أخرها عن وقتها بهذه الصفة فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل حداً لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ﴾ وحديث: «أمرت أن أقاتل الناس»(٣) الحديث وغيره، وأما الزكاة فإن كان مانعها ممن لا شوكة له أخذها الإمام منه قهراً ونكله بأخذ شيء من ماله لقوله ﷺ: «ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله

---

(١) رواه مسلم (حج/٤١٢) وأحمد ١/٣٧١، ٢/٥٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٢٥، ١٣٩٩) ومسلم (الإيمان/ ٣٢، ٣٧).

معها»(١) الحديث وإن كانوا جماعة ولهم شوكة وجب على الإمام قتالهم حتى يؤدوها للآيات والأحاديث السابقة وغيرها، وفعله أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وأما الصوم فلم يرد فيه شيء ولكن يؤدبه الإمام أو نائبه بما يكون زجراً له ولأمثاله وأما الحج فكل عمر العبد وقت له لا يفوت إلا بالموت، والواجب فيه المبادرة وقد جاء الوعيد الأخروي في التهاون فيه، ولم ترد فيه عقوبة خاصة في الدنيا.

س : ما هو الإيمان؟

جـ : الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان

---

(١) (حسن) رواه أبو داود (١٥٧٥) والنسائي (٢٢٩٢) أ، (٢٢٩٧) أ، وابن الجارود (١٧٤)، والحاكم (١/٣٩٨)، والبيهقي (٤/١٠٥)، وأحمد (٤/٢، ٤) من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وقد قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وقد حسن الحديث الشيخ الألباني للخلاف المعروف على بهز بن حكيم، وقال الشافعي: ليس بحجة، وهذا الحديث لا يثبته أهل العلم بالحديث ولو ثبت لقلنا به، وكان الشافعي قد قال به في مذهبه القديم ثم رجع عن ذلك في الجديد، أما عن شرح مسألة «أخذ نصف ماله معه» فقد تقرر عن كثير من علماء الأمة أن الغلول في الصدقة والغنيمة لا يوجب غرامة في المال. ولذلك فإنهم اتجهوا إلى تأويل هذا الحديث بما يلي:

(١) أن الحديث منسوخ، ورد ذلك بأن دعوى النسخ غير مقبولة إلا مع وجود الدليل على ذلك مع العلم بتاريخ الأسبق وهذا غير محقق في مسألتنا.

(٢) أن الحديث فيه وهم قد وقع في سياق متنه وأن الصحيح «فأنا آخذوها من شطر ماله» أي يجعل ماله شطرين فيتخير عليه المصدق ويأخذ الصدقة من خير الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة فأما ما لا يلزمه فلا.

(٣) أن الحديث صحيح ويجب أن يؤخذ به على ظاهره وأنه قدثبت عدة أحاديث عن النبي ﷺ في شرعية العقوبات المالية لم يثبت نسخها بحجة.

(٤) أن الحديث ضعيف باعتبار أن بهزاً لا يحتج به، وقد ذهب إلى ذلك بعض العلماء وخالفهم آخرون والقول الثاني هو الأقرب عندنا والله تعالى أعلم.

والجوارح ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتفاضل أهله فيه .

س : ما الدليل على أنه قول وعمل؟

جـ : قال الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وهذا معنى الشهادتين اللتين لا يدخل العبد في الدين إلا بهما ، وهي من عمل القلب اعتقاداً ومن عمل اللسان نطقاً لا تنفع إلا بتواطئهما وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة سمى الصلاة كلها إيماناً وهي جامعة لعمل القلب واللسان والجوارح ، وجعل النبي ﷺ الجهاد وقيام ليلة القدر وصيام رمضان وقيامه وأداء الخمس وغيرها من الإيمان ، وسئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال : «إيمان بالله ورسوله»[(١)] .

س : ما الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه؟

جـ : قوله تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ - ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ - ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ - ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ - ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ - ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ - ﴿ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ - ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ وغير ذلك من الآيات ، وقال ﷺ : «لو أنكم تكونون في كل حالة كحالتكم عندي لصافحتكم الملائكة»[(٢)] أو كما قال .

---

(١) رواه البخاري (٢٦، ١٥١٩) ومسلم (الإيمان/ ١٣٥) .

(٢) رواه مسلم (التوبة/ ١٢) وابن ماجه (٤٢٣٩) واللفظ له .

س : ما الدليل على تفاضل أهل الإيمان فيه؟

جـ : قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝﴾ - إلى - ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝﴾ وقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآيات، وفي حديث الشفاعة: «أن الله يخرج من النار من كان في قلبه وزن دينار من إيمان ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان» - وفي رواية: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن ذرة»(١).

س : ما الدليل على أن الإيمان يشمل الدين كله عند الإطلاق؟

جـ : قال النبي ﷺ في حديث وفد عبدالقيس: «آمركم بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا من المغنم الخمس»(٢).

س : ما الدليل على تعريف الإيمان بالأركان الستة عند التفصيل؟

جـ : قول النبي ﷺ لما قال له جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإيمان

---

(١) رواه البخاري (٤٤، ٧٤١٠) ومسلم (الإيمان/ ٣٢٥).

(٢) رواه البخاري (٥٣، ٨٧، ٥٢٣) ومسلم (الإيمان/ ٢٣).

قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١].

س : ما دليلها من الكتاب جملة؟

جـ : قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾ وسنذكر إن شاء الله دليل كل على انفراده.

س : ما معنى الإيمان بالله عز وجل؟

جـ : هو التصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته تعالى الذي لم يسبق بضد ولم يعقب به، هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء حي قيوم أحد صمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ وتوحيده بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

س : ما هو توحيد الإلهية؟

جـ : هو إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان، كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴾ وغير ذلك من الآيات وهذا قد وفت به شهادة أن لا إله إلا الله.

س : ما هو ضد توحيد الإلهية؟

---

(١) رواه البخاري (٥٠/ ٤٧٧٧) ومسلم (الإيمان/ ١، ٥).

جـ : ضده الشرك وهو نوعان: شرك أكبر ينافيه بالكلية وشرك أصغر ينافي كماله.

س : ما هو الشرك الأكبر؟

جـ : هو اتخاذ العبد من دون الله نداً يسويه برب العالمين يحبه كحب الله ويخشاه كخشية الله ويلتجي إليه ويدعوه ويخافه ويرجوه ويرغب إليه ويتوكل عليه أو يطيعه في معصية الله أو يتبعه على غير مرضاة الله وغير ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ وغير ذلك من الآيات، وقال النبي ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»(١) وهو في الصحيحين، ويستوي في الخروج بهذا الشرك عن الدين المجاهر به ككفار قريش وغيرهم، والمبطن له كالمنافقين المخادعين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ وغير ذلك من الآيات.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠) ومسلم (الإيمان/ ٤٨، ٥١) وأحمد (٣/ ٢٦٠، ٢٦١) والترمذي (٢٦٤٣) وابن ماجه (٤٢٦٩).

س : ما هو الشرك الأصغر؟

جـ : هو يسير الرياء الداخل في تحسين العمل المراد به الله تعالى قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾، وقال النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»(١) فسئل عنه فقال: (الرياء) ثم فسره بقوله ﷺ: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»(٢) ومن ذلك الحلف بغير الله كالحلف بالآباء والأنداد والكعبة والأمانة وغيرها قال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد»(٣) وقال

---

(١) (صحيح) رواه أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩) والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٢٤) عن عمرو بن أبي عمرو، وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله ﷺ الحديث وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير محمود بن لبيد فإنه من رجال مسلم وحده.
قال الحافظ: وهو صحابي صغير وجُلّ روايته عن الصحابة (أفاده الشيخ الألباني في الصحيحة ٩٥١).

(٢) (حديث حسن. والجزء الذي احتج به الحافظ الحكمي «صحيح لغيره» أو نقول صحيح المتن) رواه ابن ماجه (٤٢٠٤) بسند حسن على الراجح وقد قال الإمام البوصيري عن سند ابن ماجه: «هذا إسناد حسن. كثير بن زيد وربيع بن عبدالرحمن مختلف فيهما» رواه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد أيضاً والبيهقي ورواه أحمد بن منيع ثنا كثير فذكره بزيادة في أوله كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة. أهـ.
قلت: وكثير بن زيد صدوق يخطئ، وربيع مقبول كما قال الحافظ يعني عند المتابعة، وقد توبع خاصة في الجزء المحتج به في الحديث لما رواه ابن خزيمة (٩٣٧) وصححه بإيراده أيضاً محتجاً به وقد احتج به أيضاً الحافظ المنذري في الترغيب بتصديره ب «عن» وهو من حديث محمود بن لبيد قال: خرج رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس إياكم وشرك السرائر قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر».

(٣) (صحيح) رواه أبو داود (٣٢٤٨) والنسائي (٧/ ٥) وسكت عنه الإمام أبو داود وصححه =

ﷺ: «لا تقولوا والكعبة ولكن قولوا ورب الكعبة»(١) وقال ﷺ: «لا تحلفوا إلا بالله»(٢) وقال ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»(٣) وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»(٤) وفي رواية (وأشرك) ومنه قوله ما شاء الله وشئت وقال النبي ﷺ للذي قال ذلك: «أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده»(٥) ومنه قول لولا الله وأنت، وما لي إلا الله وأنت، وأنا داخل على الله وعليك ونحو ذلك، قال ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء

= الألباني.

(١) (صحيح) رواه النسائي (٣٧٧٣) قال الحافظ في الإصابة (٤/٣٢٩): أخرجه النسائي وسنده صحيح وقد رواه النسائي في الكبرى (٣/٣٢٩): أخرجه النسائي وسنده صحيح وقد رواه النسائي في الكبرى (٣/١٢٤) وفيه «... فأمرهم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة...» ولم نره واللفظ الذي أورده المؤلف.

(٢) تقدم رقم (٣).

(٣) (صحيح) رواه أبو داود (٣٢٥٣) حدثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا الوليد بن بن ثعلبة الطائي عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ الحديث. وقد قال الشيخ الألباني: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات اهـ.

(٤) (صحيح) رواه أحمد (٢/٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٦، ١٢٥) ورواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) والحاكم (٤/٢٩٧) والبيهقي (١٠/٢٩) وقد سكت عنه الإمام أبو داود وقال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقد صححه أيضاً الألباني.

(٥) (سنده حسن وهو صحيح لغيره) رواه أحمد (١/٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) وابن ماجه (٢١١٧) والنسائي (في الكبرى) والطحاوي (١/٩٠) وأبو نعيم (٤/٩٩) ورواه أيضاً البخاري في الأدب (٧٨٣) قال الحافظ العراقي: رواه النسائي في الكبرى وابن ماجه بإسناد حسن اهـ (إتحاف ٧/٥٧٤) وقد جاء الحديث عن طرق عن الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس إلا أن ابن عساكر قال: «الأعمش» بدل «الأجلح» والأجلح هذا هو ابن عبدالله أبو حجية الكنزي وهو صدوق شيعي كما في التقريب وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين فالإسناد حسن وله شواهد تصححه.

فلان»[١] قال أهل العلم ويجوز لولا الله ثم فلان ولا يجوز لولا الله وفلان.

س : ما الفرق بين الواو وثم في هذه الألفاظ؟

جـ : لأن العطف بالواو يقتضي المقارنة والتسوية فيكون من قال ما شاء الله وشئت قارناً مشيئة العبد بمشيئة الله مسوياً بها بخلاف العطف بثم المقتضية للتبعية فمن قال ما شاء الله ثم شئت فقد أقر بأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى لا تكون إلا بعدها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وكذلك البقية.

س : ما هو توحيد الربوبية؟

جـ : هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له ولا مماثل، ولا سمي له ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته، ومقتضيات أسمائه وصفاته، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ الآيات بل السورة كلها وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟

---

(١) (صحيح) من حديث حذيفة. رواه أحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) وأبو داود (٤٩٨٠) والبيهقي (٣/ ٢١٦) والطحاوي (١/ ٩٠) من طرق عن شعبة عن منصور بن المعتمر سمعت عبدالله بن يسار عن حذيفة به، وهذا سنده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن يسار وهو الجهني وهو ثقة، وثقه النسائي وابن حبان.

كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الآيات وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الآيات وقال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾.

س : ما ضد توحيد الربوبية؟

جـ : هو اعتقاد متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب والعظمة والكبرياء ونحو ذلك، وقال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿ وَإِن

يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ الآية وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ وقال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري»[(١)] وهو في الصحيح.

س: **ما هو توحيد الأسماء والصفات؟**

جـ: هو الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ووصف به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإمرارها كما جاءت بلا كيف كما جمع الله تعالى بين إثباتها ونفي التكييف عنها في كتابه في غير موضع كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ وغير ذلك، وفي الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ - يعني لما ذكر آلهتهم - أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

---

(١) (صحيح) رواه أحمد (٢/٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢) وأبو داود (٤٠٩٠) وابن ماجه (٤١٧٤) الحديث صححه الألباني وسكت عنه أبو داود ورواه مسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة عن رسول الله ﷺ بنحوه (البر ٢٦٢٠).

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ والصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا عديل، وليس كمثله شيء(١).

س : ما دليل الأسماء الحسنى من الكتاب والسنة؟

جـ : قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ ـ وغيرها من الآيات، وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»(٢) وهو في الصحيح، وقال النبي ﷺ: «أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي»(٣) الحديث.

---

(١) (حسن) رواه أحمد (٥/ ١٣٤) والترمذي (٣٣٦٤) ورواه عن أبي العاليه مرسلا (٣٣٦٥) والحاكم (٢/ ٥٤٠) والبيهقي (في الأسماء والصفات/ ٣٥٤) وابن أبي عاصم (١/ ٢٩٨) وفي سنده أبو بكر الرازي قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق سيء الحفظ وقد نوه الترمذي إلى أن المرسل أصح قال الحافظ في الفتح (٨/ ٧٣٩): وصحح الموصول ابن خزيمة والحاكم وله شاهد من حديث جابر عن أبي يعلى والطبري والطبراني في الأوسط اهـ وقد حسن إسناده السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٠) من حديث جابر اهـ قال الهيثمي (٧/ ١٤٦): رواه الطبراني في الأوسط أهـ.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٦، ٧٣٩٢).

(٣) (صحيح) رواه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢) وابن حبان (٩٦٨) والحاكم (١/ ٥٠٩) وأبو يعلى (٥٢٩٧) وقد عدد الشيخ الألباني طرقه في الصحيحة (١٩٩) وناقش ما دار حولها من خلاف ثم قال: وجملة القول أن الحديث صحيح من رواية

س : ما مثال الأسماء الحسنى من القرآن؟

جـ : مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ - ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ - ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ - ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ - ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ - ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ - ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ - ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ - ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ - ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ - ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ - ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وغيرها من الآيات.

س : ما مثال الأسماء الحسنى من السنة؟

جـ : مثل قوله ﷺ: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض ورب العرش الكريم»(١) وقوله ﷺ: «يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣١، ٧٤٢٦) ومسلم (الذكر/ ٨٣).

يا بديع السموات والأرض»[١]، وقوله ﷺ: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»[٢]، وقوله ﷺ: «اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه»[٣] الحديث وقوله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، أنت الباطن فليس دونك شيء»[٤] الحديث وقوله ﷺ: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات

---

(١) (صحيح) من حديث أنس ولفظه «... بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحي ياقيوم ...» رواه أحمد (٣/ ١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥) وأبو داود (١٤٩٥) والنسائي (٣/ ٥٢) وسكت عنه الإمام أبو داود وقد صححه الشيخ الألباني ورواه الحاكم (١/ ٥٠٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) (صحيح) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه رواه أحمد (١/ ٦٢، ٦٦، ٧٢) وأبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجه (٣٨٦٩) قال الإمام الترمذي: حسن صحيح غريب وسكت عنه الإمام أبو داود وقال الحافظ العراقي: رواه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عثمان اهـ قال الزبيدي: وكذلك رواه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن السني وأبو نعيم في الحلية والضياء في المختارة ورواه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ «من قال ذلك إذا أصبح وإذا أمسى ثلاث مرات ...» (إتحاف ٥/ ١٣١، ١٣٢) وقد صححه الشيخ الألباني.

(٣) (صحيح) من حديث أبي هريرة وعبدالله بن عمرو. رواه أحمد (١/ ٩، ١٠، ١٤، ٢/ ١٩٦، ٢٩٧) وأبو داود [٥٠٦٧] والترمذي [٣٥٢٩] والدارمي [٦٢٩٢] والحاكم [١/ ٥١٣] وقد صححه الألباني وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) رواه مسلم (الذكر ٦١، ٦٢، ٦٣) وأحمد (٢/ ٣٨١، ٤٠٤، ٥٣٦).

والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن»[١] الحديث. وقوله ﷺ: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»[٢] وقوله ﷺ: «يا مقلب القلوب»[٣] الحديث. وغير ذلك كثير.

س : على كم نوع دلالة الأسماء الحسنى؟

جـ : هي على ثلاثة أنواع دلالتها على الذات مطابقة، ودلالتها على الصفات المشتقة منها تضمناً، ودلالتها على الصفات التي ما اشتقت منها التزاماً.

س : ما مثال ذلك؟

جـ : مثال ذلك اسمه تعالى الرحمن الرحيم يدل على ذات المسمى، وهو الله عز وجل مطابقة، وعلى الصفة المشتق منها وهي الرحمة

---

(١) رواه البخاري (١١٢٠، ٦٣١٧) ومسلم (مسافرين/ ١٩٩).

(٢) (صحيح) رواه ابن ماجه (٣٨٥٧) والترمذي (٣٤٧٥) وأحمد (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٠) من حديث بريدة الأسلمي ورواه الحاكم (١/ ٢٦٧) والنسائي (١٣٠١) من حديث محجن بن الأدرع قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقد صححه الألباني.

(٣) (صحيح) رواه الترمذي (٣٥٢٢) وأحمد (٦/ ٢٩٤، ٣١٥) من حديث أم سلمة ورواه أحمد (٤/ ١٨٢) من حديث نواس بن سمعان ورواه الحاكم (٢/ ٢٨٨) من حديث جابر بن عبدالله ورواه أحمد أيضاً (٦/ ٩١، ٢٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها ورواه الترمذي أيضاً (٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك قال الإمام الترمذي: (هذا حديث حسن) قلت: قال ذلك الترمذي على حديث أم سلمة وحديث أنس لكنه عقب على حديث أنس بقوله: وحديث أبي سفيان عن أنس أصح قال الألباني معقباً على تحسين الترمذي: قلت: وهو على شرط مسلم (مشكاة ١٠٢) وقد صححه في تعليقه على كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ح ٢٢٥).

تضمناً وعلى غيرها من الصفات التي لم تشتق منها كالحياة والقدرة التزاماً وهكذا سائر أسمائه وذلك بخلاف المخلوق فقد يسمى حكيماً وهو جاهل، وحكماً وهو ظالم، وعزيزاً وهو ذليل، وشريفاً وهو وضيع وكريماً وهو لئيم، وصالحاً وهو طالح، وسعيداً وهو شقي، وأسداً وحنظلة وعلقمة وليس كذلك، فسبحان الله وبحمده هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه.

س : **على كم قسم دلالة الأسماء الحسنى من جهة التضمن؟**

جـ : هي على أربعة أقسام: الأول: الاسم العلم المتضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى وهو الله، ولهذا تأتي الأسماء جميعها صفات له كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ ونحو ذلك، ولم يأت هو قط تابعاً لغيره من الأسماء. الثاني: ما يتضمن صفة ذات الله عز وجل كاسمه تعالى السميع المتضمن سمعه الواسع جميع الأصوات، سواء عنده سرها وعلانيتها، واسمه البصير المتضمن بصره النافذ في جميع المبصرات سواء دقيقها وجليلها، واسمه العليم المتضمن علمه المحيط الذي ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ ﴾. واسمه القدير المتضمن قدرته على كل شيء إيجاداً وإعداماً وغير ذلك. الثالث: ما يتضمن صفة فعل الله كالخالق الرازق البارىء المصور وغير ذلك. الرابع: ما يتضمن تنزهه تعالى وتقدسه عن جميع النقائص كالقدوس السلام.

س : **كم أقسام الأسماء الحسنى من جهة إطلاقها على الله عز وجل؟**

جـ : منها ما يطلق على الله مفرداً أو مع غيره وهو ماتضمن صفة الكمال

بأي إطلاق كالحي القيوم الأحد الصمد ونحو ذلك ، ومنها ما لا يطلق على الله إلا مع مقابله وهو ما إذا أفرد أو هم نقصاً كالضار النافع، والخافض الرافع، والمعطي المانع، والمعز المذل، ونحو ذلك فلا يجوز إطلاق الضار ولا الخافض ولا المانع ولا المذل على انفراده؛ ولم يطلق قط شيء منها في الوحي كذلك لا في الكتاب ولا في السنة؛ ومن ذلك اسمه تعالى المنتقم لم يطلق في القرآن إلا مع متعلقه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أو بإضافة ذو إلى الصفة المشتق منها كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾.

س : تقدم أن صفات الله تعالى منها ذاتية وفعلية فما مثال صفات الذات من الكتاب؟

جـ : مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾؛ وغير ذلك.

س : ما مثال صفات الذات من السنة؟

جـ : كقوله ﷺ: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[١] وقوله ﷺ: «يمين الله ملأى لا تغيضها

---

(١) رواه مسلم (الإيمان/ ٢٩٣).

نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض»(١) وقوله ﷺ في حديث الدجال: «إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور»(٢) وأشار بيده إلى عينه الحديث، وفي حديث الاستخارة «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب»(٣) الحديث، وقوله ﷺ: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً تدعون سميعاً بصيراً قريباً»(٤) وقوله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي»(٥) الحديث، وفي حديث البعث: «يقول الله تعالى: يا آدم فيقول لبيك»(٦) الحديث، وأحاديث كلام الله لعباده في الموقف وكلامه لأهل الجنة وغير ذلك ما لا يحصى.

س : ما مثال صفات الأفعال من الكتاب؟

جـ : مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١١) ومسلم (الزكاة/ ٩٩٣).
(٢) رواه البخاري (٣٠٥٧، ٣٣٣٧) ومسلم (الفتن/ ٩٥، ١٠٠).
(٣) رواه البخاري (١١٦٢) وأبو داود (١٥٣٨) والترمذي (٤٨٠).
(٤) رواه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥) ومسلم (الذكر/ ٤٤، ٤٥).
(٥) (إسناده فيه ضعف) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٥) والآجري في الشريعة (١٢٦) وفي سنده نعيم بن حماد وقد مضى القول فيه قريباً وفي سند الحديث الوليد بن مسلم وهو يدلس تدليس تسوية، وقد عنعن الحديث عن شيخ شيخه.
(٦) رواه البخاري (٤٧٤١) ومسلم (الإيمان/ ٣٧٩).

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨)﴾ وغيرها من الآيات.

س: **ما مثال صفات الأفعال من السنة؟**

جـ: مثل قوله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»(١) الحديث، وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا»(٢) الحديث؛ ونعني بصفة الفعل هنا الإتيان لا الصورة فافهم، وقوله ﷺ: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك»(٣) الحديث؛ وقوله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي»(٤) وفي حديث احتجاج آدم وموسى: «فقال آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده»(٥) فكلامه تعالى ويده صفتا ذات وتكلمه صفة ذات وفعل معاً وخطه التوراة صفة فعل؛ وقوله ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»(٦)

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١) ومسلم (مسافرين/ ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٣، ٧٤٣٧) ومسلم (الأيمان/ ٢٩٩).

(٣) رواه البخاري (٤٨١٢، ٦٥١٩، ٧٣٨٢) ومسلم (صفة الجنة والنار/ ٢٣).

(٤) رواه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٢٢) ومسلم (التوبة/ ١٤، ١٥، ١٦).

(٥) رواه البخاري (٦٦١٤، ٣٤٠٩، ٤٧٣٦) ومسلم (القدر/ ١٣).

(٦) رواه مسلم (التوبة/ ٣١).

الحديث؛ وغيرها كثير.

س : هل يشتق من كل صفات الأفعال أسماء أم أسماء الله كلها توقيفية؟

جـ : لا بل أسماء الله تعالى كلها توقيفية لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو أطلقه عليه رسوله ﷺ وكل فعل أطلقه الله تعالى على نفسه فهو فيما أطلق فيه مدح وكمال ولكن ليس كلها وصف الله به نفسه مطلقاً ولا كلها يشتق منها أسماء بل منها ما وصف به نفسه مطلقاً كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ وسمى نفسه الخالق الرازق المحيي المميت المدبر؛ ومنها أفعال أطلقها الله تعالى على نفسه على سبيل الجزاء والمقابلة وهي فيما سيقت له مدح وكمال كقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝﴾ ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ولكن لا يجوز إطلاقها على الله في غير ما سيقت فيه من الآيات، فلا يقال أنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزىء ونحو ذلك؛ وكذلك لا يقال ماكر مخادع مستهزىء ولا يقوله مسلم ولا عاقل فإن الله عز وجل لم يصف نفسه بالمكر والكيد والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك بالعدل حسنة من المخلوق فكيف من الخلاق العليم العدل الحكيم.

س : ماذا يتضمن اسمه العلي الأعلى وما في معناه كالظاهر والقاهر والمتعال؟

جـ : يتضمن اسمه الأعلى الصفة المشتق منها وهو ثبوت العلو له عز وجل بجميع معانيه، علو فوقيته تعالى على عرشه عال على جميع

خلقه بائن منهم رقيب عليهم يعلم ما هم عليه قد أحاط بكل شيء علماً لا تخفى عليه منهم خافية. وعلو قهره فلا مغالب له ولا منازع ولا مضاد ولا ممانع، بل كل شيء خاضع لعظمته، ذليل لعزته مستكين لكبريائه، تحت تصرفه وقهره لا خروج له من قبضته. وعلو شأنه، فجميع صفات الكمال له ثابتة وجميع النقائص عنه منتفيه عز وجل وتبارك وتعالى، وجميع هذه المعاني للعلو متلازمة لا ينفك معنى منها عن الآخر.

س : ما دليل علو الفوقية من الكتاب؟

جـ : الأدلة الصريحة عليه لا تعد ولا تحصى فمنها هذه الأسماء وما في معناها ومنها قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ في سبعة مواضع من القرآن ومنها قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ومنها قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ ومنها قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ وغير ذلك كثير.

س : ما دليل ذلك من السنة؟

جـ : أدلته من السنة كثيرة لا تحصى، منها قوله ﷺ في حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»[(١)] وقوله لسعد في قصة قريظة «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة» وقوله ﷺ للجارية: «أين الله»؟ قالت في السماء. قال:

---

(١) (ضعيف جداً) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥٧٧) وأبو داود (٢٧٢٤) والترمذي =

«اعتقها فإنها مؤمنة»[1] وأحاديث معراج النبي ﷺ وقوله ﷺ في حديث تعاقب الملائكة: «ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم»[2] الحديث؛ وقوله ﷺ: «من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب»[3] الحديث، وقوله ﷺ في حديث الوحي: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان»[4] الحديث، وغير ذلك كثير، وقد أقر بذلك جميع المخلوقات إلا الجهمية.

س : ماذا قال أئمة الدين من السلف الصالح في مسألة الاستواء؟

جـ : قولهم بأجمعهم رحمهم الله تعالى: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق والتسليم، وهكذا قولهم في جميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾.

= (٣٣٢٠) وابن خزيمة في التوحيد (٦٨) من طرق عن عبد الرحمن بن عبدالله الرازي ثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس مرفوعاً. . .) وفيه عبدالله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة، وقال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس. والحديث أخرجه أبو داود أيضاً وابن ماجه (١٩٣)، والآجري في الشريعة ص (٢٩٢) من طريق أخرى عن عمرو بن أبي محسن، وعمرو هذا صدوق له أوهام وله بعض المتابعات الأخرى وهي واهية، ومنها ما أخرجه أحمد (٢٠٦/١، ٢٠٧) في سنده يحيى بن العلاء متهم بالوضع.

(١) رواه مسلم (مساجد٣٣)

(٢) رواه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣) ومسلم (مساجد/ ٢١٠).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٠، ١٤١٠) ومسلم (الزكاة/ ٦٣).

(٤) رواه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠).

س : ما دليل علو القهر من الكتاب؟

جـ : أدلته كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ وهو متضمن لعلو القهر والفوقية، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ وغير ذلك من الآيات.

س : ما دليل ذلك من السنة؟

جـ : أدلته من السنة كثيرة منها قوله ﷺ: «أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها»(١) وقوله ﷺ: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك»(٢) الحديث وقوله ﷺ: «إنك تقضي ولا يقضىٰ عليك إنه لا يذلّ من واليت ولا يعز من عاديت»(٣) وغير ذلك كثير.

---

(١) رواه مسلم (الذكر/ ٦١، ٦٢، ٦٣).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢) تقدم هامش ٣ س ٥٢.

(٣) (صحيح) رواه أحمد)(١/ ١٩٩، ٢٠٠) وأبو داود (١٤٢٥، ١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) وابن ماجه (١١٧٨) والحاكم (٣/ ١٧٢) والنسائي (١٧٤٦، ١١٧٨) قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه وسكت عنه الإمام أبو داود مشيراً إلى قبوله وقال الشيخ شاكر رحمه الله: إسناده صحيح. قال الشيخ الألباني: زاد النسائي في آخر القنوت (وصلى الله على النبي الأمي) وإسنادها ضعيف، وقد ضعفها الحافظ ابن حجر العسقلاني والزرقاني وغيرهم اهـ (صفة صلاة النبي ١٦٠) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين إلا أن محمد بن جعفر بن أبي كثير قد خالف إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة في إسناده، وقد صححه ابن خزيمة (١٠٩٥) والألباني.

س : ما دليل علو الشأن وما الذي يجب نفيه عن الله عز وجل؟

جـ : اعلم أن علو الشأن هو ما تضمنه اسمه القدوس السلام الكبير المتعال وما في معناها واستلزمته جميع صفات كماله ونعوت جلاله فتعالى في أحديته أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً له، أو ظهيراً أو شفيعاً عنده بدون إذنه أو عليه يجير، وتعالى في عظمته وكبريائه وملكوته وجبروته عن أن يكون له منازع أو مغالب أو ولي من الذل أو نصير، وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفؤ والنظير، وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن خلق شيء عبثاً وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهي ولا بعث ولا جزاء، وتعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحداً مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئاً من حسناته؛ وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو يفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في جميع ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله عن التعطيل والتمثيل وسبحانه وبحمده وعز وجل وتبارك وتعالى وتنزه وتقدس عن كل ما ينافي إلهيته وربوبيته وأسماءه الحسنى وصفاته العلى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ ونصوص الوحي من الكتاب والسنة في هذا الباب معلومة مفهومة مع كثرتها وشهرتها.

س : ما معنى قوله ﷺ في الأسماء الحسنى (من أحصاها دخل الجنة)؟

جـ : قد فسر ذلك بمعاني منها حفظها ودعاء الله بها والثناء عليه

بجميعها ومنها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها فيما يليق به وما كان يختص به نفسه تعالى كالجبار والعظيم والمتكبر فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد كالغفور الشكور العفو الرؤوف الحليم الجواد الكريم فليقف منه عند الطمع والرغبة؛ وما كان فيه معنى الوعيد كعزيز ذي انتقام شديد العقاب سريع الحساب فليقف منه عند الخشية والرهبة. ومنها شهود العبد إياها وإعطاؤها حقها معرفة وعبودية مثاله من شهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته عليهم واستواءه على عرشه بائناً من خلقه مع إحاطته بهم علماً وقدرة وغير ذلك وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمداً يعرج إليه مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه وعمله ما يخزيه ويفضحه هنالك ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والإعزاز والإذلال، والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ فمن وفى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية فقد استغنى بربه وكفاه، وكذلك من شهد علمه المحيط وسمعه وبصره وحياته وقيوميته وغيرها ولا يرزق هذا

المشهد إلا السابقون المقربون .

س : ماضد توحيد الأسماء والصفات؟

جـ : ضده الإلحاد في أسماء الله وصفاته وآياته ، وهو ثلاثة أنواع : الأول : إلحاد المشركين الذين عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه وسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان .

الثاني : إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفات الله تعالى ، ويشبهونها بصفات خلقه وهو مقابل لإلحاد المشركين فأولئك سووا المخلوق برب العالمين وهؤلاء جعلوه بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبهوه بها تعالى وتقدس .

الثالث : إلحاد النفاة المعطلة : وهم قسمان : قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى ونفوا عنه ما تضمنته من صفات الكمال فقالوا : رحمٰن رحيم بلا رحمة عليم بلا علم سميع بلا سمع بصير بلا بصر قدير بلا قدرة وأطردوا بقيتها كذلك ، وقسم صرحوا بنفي الأسماء ومتضمناتها بالكلية ووصفوه بالعدم المحض الذي لا اسم له ولا صفة سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علواً كبيراً ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

س : هل جميع أنواع التوحيد متلازمة فينافيها كلها ما ينافي نوعاً منها؟

جـ : نعم هي متلازمة فمن أشرك في نوع منها فهو مشرك في البقية مثال ذلك دعاء غير الله وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله ، فدعاؤه إياه عبادة بل

مخ العبادة صرفها لغير الله من دون الله فهذا شرك في الإلهية ، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع شر معتقداً أنه قادر على قضاء ذلك؛ هذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع الله في ملكوته ، ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء من دون الله إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان ويصرحون بذلك وهو شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات ، لا يحجبه قرب ولا بعد فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات .

كلمة الإخلاص

وتحقيق معناها

تأليف

الحافظ ابن رجب الحنبلي

الطبعة الرابعة

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة للمكتب الإسلامي
لصاحبه
زهير الشاويش

الطبعة الاولى - ١٣٨٠ دمشق

الطبعة الثانية - ١٣٨٤ دمشق

الطبعة الثالثة - ١٣٩١ بيروت

الطبعة الرابعة - ١٣٩٧ بيروت

الطبعة الخامسة - ١٣٩٩ بيروت

دمشق : ص.ب ٨٠٠ – هاتف : ١١١٦٣٧ – برقياً : إسلامي

بيروت : ص.ب ١١/٣٧٧١ – هاتف : ٤٥٠٦٣٨ – برقياً : إسلاميا

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فهذه رسالة « كلمة الإخلاص وتحقيق معناها » للامام الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي نقدمها للناس في زمن هم أحوج مايكونون فيه إلى إخلاص توحيدهم وعملهم لله سبحانه وتعالى وكلمة : لا إله إلا الله ، هي الكلمة التي فطر الله عليها جميع مخلوقاته ، وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً ، فكانت شعار الإسلام والفارق بين الكفر والإيمان ؛ فشذ عن تحقيقها كثير من الناس ، طغياناً وكفراً من بعضهم ، وتقليداً وجهلاً من آخرين . وهؤلاء الجهلة المقلدون جعلوا بينهم وبين الحق سداً لا يحاولون منه خلاصاً ولا لدعوة الحق نفوذاً .

وهذه الرسالة فيها من الكلم الطيب ما جمع الكثير من معاني هذه الكلمة بأسلوب وعظيّ سهل ، معين لمن أراد معرفة الحق والرجوع إليه ؛ جعلنا الله من أهل : لا إله إلا الله ، المؤمنين بها ، الكافرين بما سواها ، والعاملين بمقتضاها ، إنه نعم المسؤول .

وقد سبق لهذه الرسالة أن طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٠ م ووقع فيها أغلاط شتى نبه عليها بعضهم برسالة مفردة .

وأما نشرتنا هذه فقد اعتمدنا فيها على أصل خطي كتبه محمد بن عبد العزيز المطاوعة رحمه الله سنة ١٢٧٨ هـ . وهي في ثلاثين صفحة قياس ٢٣×١٩ سم بخط واضح جميل .

وقد قام استاذنا الجليل محدث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بتخريج أحاديثها – جزاه الله خيراً – .

والله أسأل أن يرد المسلمين إلى دينهم ، والعمل بكتاب ربهم ، والكفر بكل معبود سواه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بيروت ١ ذي القعدة ١٣٩٦ هـ .

زهير الشاويش

ترجمة المؤلف

هو الامام الجليل أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي .

ولد في بغداد سنة ٧٣٦ هـ، وقيل: سنة ٧٠٦ . والأول هو الأرجح .

ونشأ في دمشق ، وفيها تلقى العلم على أكابر علماء الملة ، أمثال الامام شمس الدين ابن القيم ، وزين الدين العراقي .

وكان فقيهاً ، محدثاً ، واعظاً ، مؤرخاً ، يميل إلى العزلة والانفراد ، كثير العبادة والتهجد . وكان بينه وبين حنابلة زمانه ، جفوة ، حتى أنه لم يترجم لكثيرين منهم في «ذيل الطبقات »ومنهم آل مفلح وفيهم العلامة ابراهيم بن محمد مؤلف المبدع في شرح المقنع وهو من اعظم كتب الحنابلة في الفقه .

كان رحمه الله يفتي بمقالات شيخ الإسلام ابن تيمية ، ويرجع إلى مؤلفاته . وفي مؤلفات ابن رجب نزعة صوفية عصمه الله من الانحدار في مزالقها بما آتاه الله من علم غزير ومنهج سلفي .

ومن مؤلفاته : «القواعد » و « الاستخراج لأحكام الخراج » و « شرح صحيح البخاري » ولم يكمله و « شرح الترمذي » و « التوحيد » و « وفضل علم السلف على الخلف » و « ذيل طبقات ابن أبي يعلى » وغير ذلك من الكتب المفيدة .

وكانت وفاته عليه رحمة الله في دمشق سنة ٧٩٥ هـ ودفن في مقبرة الباب الصغير .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

خرج البخاري[١] ومسلم في « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل ، فقال : يا معاذ ! قال : لبَّيك يا رسول الله وسعدَيك ! قال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال : ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسوله إلا حرَّمه الله على النار . قال: يا رسول الله ، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : إذاً

---

(١) هو الإمام العظيم محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري أبو عبد الله حافظ الاسلام ، ولد في بخارى سنة ١٩٤ هـ ورحل في طلب العلم حتى بلغ الغاية وألف كتابه « الجامع الصحيح » الذي لا يوجد بعد كتاب الله كتاب أصح منه . وله كتاب « خلق أفعال العباد » و « التاريخ » وغير ذلك .

وقد حسده المرتزقة باسم العلم ، فأوغروا عليه صدر أمير بخارى فنفاه الى قرية (خرتنك) — من قرى سمرقند — فكانت وفاته فيها عليه رحمة الله ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ .

يتكلوا . فأخبر بها معاذ[١] عند موته تأثماً[٢] .

وفي « الصحيحين » عن عتبان بن مالك[٣] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله حرّم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله[٤] » . وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة[٥]

---

(١) هو ابو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي . صاحب رسول الله ﷺ ، ومن أعلم المسلمين بالحلال والحرام . وأحد الستة الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله ﷺ . ولد سنة ٢٠ للهجرة وتوفي سنة ١٨ في غور الأردن ودفن في الغور . وقبره معروف على الجانب الشرقي .

(٢) تخلصاً من اثم كتمان العلم

(٣) عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجي بدري عند الجمهور وحديثه في «الصحيحين» من طريق أنس وابن الربيع وغيرهما ، كان إمام قومه . توفي رضي الله عنه في خلافة معاوية وقد كبر .

(٤) وهذا اللفظ للبخاري في كتاب الصلاة .

(٥) هو ابو هريرة ، عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكثر الناس رواية عنه . ولد سنة ٢١ قبل الهجرة وتوفي سنة ٥٩ في المدينة المنورة .

ـــ أو أبي سعيد بالشك[١] ـــ أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك[٢] فأصابتهم مجاعة ، فدعا النبي ﷺ بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف ذُرَة ، ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة ، ثم قال : « خُذوا في أوعيتكم » ، فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه ، فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى اللهَ بهما عبد غير شاكٍّ فيهما فيُحجبَ عن الجنة » .

---

(١) قلت : والشك من الأعمش ، وقد تابعه طلحة بن مصرف فقال : « عن أبي هريرة » بدون شك رواه مسلم أيضاً .

(٢) تبوك : أرض بين الشام والمدينة ؛ سميت الغزوة باسمها . وتسمى أيضاً غزوة العُسرة ، كانت في زمان أجدبت فيه البلاد ، وكان =

وفي «الصحيحين» عن أبي ذر[١] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« ما من عبد قال : لا إله الا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى وإن سرق ؟!. قال: «وإن زنى، وإن سرق» . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق ثلاثاً »[٢] . ثم قال في الرابعة : « على رغم انف أبي ذر » ، قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر .

= رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا ورى بغيرها إلا في تبوك فإنه جلاها للناس لبعد المشقة والشدة .

(١) هو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ وأحد السابقين الأولين للاسلام. توفي رضي الله عنه في الربذة — احدى قرى المدينة — سنة ٣٢ هـ في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٢) الأصل «وإن زنى ... » مرة واحدة وبعدها « قالها ثلاثاً » والتصحيح من مسلم .

وفي « صحيح مسلم » عن عبادة بن الصامت [١] أنه قال عند موته : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من شهد ان لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، حرّمه الله على النار » [٢] .

وفي « صحيح مسلم » عن عبادة بن الصامت أنه قال عند موته : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة، على ما كان من العمل» .

---

(١) هو الصحابي الجليل أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الانصاري . أحد النقباء بالعقبة ، شهد المشاهد كلها وبه نزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى ... »

أرسله سيدنا عمر مع يزيد ابن أبي سفيان ليفقه أهل الشام . ووقف سيدنا معاوية عند المنبر وقال للناس : اقتبسوا من عبادة فهو أفقه مني . كانت وفاته رضي الله عنه سنة ٣٤ هـ . وقيل : عاش بعد ولاية معاوية للخلافة .

(٢) هذه الجملة الأخيرة كررت في الأصل مرتين والتصحيح من مسلم (٤٣/١) .

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

وأحاديث هذا الباب نوعان :

أحدهما : ما فيه أنَّ من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها ، وهذا ظاهر ، فإن النار لا يخلّد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص ، وقد يدخل الجنة ولا يُحجَب عنها إذا طُهِّر من ذنوبه بالنار .

وحديث أبي ذر معناه: أن الزنى والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد ، وهذا حق لا مِرْية فيه ، ليس فيه أنه لا يعذّب عليهما مع التوحيد .

وفي مسند البزار [١] عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً :

« من قال : لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه » .

الثاني : ما فيه أنه يحرم على النار ، وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها ، أو على نار يخلّد فيها أهلُها ، وهي ما عدا

---

(١) هو الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو البزار البصري صاحب « المسند » الكبير كانت وفاته سنة ٢٩٢

الدرك الأعلى فأما الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين، بذنوبهم، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، وبرحمة ارحم الراحمين.

وفي «الصحيحين»:

«إن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال: لا إله الا الله».

وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن «لا إله إلا الله» سببٌ لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن [١] ووهب ابن منبه [٢] وهو الأظهر.

---

(١) هو التابعي الجليل، أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، الإمام الزاهد الشجاع البليغ. ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ. وقد حفظت لنا الكتب كثيراً من أخباره وكلماته السائرة.

(٢) هو وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني، أصله من أبناء الفرس، يعد في التابعين، مؤرخ يكثر من نقل الاسرائيليات. ولد في اليمن سنة ٣٠ وبها توفي سنة ١١٠ هـ.

وقال الحسن للفرزدق[1] وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ؟ . قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . قال الحسن : نِعمَ العُدَّة . لكن لـ (لا اله إلا الله) شروطاً ، فإياك وقذفَ المحصنة ! .

وقيل للحسن : إن ناساً يقولون : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ فقال : من قال : لا إله إلا الله ، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة .

وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك ، وإلا لم يفتح لك .

وفي هذا الحديث: (إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله) خرّجه الامام أحمد بإسناد منقطع .

وعن معاذ قال : قال لي رسول الله ﷺ : إذا سألك أهل

---

(١) هو همام بن غالب التميمي الدارمي الشاعر البليغ من الطبقة الأولى في الاسلاميين ، وكان من أشراف قومه ، كانت وفاته ، في بادية البصرة سنة ١١٠ هـ . وكلمة الحسن له تعريض بما كان الفرزدق يقوله في شعره من هجر القول .

اليمن عن مفتاح الجنة ، فقل : شهادة أن لا إله إلا الله . ويدل على صحة هذا القول ، أن النبي ﷺ رتّب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص .

كما في « الصحيحين » عن أبي أيوب[1] أن رجلا قال : يا رسول الله ! أخبرني بعمل يُدخلني الجنة . فقال :

« تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم » .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة أن رجلا قال: يارسول الله ! دُلّني على عمل إذا عملتُه دخلت الجنة . قال :

« تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » . فقال الرجل : والذي نفسي بيده ، لا أزيد على هذا شيئاً ، ولا أنقص منه .

---

(١) هو الصحابي الجليل خالد بن زيد النجاري الأنصاري ، شهد العقبة وبدراً وما بعدهما ، ونزل عليه ﷺ لما قدم المدينة ، وشهد مع سيدنا علي قتال الخوارج . وغزا مع جيش يزيد بن معاوية ، وتوفي رضي الله عنه على أبواب القسطنطينية – عاصمة الكفر يومئذ – سنة خمسين .

فقال النبي ﷺ : «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا» .

وفي «المسند» عن بشير بن الخصاصية[1] قال : أتيت النبي ﷺ لابايعه فاشترط عليَّ ، شهادة أن لا أله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أُقيم الصلاة ، وأن أؤدّي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وأن أُجاهد في سبيل الله . فقلت : يا رسول الله ، أما اثنتين فوالله لا أُطيقها : الجهاد والصدقة فانهم زعموا أنه من ولّى الدبر فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرت تلك جشمت نفسي وكرهت الموت والصدقة فوالله مالي إلا غنيمة وعشر ذود[2] هن رسل أهلي

---

(١) هو بشير بن معبد بن شراحيل الدرسي المعروف بابن الخصاصية صحابي جليل ، وحديثه في «الادب المفرد» للبخاري «والسنن» وكان اسمـــه زحماً بالزاي . فغير النبي ﷺ ، وله أحاديث غير هذا . روى عنه بشير بن نهيك وامرأته ليلى .

(٢) في «المسند» (٥/٢٢٤) طبع المكتب الاسلامي وصححه الحاكم (٢/٨٠) ووافقه الذهبي وفيه ابو المثنى العبدي الكوفي وهو مجهول كما قال الحسيني ، واسمه مؤثر بن عفارة .

وحولتهن ، قال : فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها، ثم قال : «فلا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذاً ؟» . قلت : يا رسول الله أبايعك ، فبايعته عليهن كلهن (١).

ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج .

ونظير هذا أن النبي ﷺ قال :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فهم عمر (٢) وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانع الزكاة ، وفهم الصدّيق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها ، لقوله ﷺ :

= (١) غنيمة : مصغر غنم . والذود : من ثلاثة الى عشرة من الابل . والرسل النبي ما كان والحمد له ما يحتملون عليه .

(٢) هو أمير المؤمنين ، ابو حفص ، عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي . صاحب رسول الله ﷺ ، وثاني الخلفاء الراشدين ، ومضرب المثل في العدل . أسلم قبل الهجرة فأعز الله به الاسلام وتولى الخلافة بعد ابي بكر رضي الله عنه سنة ١١ هـ ففتح الله به الفتوح ووطد بــه الملك . وقد توفي – رضي الله عنه – مقتولاً بيد ابي لؤلؤة غلام المغيرة سنة ٢٣ هـ .

« فاذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله » ، وقال : الزكاة حق المال .

وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي ﷺ صريحاً غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر [١] وأنس وغيرهما وأنه قال :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم » كما دل قوله تعالى : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين » على أن الأخوة في الدين

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي وهاجر الى المدينة وهو ابن عشر سنين، استصغر في غزوة بدر . ثم أجازه رسول الله ﷺ في غزوة الخندق . كان إماماً متيناً واسع العلم كثير الرواية ، له ألف وستمائة حديث ، ومما رواه الامام احمد منها وليس بينه وبين الرسول ﷺ سوى ثلاثة نفر ، حديثاً انظر الجزء الاول من « نفثات صدر المكمد في شرح ثلاثيات الامام احمد» للسفاريني وكان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ عاش سبعاً وثمانين سنة ، توفي رضي الله عنه سنة ٧٤ هـ .

لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد . فان التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد .

فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا الى قوله ، ورأوه صواباً .

فاذا عُلم أن عقوبة الدنيا لا ترفع عمن أدّى الشهادتين مطلقاً ، بل يعاقب باخلاله بحق من حقوق الاسلام ، فكذلك عقوبة الآخرة .

وقد ذهب طائفة الى أن هذه الاحاديث المذكورة أولاً وما في معناها، كانت قبل نزول الفرائض والحدود، منهم الزهري [١] والثوري [٢] وغيرهما ، وهذا بعيد جداً ، فان كثيراً منها كان

---

(١) هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن عبيد الله الزهري المدني ، أحد الفقهاء الأعلام المشهورين ، قال ابن تيمية : حفظ الزهري الاسلام نحواً من سبعين سنة . مات رحمه الله سنة ١٢٤ هـ وعمره ٧٤ سنة .

(٢) هو سفيان بن سعيد الثوري ، أمير المؤمنين في الحديث ، وأحد السادات علماً وعملاً . قال ابن رجب : وجد في القرن الرابع سفيانيون — أي مقلدون له في الفقه — وهذه الجملة تشير الى أن المسلمين لم يقتصروا في أي زمان على المذاهب الاربعة . وكانت وفاته سنة ١٦٠هـ .

بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك، وهي في آخر حياة النبي ﷺ.

وهؤلاء منهم من يقول في هذه الاحاديث إنها منسوخة[1].

ومنهم من يقول: هي محكمة، ولكن ضم إليها شرائط ويلتفت هذا إلى أن الزيادة على النص: هل هي نسخ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الاصوليين مشهور، وقد صرَّح الثَّوري وغيره بأنها منسوخة، وأنه نسخها الفرائض والحدود. وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والايضاح، فان السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً، ويكون مقصودهم، أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم، فصارت تلك النصوص منسوخة، أي: مبيَّنة مفسَّرة، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أي: مفسِّرة لمعنى تلك، موضحة لها.

---

(١) وهذا كالذي قبله في البعد، لما تقرر في علم الأصول من أن الأخبار لا تنسخ. والأحاديث المذكورة أخبار، فلا يجوز القول بنسخها.

وقالت طائفة : تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخر ، ففي بعضها :

« من قال: « لا إله إلا الله مخلصاً » وفي بعضها: « مستيقناً »، وفي بعضها : « يصدق لسانه » . وفي بعضها : « يقولها حقاً من قلبه » ، وفي بعضها : « قد دل بها لسانه واطمأن بها قلبه »

وهذا كله إشارة الى عمل القلب ، وتحققه بمعنى الشهادتين ، فتحقيقه بقول : لا إله إلا الله أن لا يأله القلب غير الله حباً ورجاءً ، وخوفاً ، وتوكلاً واستعانة، وخضوعاً وإنابة، وطلباً. وتحقيقه بأن محمداً رسول الله، ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد ﷺ [1] ، وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ صريحاً أنه قال: « من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة.

---

(١) ولا يكون ذلك إلا بسد باب الابتداع في العبادات والاستحسان في الدين باسم البدعة الحسنة ، لأن هذه التسمية بذاتها من البدع أيضاً ، ورسول الله ﷺ يقول : « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » ، ولا يمكن أن يكون هذا الحديث من العام المخصوص كما يقول بعض المتأخرين ، لأسباب كثيرة ، منها: أنه لا يوجد ما يخصه =

قيل : ما إخلاصها يا رسول الله؟ قال : أن تحجزك عما حرم

= من النصوص ، وما يتوهمونه منها مخصصاً ، فليس كذلك ، بل ما صح منها مما يورده بهذا الخصوص ، فانما يدل على استحسان بعض الوسائل الحدثة ، لأنها قد توصل الى أمور مشروعة بالنص ، فهذه الوسائل هي التي تقبل التقسيم الى خمسة أقسام ، لا البدعة الدينية ، وهذا كما يقال : « ما لا يكون الواجب إلا به فهو واجب » ومن ذلك جمع القرآن ، وتصنيف الكتب وغير ذلك ، فكلها من الوسائل المشروعة لأنها تؤدي الى ما هو مشروع بالنصوص كما لا يخفى ، فليست هي من البدعة في شيء ، خلافاً لما يظنون ، وهذه الوسائل هي من التي يمكن حمل الحديث الصحيح عليها : « من سنّ في الاسلام سنة حسنة ... ومن سن في الاسلام سنة سيئة ... » وسبب وروده يدل على ذلك دلالة قاطعة ، لأن النبي ﷺ إنما قاله بمناسبة قيام رجل من الصحابة – بعد أن حضهم النبي ﷺ على الصدقة ، فذهب الرجل الى داره ثم عاد ومعه شيء من الصدقة ، فوضعها أمام النبي ﷺ ، فلما رأى سائر الصحابة ما فعل الرجل ،استنوا به ، وجاء كل واحد منهم بما تيسر من الصدقة ، فاجتمع أمام النبي ﷺ ما شاء الله منها ، فقال هذا الحديث ، أفترون ذلك الصحابي أتى ببدعة حسنة ، حين جاء بالصدقة ولذلك فإننا نقطع بأن باب التقرب الى الله تعالى ليس يمكن دخوله إلا من طريق اتباع محمد ﷺ ، كيف لا وهو القائل « ما تركت شيئاً يقربكم الى الله إلا وقد أمرتكم به » ، وقد فهم هذه الحقيقة سلفنا الصالح رضي الله عنهم ، ولذلك أمرونا باتباعها فقالوا : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ، عليكم بالأمر العتيق » .

الله عليك. وهذا يُروى من حديث أنس بن مالك ، وزيد[١] بن أرقم، ولكن إسنادهما لا يصح[٢]. وجاء أيضاً من مراسيل الحسن بنحوه .

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله ؛ والإله هو الذي يطاع فلا يُعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً ، وتوكلاً عليه ، وسؤالاً منه ، ودعاءً له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الآلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول : لا إله إلا الله ، ونقصاً في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه

---

(١) هو الصحابي الجليل زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري ، له تسعون حديثاً . وهو الذي سمع رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول يقول : (ليخرجن الأعز منها الاذل) فأخبر الرسول ﷺ فانكر عبد الله فأنزل الله الوحي تصديقاً لزيد . غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة . وشهد صفين مع سيدنا علي ، وكانت وفاته رضي الله عنه بالكوفة سنة ٦٦ وقيل ٦٨ هـ .

(٢) قلت حديث زيد أشار المنذري في «الترغيب» الى تضعيفه وآفته محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو وضاع، كما قال الهيثمي (١٨/١)

من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه ، أو التوكل عليه والعمل لأجله ، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء، وعلى الحلف بغير الله، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه، وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة ، مثل أن يقول : ما شاء الله وشاء فلان[1] ، وكذا قوله : ما لي إلا الله وأنت ، وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة ، والرقى المكروهة ، وإتيان الكهانَ وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتّباع هوى النفس فيما نهى الله عنه ، قادحٌ في تمام التوحيد وكماله ، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من هوى النفس أنها كفر وشرك ، كقتال المسلم ، ومن أتى حائضاً أو امرأة في

---

(١) كما في حديث حذيفة مرفوعاً : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » أخرجه أبو داود وغيره بسند صحيح . كما بينته في « الصحيحة » (١٣٧)

دبرها ، ومن شرب الخمرة في المرة الرابعة [١] ، وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملّة بالكلية ،ولهذا قال السلف : كُفر دون كفر ، وشرك دون شرك .

وقد ورد إطلاق الآله على الهوى المتَّبَع ، قال الله تعالى : (أفرأيت من اتخذ إلهَـهُ هواه) [٢]؟ . قال : هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه . وقال قتادة [٣] : هو الذي كلما هَوِيَ شيئاً ركبه،

---

(١) لا أعلم حديثاً في إطلاق الكفر أو الشرك على من شرب الخمر بقيد المرة الرابعة ، وإنما روى الطبراني عن ابن عباس قال : « لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم الى بعض، وقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك » . وقال المنذري في « الترغيب » (١٨٥/٣) : ورجاله رجال الصحيح . والذي ورد بقيد المرة إنما هو القتل بعد جلده في المرات الثلاث وهو حديث صحيح متواتر ، رواه الحاكم (٣٧١/٤) وحده عن سبعة من الصحابة . وصححه ابن حبان عن اثنين منهم ، وعن ثامن ايضاً (١٥١٧ — ١٥١٩) .

(٢) الجاثية : ٢٣

(٣) هو ابو الخطاب ، قتادة بن دعامة السدوسي البصري، الحافظ المفسر العالم بالعربية والنسب وأيام العرب . ولد سنة ٦١ هـ وتوفي سنة ١١٨ هـ . بمدينة واسط جنوبي العراق .

وكلما اشتهى شيئاً أتاهُ ، لا يحجزُه عن ذلك ورعٌ ولا تقوى .

ورُوِي من حديث أبي أمامة[١] باسناد ضعيف : « ما تحت ظل سماء إله يعبد أعظم عند الله من هوىً متَّبع » .

وفي حديث آخر : « لا تزال لا إله إلا الله تدْفَع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم ، فاذا فعلوا ذلك ردَّت عليهم ، ويقال لهم : كذبتم »[٢] .

ويشهد لذلك الحديثُ الصحيح عن النبي ﷺ : « تَعِس عبدُ الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخَميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » . فدل

---

(١) هو الصحابي الجليل ابو أمامة صدي – بالتصغير – بن عجلان ابن وهب ابو أمامة الباهلي غلبت عليه كنيته. قال سفيان بن عيينه : هو آخر من بقي في الشام من الصحابة . وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ست وثمانين . وقيل : إحدى وثمانين هـ .

(٢) رواه ابن النجار عن زيد بن أرقم ، كما في « الجامع الكبير » ولا يصح .

هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطاعـــه ، وكان غاية قصده ومطلوبه ، ووالى لأجله، وعادى لأجله ، فهو عبده ، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه .

ويدل عليه أيضاً أن الله تعـالى سمّى طاعة الشيطان في معصيته عبادةً للشيطان ، كما قال تعـالى : (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطانَ) [١] . وقال تعـالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام لأبيه : (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً) [٢]، فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ، ولم يخلُص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن ، وهم الذين قال فيهم : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) [٣]. فهم الذين حققوا قولَ : « لا إله إلا الله »، وأخلصوا في قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا الى غير الله محبةً ورجاءً وخشية وطاعة وتوكلاً ، وهم الذين صدقوا في قول : « لا إله إلا الله » وهم عباد الله حقاً ، فأما من

---

(١) يس : ٦٠ . (٢) مريم : ٤٤ . (٣) الحجر : ٤٢

قال : « لا إله إلا الله » بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذّب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ، (ومن أضل ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله ؟)[١] (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)[٢] .

فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى ، فان الهوى يهوي بصاحبه في النار : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟)[٣] !

تعس عبد الدرهم ! تعس عبد الدينار ! والله لا ينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ، ولم يلتفت الى شيء من الأغيار ، من علم أن معبوده الله فرد ، فليفرده بالعبودية ، (ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً)[٤] .

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه ، على رأس جبل ، فقال في كلامه: لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد ؛

---

(١) القصص : ٥٠ (٢) ص : ٢٦ (٣) يوسف : ٣٩

(٤) الكهف : ١١٠ وانظر رسالة «العبودية» لشيخ الاسلام ابن تيمية فالمؤلف اورد هنا الكثير من كلامه .

فانزعج واضطرب ، حتى رأى أصحـــابُه أن الصخور قد تدكدكت ، وبقي على ذلك ساعة ، فلمـــا أفاق فكأنه نُشر من قبره .

قول : « لا إله إلا الله » تقتضي أن لا يُحب سواه ، فان الآله هو الذي يطاع، فلا يعصى محبة وخوفاً ورجاءً ، ومن تمام محبته محبةُ ما يحبـــه وكراهة ما يكرهه ، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله، أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول : لا إله إلا الله ، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه الله قال الله تعالى: (ذلك بأنهم اتَّبعوا ما أسخط اللهَ وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)[1] .

قال الليث[2] عن مجاهد[3] في قوله : (لا يشركون في

(١) محمد : ٢٨

(٢) هو الإمام الجليل الليث بن سعد ، إمام أهل مصر في عصره ، حديثا وفقها . أصله من خراسان ومولده في قلقشندة ، ووفاته في القاهرة ، وكان من الكرماء الأجواد ، كانت وفاته رحمه الله سنة ١٧٥هـ .

(٣) هو ابو الحجاج ، مجاهد بن جبر ، تابعي ، من شيوخ القراء والمفسرين ولد سنة ٢١ هـ . وتوفي سنة ١٠٤ .

شيئاً)[١] قال : لا يحبون غيري .

وفي صحيح الحاكم[٢] عن عائشة[٣] رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، أو تبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والبغض ؟ .

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٥

(٢) هو الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري الحافظ المعروف بالحاكم ، صاحب التصانيف ، إمام صدوق .

قال الحافظ الذهبي في الميزان : لكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة ويكثر من ذلك ، وكان فيه تشيع من غير تعرض للشيخين . مات رحمه الله سنة ٤٠٥ هـ

(٣) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كناها أم عبد الله ، كانت أفقه نسائه صلى الله عليه وسلم روت عنه الكثير ، لها ألفان ومائتان وعشرة أحاديث . ماتت رضي الله عنها سنة ٥٨ هـ ودفنت بالبقيع . وانظر « الاجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة » للامام الزركشي طبع المكتب الاسلامي بتحقيق الاستاذ الافغاني . فان فيها من علمها ما يدهش .

قال الله عز وجل: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله)[١].

وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاةُ على ذلك والمعاداة فيه من الشرك الخفي.

وقال الحسن: اعلمْ أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته!.

وسئل ذو النون[٢]: متى أُحبُّ ربي؟. قال: اذا كان ما يبغضه عندك أمرَّ من الصبر!.

وقال بشر بن السري[٣]: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبُك!.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١ وتمامها: «ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم». والحديث ضعيف الاسناد كما بينته في «الضعيفة» رقم (٣٧٥٥).

(٢) هو ذو النون المصري الزاهد، واسمه ثوبان بن ابراهيم. ويقال: الفيض بن ابراهيم، أحد الزهاد المشهورين، قال الحافظ الذهبي في الميزان: له أحاديث فيها نظر. أصله من النوبة مات رحمه الله سنة ٢٤٥ هـ.

(٣) هو بشر بن السري الأفوه، أبو عمرو البصري ثم المكي الواعظ رمي بالتجهم، واعتذر وتاب، صاحب مواعظ، متكلم، وحديثه في الكتب الستة. مات رحمه الله سنة ١٩٥ هـ عن ثلاث وستين سنة.

وقال أبو يعقوب النَّهْرجوْرِي [١] : كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة .

وقال يحيى بن معاذ [٢] : ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده .

وقال رويم [٣] المحبة الموافقة في جميع الأحوال ، وأنشد :

ولو قلتَ لي : مت ، قلت : سمعاً وطاعة
وقلت لداعي الموت : أهـــلاً ومرحبا

ويشهد لهذا المعنى أيضاً قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون

---

(١) هو إسحاق بن محمد أبو يعقوب النهرجوري نسبة الى نهر جور بين الأهواز وميسان ، من علماء الصوفية ، صحب الجنيد ، وعمرو بن عثمان المكي ، وأبا يعقوب السوسي وغيرهم ، أقام بالحرم سنين كثيرة مجاوراً . مات رحمه الله سنة ٣٣٠ هـ .

(٢) هو الواعظ الزاهد ، ابوزكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، خرج الى بلخ وأقام بها مدة ، ثم رجع الى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٠هـ.

(٣) هو أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي ، من أهل بغداد كان فقيهاً ظاهرياً على مذهب داود الأصبهاني ،وكان مقرئاً ، قرأ على إدريس بن عبد الكريم . مات رحمه الله سنة ٣٠٣ هـ .

الله فاتبعوني يحببكم الله)[١] .

قال الحسن : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نحب ربنا حباً شديداً ، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ومن هاهنا يُعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله الا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ، فانه اذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، فلا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا من جهة محمد المبلّغ عن الله ما يحبه وما يكرهه باتّباع ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله ﷺ وتصديقه ومتابعته ، ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله تعالى : (قُل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم) الى قوله: (أحبَّ اليكم من الله ورسوله)[٢] .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣١

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٤ — والآية بتمامها : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين» .

كما قرن طاعته وطاعة رسوله ﷺ في مواضع كثيرة .

وقال ﷺ : « ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الايمان: أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما، وأن يحب الرجل لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار »[١] .

هذه حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل النفوس وقالوا لفرعون : اقضِ ما أنت قاضٍ ! . ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا الى طاعة الرب ، وهذا هو معنى الحديث الآلهي الذي خرّجه البخاري في « صحيحه » وفيه : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ؛ ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها »[٢] . وقد قيل : إن في بعض الروايات : فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) حديث صحيح كما حققته في « الصحيحة » (١٦٤٠) .

وفي يمشي. والمعنى أن محبة الله اذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا الى مراضي الرب، وصارت النفس حينئذ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها.

يا هذا! اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف، إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يُرِدْ صاحبُها إلا ما يريد مولاه.

وفي بعض الكتب السالفة: من أحبَّ الله لم يكن شيءٌ عنده آثرَ من رضاه، ومن أحبَّ الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه.

وروى ابن أبي الدنيا[1] باسناده عن الحسن قال: ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على

(١) هو الامام أبو بكر عبد الله بن محمد بن سفيان البغدادي الحافظ المعروف بابن أبي الدنيا. صدوق صاحب التصانيف. مات رحمه الله سنة ٢٠٨ هـ

قدمي ، حتى أنظر على طاعة الله أو على معصيته ، فان كانت طاعة تقدمتُ ، وإن كانت معصية تأخرت .

هذا حال خَوَاصِّ المحبين الصادقين ، فافهموا رَحمكم الله هذا ، فانه : من دقائق أسرار التوحيد الغامضة . والى هذا المقـــام أشار النبي ﷺ في خطبته لما قدم المدينة حيث قال : « أحبُوا من كل قلوبكم »[١]. وقد ذكرها ابن إسحاق[٢] وغيره . فان من امتلأ قلبه من محبـــة الله لم يكن فيه شيء أفرغ من إرادات النفس والهوى ، والى ذلك أشار القائل[٣] بقوله :

---

(١) رواه ابن إسحاق بدون سند كما في سيرة ابن هشام (٣/١٤٦- ١٤٧) .

(٢) هو أبو بكر محمـــد بن إسحـــاق بن يسار المطلبي بالولاء ، المدني أحد الأئمة الأعلام ، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة له السيرة النبوية رواها عنه ابن هشام وكتاب الخلفاء ، وكان قدرياً ومن حفاظ الحديث حجة إذا صرح بالتحديث ، سكن بغداد ومات سنة ١٥١ فيها .

(٣) هو احمد بن حسين المتنبي في قصيدته التي مطلعها :

فدًا لك من يقصر عن مداكا فلا ملك اذن الا فداكا

أروح وقد ختمتَ على فؤادي   بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طرفي   فلم أنظرْ به حتى أراكا !
أحبك لا ببعضي بل بكلي   وإن لم يُبق حبك لي حراكا
وفي الأحباب مخصوص بوجد   وآخر يدَّعي معه اشتراكا
اذا اشتبكت دموع في خدود   تبين من بكا ممن تباكى !
فاما من بكى فيذوب وجداً   وينطق بالهوى من قد تشاكا

متى بقي للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة إلا الدعوى ، إنما المحب من يفنى عن كله ، ويبقى بحبيبه، فبي يسمع وبي يبصر .

القلب بيت الرب :

وفي الاسرائيليات يقول الله : « ما وسعني سمائي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن »[١] . فمتى كان القلب

---

(١) لقد أحسن المؤلف صنعاً بعزوه هذا الكلام الى الاسرائيليات، وقد جاء في كتب بعض المتصوفة وغيرهم مرفوعاً الى رسول ﷺ واشتهر كذلك على الألسنة ، ولا أصل له مرفوعاً كما نص عليه الأئمة .

فيه غير الله فالله أغنى الأغنياء عن الشرك ، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى ... الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه ، أو يكنّ فيه شيء ما يرضاه .

أردناكُمْ صِرْفاً فلما مزجتم بعدتم بمقدار التفاتِكُمْ عنّا
وقلنا لكم : لا تُسكِنوا القلبَ غيرَنا
فأسكنتم الاغيار ، ما أنتم منّا !

لا ينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه ، قال الله تعالى : (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)[1] . القلب السليم : هو الطاهر من أدناس المخالفات ، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدوس إلا بعد أن يطهر في كير العذاب ، فاذا زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة .

« إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً[2] » . فأما القلوب الطيبة فتصلح

(١) سورة الشعراء ، الآيتان : ٨٨ ، ٨٩

(٢) هذا طرف من حديث لأبي هريرة رواه مسلم في « صحيحه » مرفوعاً

للمجاورة من أول الأمر : (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)[١] . (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)[٢] . (الذين يتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة)[٣].

من لمْ يحْرِقْ اليوم قلبَه بنار الأسف على ما سلف ، أو بنار الشوق الى لقاء الحبيب ،فنار جهنم له أشد حراً .

ما يحتاج الى التطهر بنار جهنم إلا من لم يُكْمل تحقيق التوحيد والقيامَ بحقوقه .

أول من تُسْعَر به النار من الموحدين العباد المراؤون بأعمالهم، واولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء ، لأن يسير الرياء شرك[٤].

ما نظر المرائي إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق .

المرائي يزوّر التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل[٥]

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢٤

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٣٢

(٤) يشير الى حديث أبي هريرة في «صحيح مسلم » (٦/ ٤٧) .

(٥) البرطيل بكسر الباء : الرشوة ، جمعه : براطيل .

لنفسه ، ويوهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية .

نَقَش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج ، والبهرج [1] لا يجوز إلا على غير الناقد .

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوة ، وعبيد الهوى الذين أطاعوا هواهم ، وعصوا مولاهم ، فأما عبيد الله حقاً فيقال لهم : « يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي » [2] .

جهنم تنطفىء بنور إيمان الموحدين .

وفي الحديث : « تقول النار للمؤمن : جُزْ يا مؤمن فقد

---

(١) البهرج : الباطل ، والرديء ، وهذا هو المناسب هنا ، والبهرجة أن يُعدل بالشيء عن الجادة القاصدة الى غيرها ، والمبهرج من المياه المهمل الذي لا يُمنع عنه ، بل يَرده كل من هب ودب ، والمبهرج من الدماء المهدر ، وقول أبي محجن لسعد بن أبي وقاص : بهرجتني ؛ أي : أهدرتني بإسقاط الحد عني .

(٢) سورة الفجر ، الآيات : ٢٧ — ٣٠ .

أطفأ نورك لهبي »[١] .

وفي « المسند »[٢] عن جابر[٣] عن النبي ﷺ : « لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم »[٤] . حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم .

هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام .

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم .

---

(١) رواه الطبراني وابن عدي وغيرهما بسند ضعيف ومنقطع . وقد خرجته في « الضعيفة » (٣٤١٣) .

(٢) (ج ٣ ص ٣٢٨ – ٣٢٩) عن أبي سمية عنه ، وأبو سمية مجهول كما قال الذهبي ، وقد صححه هو والحاكم ، وفيه نظر ليس هذا موضع بيانه .

(٣) هو الصحابي الجليل ابو عبد الله ، او ابو عبد الرحمن ، او ابو محمد ، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي المدني ، أحد المكثرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن شهد العقبة ، غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة . توفي رضي الله عنه سنة ٧٨ هـ عن ٧٤ سنة .

(٤) يشير الى قوله تعالى في سورة الأنبياء : (قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) .

قال الجنيد [١] : قالت النار : يارب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء أشد مني ؟ . قال : أسلط عليك ناري الكبرى . قالت : وهل نار أعظم مني وأشد ؟ قال : نعم ، نار محبتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين .

قفا قليلاً بها عليَّ ، فلا أقل من نظرة أزودها
ففي فؤاد المحب نار جوى أحرّ نار الجحيم أبردها

فلولا دموع المحبين تطفىء بعض حرارة الوجد لاحترقوا كمداً .

دعوه يطفي بالدموع حرارة
على كبدٍ حرَّى ، دعُوه ، دعوه

(١) هو ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهوند ، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير ، وعرف بالخزاز لأنه كان يعمل الخز . عده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة . ومن كلامه : طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به . وليس كل من ادعى الانتساب اليه على طريقته . توفي رحمه الله سنة ٢٩٧ هـ .

سَلُوا عاذليه يعذروه هنيهة

فبالعذل دون الشوق قد قتلوه!

كان بعض العارفين، يقول: أليس عجباً أن أكون بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق الى ربي مثل الشُعَلِ التي لا تنطفىء؟!..

ولم أرمثلَ نار الحب ناراً   تزيد ببعد موقِدِها اتقاداً

* * *

ما للعارفين شغل بغير مولاهم، ولا همّ في غيره.

وفي الحديث: «من أصبح وهَمُّهُ غير الله فليس من الله»[١].

قال بعضهم: من أخبرك أن وليه له هَم في غيره فلا تصدقه.

وكان داود الطائي[٢] يقول: همك عطّلَ عليَّ الهموم،

---

(١) ضعيف جداً، وقد خرّجته في الأحاديث الضعيفة (٣٠٨ — ٣١٠).

(٢) هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي، كان في أيام المهدي العباسي، أصله من خراسان، ومولده الكوفة، رحل الى بغداد فأخذ عن أبي حنيفة وغيره وعاد الى الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة الى ان مات فيها رحمه الله سنة ١٦٥ هـ. وله أخبار مع أمراء عصره وعلمائه.

وحالف بيني وبين السهاد ، وشوقي الى النظر إليك أوبق [١] مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات ، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب ..

ما لي شغل سواه، ما لي شغلُ　　ما يصرف عن هواه قلبي عذلُ
ما أصنع إن جفا وخاب الأملُ؟　　مني بدل ومنه ما لي بدلُ!

إخواني : إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً من قلبه حرّمه الله على النار » [٢]. فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها ، فان هذه الكلمة اذا صدقت طهّرت القلب من كل ما سوى الله ، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله ، فمن قلة الصدق في قولها .

---

(١) أوبق مني اللذات : أي حبسها أو أهلكها .

(٢) أخرجه مسلم (٤٣/١) وأبو عوانة (١٦/١) وأحمد (٣١٨/٥) عن عبادة بن الصامت مرفوعاً ، وزادوا : « وأن محمداً رسول الله » لكن ليس عندهم : « صادقاً من قلبه » وإنما هو عند أحمد (٢٢٩/٥) من حديث معاذ نحوه . وسنده صحيح .

من صَدَقَ في قـول : لا إله إلا الله ، لم يحبَّ سواه ، ولم يرج سواه ، ولم يخشَ أحداً إلا الله ، ولم يتوكل إلا علـى الله ، ولم يُبق له بقية من آثار نفسه وهواه ، ومع هذا فلا تظنوا أن المحب مطالب بالعصمة ، وإنما هو مطالب كلما زَلَّ أنـ يتلافى تلك الوصمة .

قال زيد بن أسلم [١] : إن الله ليحبُّ العبدَ حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك [٢] .

---

(١) هو أحد الأعلام الإمام الفقيه العابد ابو عبد الرحمن زيد بن أسلم العدوي ، يروي عن أبيه وعن ابن عمر وجابر وعائشة ، سئل عنه عبيد الله بن عمر فقال : ما أعلم به بأساً إلا أنه يفسر القرآن برأيه ، توفي رحمه الله سنة ١٣٦ هـ .

(٢) إنما أحب الله عبده هذا الحب لإقبال العبد عليه بكليته وفنائه في عبوديته ، فلو أطلق له السراح وتُرِك والمباح ، لما فعل إلا ما يحبه الله ، وهذا يذكرنا بصفوة الصحابة من أهل بدر الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعل الله أطلع على أهل بدر ، فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . رواه البخاري .

وقال الشعبي [١] : إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب .

وتفسير هذا الكلام أن الله عز وجل له عناية بمن يحبه ، فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده الى نجوة النجاة ، ييسر له التوبة ، وينبهه على قبح الزلة ، فيفزع الى الاعتذار ، ويبتليه بمصائب مكفّرة لما جنى .

وفي بعض الآثار [٢] : يقول الله تعالى : أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أويسهم [٣] من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فانا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهّرهم من المعايب .

---

(١) هو ابو عمرو عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الكوفي الإمام العلم من التابعين ، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بالكوفة وبها نشأ ومات ، وهو من رجال الحديث الثقات ، كان فقيهاً وشاعراً ، يضرب المثل بحفظه . قال : ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث الا حفظته . مات رحمه الله سنة ١٠٣ هـ .

(٢) يعني الموقوفة ، وكأنه من الاسرائيليات .

(٣) أي : لا أقنطهم .

وفي « صحيح مسلم »[1] عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: « الحمى تُذهِبُ الخطايا كما يذهب الكير الخبث ».

وفي « المسند »[2] و « صحيح ابن حبان »[3] عن عبد الله بن مغفل[4] أن رجلاً لقي امرأة كانت بغياً في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده اليها، فقالت، مه[5] فان الله قد أذهب الشرك وجاء بالاسلام، فتركها وولى، فجعل يلتفت خلفه ينظر

---

(١) في « باب البر » (٨/١٦) أن رسول الله ﷺ قال لأم السائب أو أم المسيب: « لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد.

(٢) (ج ٤/٨٧) ورجاله ثقات، لكن فيه عنعنة الحسن البصري. ومن طريقه ابن حبان (٢٤٥٥).

(٣) هو الأمام ابو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي الحافظ المعروف بابن حبان من فقهاء الاسلام وحفاظ الآثار، صنف كتباً كثيرة، منها «الضعفاء والمجرحين» و «المسند الصحيح» و «الثقات» وغير ذلك، تولى قضاء سمرقند مدة. مات رحمه الله سنة ٣٠٤ هـ.

(٤) في الأصل: ابن معقل، وكذا في المطبوعة.

(٥) مه: أي: أكفف.

اليها حتى أصاب الحائط وجهه [١] فاخبر النبي ﷺ بالأمر فقال : « أنت عبد أراد الله بك خيراً » . ثم قال : « إن الله اذا أراد بعبده شراً أمسك ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » .

يا قوم ! قلوبكم على أصل الطهارة ، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب ، فَرُشّوا عليها قليلاً من دموع العيون وقد طهرت .

اعزموا على فِطام النفوس عن رَضاع الهوى ، فالحمية [٢] رأس الدواء ، متى طالَبتكم بمألوفاتها فقولوا مقالة تلك المرأة لذلك الرجل الذي دمي وجهه : أذهب الله الشرك وجاء بالاسلام ، والاسلام يقتضي الاستسلامَ والانقياد للطاعة .
ذكِّروها مدحة (إن الذين قالوا ربُنا الله ثم استقاموا [٣]

---

(١) لعله أصيب بما شوهه او جرحه او أسال دمه انتقاماً من الله وتعجيلاً له بالتأديب .

(٢) الحمية (بكسر فسكون ففتح) : الامتناع عن الشي .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٣٠ — وتمامها : (تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) .

تحِنّ الى الاستقامة .

عرِّفوها اطلاعَ من هو أقرب إليها من حبل الوريد[١] لعلها تستحي من قربه ونظره : (ألم يعلم بأن الله يرى)[٢] ، (إن ربك لبالمرصاد)[٣] .

راوَدَ رجل امرأةً في فلاة ليلا فأبت ، فقال لها : ما يرانا إلا الكواكب . قالت : فأين مُكوكِبُها ![٤] .

أكرَهَ رجلٌ امرأةً على نفسها ، وأمرها بغلق الأبواب ، فقال لها : هل بقي باب لم يغلق ؟ . قالت : نعم ، الباب الذي بيننا وبين الله تعالى ، فلم يتعرض لها .

رأى بعض العارفين رجلا يكلّم امرأة فقال : إن الله يراكما ، سترنا الله وإياكما ! .

---

(١) الوريد : عرق في العنق .

(٢) سورة العلق الآية : ١٤ .

(٣) سورة الفجر ، الآية : ١٤ .

(٤) مكوكبها : أي خالقها وصانعها .

سئل الجنيد[١] : بمَ يستعان على غضّ البصر ؟ . قال : بعلمك أنّ نَظَرَ الله إليك أسبقُ من نظرك إليه .

قال المحاسبي[٢] : المراقبة : علم القلب بقرب الرب ... كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره .

وصّى النبي ﷺ رجلاً أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه[٣] .

قال بعضهم : استحِ من الله على قدر قربه منك ، وخف الله على قدر قدرته عليك .

كان بعضهم يقول لي : منذ أربعين سنة ما خطوت لغير

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) هو ابو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي ، الزاهد المشهور صاحب التصانيف والرد على المعتزلة والرافضة وغيرهم ، وله كلام في التصوف يدل على غزارة علمه . روى عن الجنيد ، مات سنة ٢٤٣هـ .

(٣) رواه ابن عدي (٢/٥٣و٢٠٣/١) والسلمي في « آداب الصحبة » الصفحة (١٢) عن سعيد بن زيد بإسنادين واهيين عن أبي أمامة . ثم خرجته في « الضعيفة » (١٥٠٠ ، ١٦٤٢) .

الله ، ولا نظرت الى شيء أستحسنه حياءً من الله عز وجل :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري
وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرتْ عيناي بعدك منظراً
لغيرك إلا قلت قد رمَقَاني
ولا بدرت من فيَّ بعدك لفظة
لغيرك إلا قلت : قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة
على القلب إلا عرَّجا بعناني

(فصل)

في فضائل لا اله الا الله

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ها هنا استقصاؤها ، فلنذكر بعض ما ورد فيها ، فهي كلمة التقوى كما قال عمر رضي الله عنه الصحابة ، وهي كلمة الاخلاص ، وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ، ونجاة هذا الأمر ، ولأجلها خلق الخلق .

كما قال تعالى: (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)(١) ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، كما قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليـــه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)(٢) . وقال تعالى (ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون)(٣) ونحو هذه الآيات .

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٢ .

وما عدّد الله على عبـاده من النعم في سورة آية النعم التي تسمى « النحل » ، ولهـــذا قال ابن عيينة [١] : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمةً أعظم من أن عرّفهم لا إله إلا الله . وإن لا إله الا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب،ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم مالَه ودمه ، ومن أباها فمالُه ودمه هدر ، وهي مفتاح الجنة ، ومفتاح دعوة الرسل ، وبها كلّم الله موسى كفاحاً [٢] .

وفي « مسند » البزار [٣] وغيره عن عياض الأنصاري [٤] عن

---

(١) هو الإمام سفيان بن عيينة الهلالي ، أحد الثقات الاعلام ، أجمعت الأمة على الاحتجاج به ، كان قوي الحفظ . قال وهب بن منبه : ما رأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة . وقال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز ، مات رحمه الله سنة ١٩٨ هـ .

(٢) كفاحاً : أي مواجهة .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) ذكره ابن حجر في الاصابة (٥١/٣) وذكر له حديثين ، هذا أحدهما .

النبي ﷺ قال : « إن لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة ، ولها من الله مكان ، وهي كلمة من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة ، ومن قالها كاذباً : حقنت دمه ، وأحرزت ماله ، ولقي الله غداً فحاسبه »[١] ، وهي مفتاح الجنة كما تقدم .

وهي : ثمن الجنة :

قاله الحسن . وجاء مرفوعاً من وجوه ضعيفة : « ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة[٢] » .

وهي . نجاة من النار :

وسمع النبي ﷺ مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : « خرج من النار » . خرّجه مسلم .

---

(١) في سنده ضعف ، وكان في المتن نقص وتقديم وتأخير صححناه من « مجمع الزوائد » و « الجامع الكبير » .

(٢) قلت : بل هو حديث صحيح جاء من وجوه بعضها حسن ، وهو مخرج في « المشكاة » (١٦٢١) و « أحكام الجنائز » (٣٤) و « ارواء الغليل تخريج احاديث منار السبيل » (٦٧٩) .

وهي : توجب المغفرة :

في « المسند » عن شدّاد بن أوس[١] وعبادة بن الصامت[٢] أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً : « ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله » . فرفعنا ايدينا ساعة ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده، ثم قال : الحمد لله ، اللهم بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ، ووعدتني بها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد » ، ثم قال : أبشروا فإن الله قد غفر لكم»[٣].

وهي أحسن الحسنات :

قال أبو ذر : قلت يا رسول الله ! كلمني بعمل يقربني من الجنة ، ويباعدني من النار . قال: «اذا عملت سيئة فاعمل حسنة، انها عشر أمثالها » . قلت يا رسول الله ، لا إله إلا الله من

---

(١) هو الصحابي الجليل ابو يعلى شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي كان رضي الله عنه عابداً مجتهداً ، مات سنة ٥٨ هـ .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) « المسند » (٤/١٢٤) وفي سنده ضعف ، وحسنه المنذري .

الحسنات ؟ قال : « هي أحسن الحسنات »[١] .

وهي تمحو الذنوب والخطايا :

وفي « سنن ابن ماجه »[٢] عن أم هانيء[٣] عن النبي ﷺ قال : « لا إله إلا الله لا تترك ذنباً ، ولا يسبقها عمل »[٤] .

رؤي بعض السلف بعد موته في المنام ، فسئل عن حاله ، فقال : ما أبقت لا إله إلا الله شيئاً .

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩/٥) عنه قال : قلت : يارسول الله أوصني ، قال : « إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها » ، قال : قلت ... الحديث . وسنده حسن ، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٨٢) ولفظه أقرب .

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن يزيد ، أحد الأئمة في علم الحديث . من أهل قزوين ، ولد سنة ٢٠٩هـ وصنف كتبه « السنن » و « التفسير » و « التاريخ » توفي سنة ٢٧٣ هـ . وماجه بالهاء الساكنة لا بالتاء المربوطة .

(٣) هي أم هانيء فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية ، ابنة عم رسول الله ﷺ روت أحاديث عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها . أسلمت يوم الفتح رضي الله عنها . قال الترمذي : عاشت بعد أخيها علي .

(٤) في سند ابن ماجه (٣٧٩٧) زكريا بن منظور : ضعيف .

وهي تجدد ما درس من الايمان في القلب :

وفي « المسند »[١] أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « جدِّدوا إيمانكم » . قالوا : كيف نجدد إيماننا ؟ . قال : « قولوا : لا إله إلا الله، وهي لا يعدلها شيء في الوزن، فلو وُزِنت بالسموات والأرض رجحت بهن » .

كما في « المسند »[٢] عن عبد الله بن عمرو[٣] عن النبي ﷺ « أن نوحاً قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله ، فان السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت[٤] بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات

---

(١) « ٣٥٩/٢ » وصححه الحاكم وضعفه الذهبي فأصاب . وقد خرجته في « سلسلة الاحاديث الضعيفة » (٩٠٠) .

(٢) (ج ٢/١٧٠/٢٢٥) بسند صحيح .

(٣) هو ابو محمد ويقال : ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو بن العاص، القرشي ، صحابي عالم عابد . ولد سنة ٧ ق هـ وتوفي سنة ٦٥ هـ . وقد كان يكتب ما يسمع من حديث الرسول ﷺ بإذنه .

(٤) أي : زادت عليهن .

السبع والارضين السبع كنّ في حلقة مبهمة قصمتهن[1] لا إله إلا الله .

وفيه[2] أيضاً عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : « أن موسى عليه السلام قال : يا رب علّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به . قال : يا موسى قل : لا إله إلا الله ، قال : يا رب ! كل عبادك يقولون هذا . قال: قل : لا اله الا الله . قال : لا إله إلا أنت يا رب ، إنما أريد شيئاً تخصني به . قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن[3] غيري والارضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله .

وكذلك ترجح بصحائف الذنوب، كما في حديث السجلات

---

(١) وكذا في المخطوطة . وفي « المسند » (قصمتهن) وفي الموضع الآخر منه « لفصمتها أو قصمتها » على الشك .

(٢) يعني « المسند » ، وعزوه اليه خطأ ، كما أن عزوه الى حديث عبد الله بن عمرو خطأ ، وإنما هو من حديث أبي سعيد الخدري كما في الحاكم (٥٢٨/١) وغيره بسند ضعيف . وانظر « الترغيب » (٢٣٨/٢) و « المجمع » (٨٢/١٠) و « الجامع الكبير » (١/٩١/٢) .

(٣) وعامرهن غيري : أي والمدبر لهن المسيطر عليهن غيري .

والبطاقة ، وقد خرّجه أحمد[1] والنسائي[2] والترمذي[3] أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ[4].

وهي التي تخرق الحجب حتى تصل الى الله عز وجل :

---

(١) هو الإمام المعظم الحجة الفقيه المجتهد ابو عبد الله احمد بن محمد ابن حنبل الصابر المحتسب ، ناصر السنة ، شيخ البخاري ومسلم ، أشهر مؤلفاته «المسند» ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢٤١ هـ. طبعه المكتب الاسلامي كاملاً مع فهرس على أحرف الهجاء للصحابة .

(٢) هو الإمام الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن علي بن الخرساني النسائي القاضي صاحب « السنن » . قال الدارقطني كان أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث والرجال ، ولد سنة ٢١٥ هـ خرج من مصر في ذي القعدة سنة ٣٠٢ هـ وتوفي بفلسطين ودفن ببيت المقدس سنة ٣٠٤ هـ .

(٣) هو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي ، الحافظ الضرير ، أحد الأئمة الاعلام ، صاحب « الجامع » و « التفسير » ، تلميذ البخاري وابن المديني ، كان يضرب به المثل في الحفظ . مات رحمه الله سنة ٢٧٩ هـ .

(٤) قلت : وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وفي مخطوطات المكتبة الظاهرية « جزء البطاقة » من رواية السلفي .

وفي الترمذي[١] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه »[٢].

وفيه[٣] أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « ما قال عبد : لا إله إلا الله مخلصاً إلا فُتحت له أبواب السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر » .

ويروى عن ابن عباس[٤] مرفوعاً : « ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب ، إلا قول : لا إله إلا الله كما ان شفتيك لا تحجبها كذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي الى الله عزّ وجل »[٥] .

---

(١) وقال : « ليس إسناده بالقوي » .

(٢) وكذا في المخطوطة ، وفي الترمذي « حتى تخلص » .

(٣) أي : الترمذي (٢/٢٧٩) وقال : « حديث حسن » . قلت : وإسناده حسن .

(٤) هو الصحابي الجليل ابو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وحبر الأمة وترجمان القرآن . ولد بمكة سنة ٣ قبل الهجرة وتوفي في الطائف سنة ٦٨ هـ .

(٥) لم أجده حتى ولا في « الجامع الكبير » .

وقال أبو أمامة [١]: ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهـــا شيء دون العرش .

وهي التي ينظر الله الى قائلها ، ويجيب دعاه، خرّج النسائي في كتاب « اليوم والليلة » من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ؛ مخلصاً بها روحه مصدقاً بها لسانه ، إلا فتق له السماء فتقاً ، حتى ينظر الى قائلها من أهل الأرض ، وحُقّ لعبد نظر اليه أن يعطيه سؤله » [٢] .

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها .

كما أخرج النسائي والترمذي [٣] وابن حبان من حديث أبي

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) عزاه في « الجامع الكبير » (١/٤٧٧/٢) للحكيم عن يعقوب ابن عاصم قال : حدثني رجلان من الصحابة ، ويعقوب هذا من رجال مسلم ووافقه ابن حبان ، فان كان السند اليه صحيحاً فالحديث ثابت .

(٣) وحسنه ، وفيه أبو إسحاق وهو السبيعي وكان اختلط . ثم وجدت له متابعاً وغيره ، فخرجته في « الصحيحة » (١٣٩٠) .

هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال : اذا قال العبد : لا إله إلا الله والله أكبر ، صدّقه ربه ، وقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر : وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، يقول الله : لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، قال الله : لا إله إلا أنا ، لي الملك ، ولي الحمد ، وإذا قال : لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله : لا إله إلا أنا ، ولا حول ولا قوة إلا بي » . وكان يقول : « من قالها في مرضه ثم مات لم تَطْعَمْهُ النار » .

وهي أفضل ما قاله النبيون .

كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة .

وهي أفضل الذكر .

كما في حديث جابر المرفوع : « أفضل الذكر لا إله إلا الله » .[1]

---

(١) قلت : وكلاهما حسن كما بينته في « الصحيحة » (١٥٠٣ — ١٤٩٧) والثاني في « المشكاة » (٢٣٠٦) .

وعن ابن عباس : أحب كلمة الى الله لا إله إلا الله ، لا يقبل الله عملاً إلا بها .

وهي أفضل الاعمال واكثرها تضعيفاً[١] ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزاً من الشيطان ؛

وكما في « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحي عنه مائة سيئة ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا أحد عمل اكثر من ذلك » .

وفيها أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل » .

---

(١) تضعيفاً : أي تكثيراً للثواب ومضاعفة له . وتعدل : تساوي .

وفي الترمذي[١] عن ابن عمر مرفوعاً : « من قالها إذا دخل السوق ، وزاد فيها : يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا الله عنه ألف ألف سيئة ، ورفع الله له ألف ألف درجة . وفي رواية : ويبنى له بيت في الجنة » .

ومن فضائلها أنها امان من وحشة القبر وهول الحشر .

كما في « المسند »[٢] وغيره عن النبي ﷺ قال : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ،

---

(١) وضعفه بقوله : « حديث غريب » . وهو كما قال . لكن له طرق يرتقي بها إلى مرتبة الحسن كما بينته في « تخريج أحاديث الكلم الطيب » (٢٢٩) و « الترغيب » (٥/٣) .

(٢) هذا وهم ، فليس هو في مسند أحمد ، وإنما رواه ابن أبي الدنيا وابن عدي وغيرهما بإسناد واهٍ جداً ، واستنكره المنذري . ثم خرجته في « الضعيفة » (٣٨٥٣)

ويقولون : (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)[١].

وفي حديث مرسل : « من قال: لا إله إلا الله الملك الحق المبين . كل يوم مائة مرة كانت له أماناً من الفقر ، وأنساً من وحشة القبر ، واستجلبت له الغنى ، واستفرغت له باب الجنة ».

وهي شعار المؤمنين اذا قاموا من قبورهم .

قال النضر بن عربي: بلغني أن الناس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم : لا إله إلا الله .

وقد خرّج الطبراني[٢] حديثاً مرفوعاً : « ان شعار هذه الأمةعلى الصراط: لا إله إلا أنت »[٣].

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣٤ .

(٢) هو ابو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب اللخمي الطبراني نسبة الى طبرية الشام وليس الى « طبرستان » . الحافظ الثبت المعمّر أحد الأئمة المعروفين والحفاظ المكثرين ، صاحب المعاجم الثلاثة : الكبير والأوسط والصغير مات رحمه الله سنة ٣٦٠ هـ .

(٣) من حديث ابن عمرو باسناد ضعيف ورواه العقيلي أيضاً في « الضعفاء » .

ومن فضائلها انها تفتح لقائلها ابواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء .

كما في حديث عمر عن النبي ﷺ فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء ، وقد خرجه مسلم .[١]

وفي « الصحيحين » عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء »[٢]

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة[٣] عن النبي ﷺ في قصة

---

(١) هو الامام الحافظ ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب « الصحيح » المعروف باسمه والذي يلي كتاب الامام البخاري في الصحة ويمتاز عليه في التبويب والترتيب وله عدد من المؤلفات . ولد سنة ٢٠٤ هـ . وتوفي سنة ٢٦١ هـ .

(٢) في الأصل « فتحت ثمانية ابواب الجنة » وفي المطبوعة : « فتحت له أبواب الجنة الثمانية » . والتصحيح من مسلم (٤٢/١) ولفظ البخاري « من ابواب الجنة الثمانية ايها شاء » .

(٣) هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب العبشمي . قال البخاري : =

منامه الطويل ، وفيه قال : « ورأيت رجلاً من أُمتي انتهى الى أبواب الجنة ، فأغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ، فتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة »[١].

ومن فضائلها ان اهلها وان دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فانهم لا بد ان يخرجوا منها .

وفي «الصحيحين» عن أنس[٢] عن النبي ﷺ قال: « يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله» .

وأخرج الطبراني عن أنس عن النبي ﷺ قال : إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم عبدة

= له صحبة ،وكان اسلامه يوم الفتح ، وشهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ ثم شهد فتوح العراق روى عن النبي ﷺ ومعاذ بن جبل . وروى عنه عبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن سيرين ، والحسن البصري . مات رحمه الله سنة ٥٠ .

(١) رواه الطبراني باسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي ، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي ، وكلاهما ضعيف كما في « المجمع » (١٨٠/٧) .

(٢) هو الصحابي الجليل انس بن مالك بن النضر ، الخزرجي الانصاري ، خادم رسول الله ﷺ . ولد بالمدينة سنة ١٠ ق. هـ. وتوفي في البصرة سنة ٩٣، وهو رضي الله عنه،آخر من مات فيها من الصحابة .

اللات والعزى[١]: ما أغنى عنكم قول: لا إله إلا الله ؛ فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار، فيدخلون الجنة»[٢] ومن كان في سخطه يُحسن فكيف يكون اذا ما رضي؟ .. لا يسوي بين من وحّده وإن قصَّر في حقوق توحيده، وبين من أشرك به.

قال بعض السلف: كان إبراهيم عليه السلام يقول: اللهم لا تشرك من كان يشرك بك شيئاً بمن كان لا يشرك بك.

كان بعض السلف يقول في دعائه: اللهم إنك قلت عن أهل النار: إنهم «أقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من

---

(١) اللات صنم كان بالطائف تعظمها جميع العرب وكان موضعها منارة مسجد الطائف اليسرى وقد أرسل رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فهدمها وحرقها.

والعزى صنم اتخذه ظالم بن أسعد وكان موضعها بوادي نخلة الشامية على يمين المتجه الى العراق من مكة. وكانت أعظم الأصنام عند قريش. وعام الفتح أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فكسرها.

(٢) لم أعثر عليه ولا في «الجامع الكبير».

يموت»[1]، ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت. اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة .

كان أبو سليمان[2] يقول : إن طالبني ببخلي طالبته بجوده ، وإن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه ، وإن أدخلني النار أخبرت أهل النار أني أحبه .

ما أطيب وصله وما أعذبه ! وما أثقل هجره وما أصعبه!
وفي السخط والرضى ما أهيبه! القلب يحبه وإن عذّبه

وكان بعض العارفين يبكي طول ليله ويقول : إن تعذبني فاني لك محب ، وإن ترحمني فاني لك محب ! ..

---

(١) سورة النحل ، آية ٣٨ – والآية بتمامها : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(٢) لعله أبو سليمان عبد الرحمن بن عطيه الداراني العبسي ، المتعبد المشهور . كان يقول : ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة . توفي رحمه الله سنة ٢١٥ هـ . ودفن في داريا جنوب غربي دمشق .

العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما يخافون من العذاب .

قال ذو النون : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي .

كان بعضهم يقول : إلهي وسيدي ومولاي ! لو أنك عذبتني بعذابك كله، كان ما فاتني من قربك أعظمَ عندي من العذاب .

قيل لبعضهم : لو طردك ما كنت تفعل ؟

فقال :

إذا أنا لم أجد من الحب وصلا   رمت في النار منزلا ومقيلا
ثم أزعجت أهلها بندائي   بكرة في عرصاتها وأصيلا
معشر المشركين ناحوا على من   يدعي أنه يحب الجليلا
لم يكن في الذي ادعاه محقاً   فجزاه به العذاب الطويلا !

إخواني !

اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيـــد ، فانه لا ينجي من عذاب الله إلا اياه . ما نطق الناطقون اذ نطقوا أحسن من : لا اله الا الله .

ما نطق الناطقون اذ نطقوا   أحسن من لا اله الا هو
تبارك الله ذو الجلال ومن   أشهد أن لا اله الا هو
من لذنوبي ومن يمحصهـــا   غيرك يا من لا اله الا هو
جنان خلد لمن يوحـــده   أشهد أن لا اله الا هو
نيرانه لا تحـــرق من   يشهد أن لا إله إلا هو
أقولها مخلصاً بلا بُخلٍ   أشهد أن لا اله الا هو

والحمد لله رب العالمين .

الوحدة الثالثة: الحديث النبوي الشريف

لماذا يدرس الحديث النبوي الشريف؟

ضرورة حفظ حديث النبي Ë .

أهمية نقل هذه المادة لغيرك، لاسيما:

❋ زوجك.

❋ أولادك.

❋ أقاربك.

❋ جيرانك.

❋ الأصدقاء.

❋ تلاميذ دور القرآن والحضانات.

ـ العناية بالجمع بين معرفة الحديث والعمل به؛ لنزداد به إيمانا وحبا لله ورسوله Ë .

ـ تكرار النظر في الحديث وتكراره وفهمه وتدبره: مما يعين على العمل به ونشره وحثِّ الآخرين عليه.

ـ حاول أن تسأل نفسك بعد كل حديث:

❋ ما الجديد الذي استفدته؟

❋ هل ازددت حبًّا لرسول الله Ë .

❋ هل نما حُبي واستمساكي بالسنة المطهرة؟

ـ **المطلوب:**

١) حفظ الحديث وتكراره وفهم معانيه.

٢) دراسة هذا الإطار النظري المتقدم وتطبيقه.

الحديث النبوي الشريف[1]

١) عَـنْ عُثْـمَانَ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «مَـنْ مَـاتَ وَهُـوَ يَعْلَـمُ أَنَّـهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ دَخَـلَ الْـجَنَّةَ». (م٢٦)

٢) عَـنْ ابْـنِ مَسْـعُودٍ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَجُـلٌ: يَـا رَسُـولَ اللهِ أَنُؤَاخَـذُ بِـمَا عَمِلْنَـا فِي الْـجَاهِلِيَّةِ؟ قَـالَ: «مَـنْ أَحْسَـنَ فِي الإِسْـلَامِ؛ لَمْ يُؤَاخَـذْ بِـمَا عَمِـلَ فِي الْـجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَـاءَ فِي الإِسْـلَامِ؛ أُخِـذَ بِـالأَوَّلِ وَالآخِـرِ». (خ٦٩٢١، م١٢٠)

٣) عـن علي بـن أبي طالـب رضي الله عنه سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «لَعَـنَ اللهُ مَـنْ ذَبَـحَ لِغَيْرِ اللهِ وَلَعَـنَ اللهُ مَـنْ آوَى مُحْدِثًـا وَلَعَـنَ اللهُ مَـنْ لَعَـنَ وَالِدَيْـهِ وَلَعَـنَ اللهُ مَـنْ غَـيَّرَ الْـمَنَارَ».(م ١٩٧٨)

٤) عَـنْ عَبْـدِ اللهِ رضي الله عنه قَـالَ: سَـأَلْـتُ النَّبِـيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْـبِ أَعْظَـمُ عِنْـدَ اللهِ؟ قَـالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِـدًّا وَهُـوَ خَلَقَـكَ»، قُلْـتُ إِنَّ ذَلِـكَ لَعَظِيـمٌ قُلْـتُ: ثُـمَّ أَيٌّ؟ قَـالَ: وَأَنْ تَقْتُـلَ وَلَدَكَ تَخَـافُ أَنْ يَطْعَـمَ مَعَـكَ»، قُلْـتُ ثُـمَّ أَيٌّ؟ قَـالَ: «أَنْ تُـزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». (خ٤٤٧٧، م٨٦)

٥) عَـنْ أَبِـى هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «قَـالَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ: إِذَا هَـمَّ عَبْـدِى بِسَـيِّئَةٍ فَـلاَ تَكْتُبُوهَـا عَلَيْـهِ، فَـإِنْ عَمِلَهَـا فَاكْتُبُوهَـا سَـيِّئَةً، وَإِذَا هَـمَّ بِحَسَنَـةٍ فَلَـمْ يَعْمَلْهَـا فَاكْتُبُوهَـا حَسَـنَةً فَـإِنْ عَمِلَهَـا فَاكْتُبُوهَـا عَـشْرًا». (خ٧٥٠١، م١٢٨) واللفظ لمسلم.

٦) عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه عَـنْ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «اجْتَنِبُـوا السَّـبْعَ الْـمُوبِقَاتِ»، قَالُـوا: يَـا رَسُـولَ اللهِ وَمَـا هُـنَّ؟ قَـالَ: «الـشِّرْكُ بِـاللهِ، وَالسِّـحْرُ، وَقَتْـلُ النَّفْـسِ الَّتِـي حَـرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْـحَقِّ، وَأَكْـلُ الرِّبَـا، وَأَكْـلُ مَـالِ الْـيَتِيمِ، وَالتَّـوَلِّي يَـوْمَ الزَّحْـفِ، وَقَـذْفُ الْـمُحْصَنَاتِ الْـمُؤْمِنَاتِ الْـغَافِلَاتِ[2]». (خ٢٧٦٦، م٨٩)

(١) من كتاب نفع الأمة بتقريب صحيح السنة للدكتور أحمد النقيب -أحسن الله إليه-.

(٢) **المحصنات**: العفيفات والحرائر المسلمات، الغافلات: سليمات الصدور نقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر ولا يقع في نفوسهن فعل الفاحشة.

٧) عن أنس ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ». (خ١٧، م٧٤)

٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». (خ٦٣٢١، م٧٥٨)

٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ È عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ». (خ٧٣٧٩)

١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ». (خ٧٣٨٢، م٢٧٨٧)

١١) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ È يَقُولُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». (م ٢٦٥٤)

١٢) عَنْ صُهَيْبٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».(م ٢٩٩٩)

١٣) كان سَعْدٌ ﵁ يَأْمُرُ بِخَمْسٍ وَيَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». (خ٦٣٦٥)

١٤) قَـالَ عَبْـدُ اللهِ ﵁ : كَأَنِّي أَنْظُـرُ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ يَحْكِـي نَبِيًّـا مِـنْ الْأَنْبِيَـاءِ ضَرَبَـهُ قَوْمُـهُ فَأَدْمَـوْهُ وَهُـوَ يَمْسَـحُ الـدَّمَ عَـنْ وَجْهِـهِ وَيَقُـولُ: اللهـمَّ اغْفِـرْ لِقَوْمِـي فَإِنَّهُـمْ لَا يَعْلَمُــونَ. (خ٣٤٧٧، م١٧٩٢)

١٥) عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ: «كُلُّ أُمَّتِـي يَدْخُلُـونَ الْـجَنَّةَ إِلَّا مَـنْ أَبَى». قَالُـوا: يَـا رَسُـولَ اللهِ وَمَـنْ يَأْبَـى؟ قَـالَ: « مَـنْ أَطَاعَنِـي دَخَـلَ الْـجَنَّةَ، وَمَـنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَـى». (خ٧٢٨٠)

الوحدة الرابعة: السيرة النبوية

ما معنى السيرة؟

لماذا تدرس السيرة؟

أهمية هذه الجمل.

كيف ندرس هذه الجمل؟

* الفهم.
* التكرار والمدارسة.
* تصور المعاني.
* حفظ المناسب.

هل يمكن أن تطرح على نفسك هذه الأسئلة؟

* هل استفدت شيئا من كل سنَةٍ من السيرة أنت درستها؟
* هل يمكن أن تكتب الفوائد وتصنفها (فقهية-أصولية-حضارية-....)؟
* هل تستطيع أن تنقل ما درست وفهمت إلى غيرك؟ لاسيما:
  - زوجك.
  - أولادك.
  - إخوانك.
  - تلاميذك.
* كيف يمكن أن تحول هذه المعارف والمعاني إلى أعمال صالحة؟

Q

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، فهذه جمل مختصرة نافعة من سيرة النبي ﷺ نرجو من الله قبولها:

(١) **السيرة في اللغة**: الطريقة، وعند أهل العلم: عَلَم على ما يتصل بالنبي ﷺ من جملة أقواله، وأخلاقه، وهديه، ومعاملاته، وغزواته، وبعوثه وسراياه، وأعماله.

(٢) وقد ألف المتقدمون في السيرة كما ألف المتأخرون وأخطر من ألف فيها «المستشرقون» ومن لف لفهم أو (نحا نحوهم).

(٣) وتدرس السيرة لأسباب فيها أنها التطبيق العملي لمعاني الاعتقاد، لا سيما عند تأمل السنن الكونية، لتكون في ذلك أصلاً لدراسة الواقع والمستقبل.

(٤) يجوز الاحتجاج بالخبر الضعيف في السيرة بضوابط.

(٥) تنوع مصادر دراسة السيرة وهذا هو الصواب.

(٦) تبدأ سيرة النبي ﷺ بتعريف موجز عن حال العرب قبل البعثة.

(٧) أمه آمنة بنت وهب، حملت النبي ﷺ ومات أبوه عبد الله، وهو الذبيح الثاني، وماتت أمه بالأبواء، وكفله جده عبد المطلب، ومات والنبي ﷺ ابن الثامنة، ليكفله عمه أبو طالب.

(٨) لما بلغ الخامسة والعشرين تزوج من خديجة، وعمل بتجارتها، وكانت زوجة بر وبركة، وبشرها النبي ببشارة جبريل ومنزلتها بالجنة.

(٩) حبب إليه ﷺ الخلاء، فكان يخلو للتفكر والتدبر حتى أوحى الله إليه، وكان نبيًا بآيات العلق ورسولاً بآيات المدثر.

(١٠) أول من آمن به من النساء زوجته خديجة، وآمن به ابن عمه علي بن أبي طالباوخادمه: زيد بن حارثة، وصديقه: أبو بكر، وتتابع دخول الناس في الدعوة التي استمرت سرًا ثلاث سنين، وكانت الدعوة إلى التوحيد ومكارم الأخلاق.

(١١) أمر النبي ﷺ بالجهر بالدعوة، وعُذِّب المسلمون بقسوة، فلما كانت السنة الخامسة من الدعوة: هاجر رهط من المسلمين إلى الحبشة، ثم كانت الهجرة الثانية للحبشة وكان عدد المسلمين المهاجرين في الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة.

(١٢) في السنة السادسة من الدعوة أسلم حمزة وعمر، واستمرت الدعوة أقوى بعد إسلامهما لمدة أربع سنين.

(١٣) في السنة العاشرة للدعوة توفي عم النبي ﷺ ثم توفيت زوجته، واشتد الإيذاء، فهاجر إلى الطائف، ثم عاد سريعًا إلى مكة ليواصل الدعوة.

(١٤) أسلم نفرٌ من أهل يثرب، وبايعوا النبي ﷺ في سنتين متتاليتين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية، وبعدها أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير مع أهل يثرب، ليعلمهم الإسلام والقرآن، ثم كانت هجرة الصحابة، ومن بعدهم هاجر النبي ﷺ وأبو بكر، ولم يبق في مكة إلا المستضعفون كعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص.

(١٥) في السنة الأولى من الهجرة، وهي رأس السنة الثالثة عشر من الدعوة:

أ ـ أسس مسجده من الطين وعمده جذوع النخل، وسقفه الجريد.

ب ـ بنى بيوت أزواجه.

ج ـ آخى بين المهاجرين والأنصار.

د ـ وادع اليهود بالمدينة.

هـ ـ زيدت الصلاة إلى أربع ركعات.

و ـ أرسل حمزة في سرية في ثلاثين رجلاً من المهاجرين فكانت أول سرية في الإسلام، ثم أرسل أخرى بقيادة سعد بن أبي وقاص في شهر شوال بعد الهجرة بخمسة أشهر وهكذا توالت السرايا.

وفي هذه السنة أسلم عالم اليهود عبد الله بن سلام.

(١٦) السنة الثانية من الهجرة، وفيها:

أ ـ فرض الجهاد.

ب ـ ازدادت العمليات العسكرية بين المسلمين والمشركين، وأهمها غزوة بدر في شهر رمضان.

جـ ـ فرض صوم رمضان.

د ـ رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأذان في منامه فأقره النبي ﷺ وأمر به.

هـ ـ صرف الله عز وجل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام.

و ـ زوج النبي ﷺ ابنته فاطمة إلى علي بن أبي طالب Ç .

(١٧) السنة الثالثة من الهجرة، وفيها:

أ ـ طرد النبي ﷺ يهود بني قينقاع من المدينة.

ب ـ في شهر شوال كانت معركة أحد يوم السبت.

ج ـ قتل بأحد أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب.

د ـ في صباح يوم الأحد وبعد صلاة الفجر، خرج المسلمون إلى حمراء الأسد.

هـ ـ في ربيع الأول عقد عثمان بن عفان Ç على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقية، وبنى بها في جمادى الآخرة.

و –ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وأيضًا حملت في هذه السنة بالحسين Ç .

(١٨) السنة الرابعة من الهجرة، وفيها:

أ –في شهر صفر كانت حادثة الرجيع حيث غدرت قبائل عضل والقارة بدعاة الإسلام الستة، فقتلوا أربعة، منهم عاصم بن ثابت الأوسي وأسروا اثنين منهما خبيب بن عدي الأنصاري، فقدموا بهم مكة واشتراهما أهل مكة وقتلوهما.

ب –وفي شهر صفر أيضًا كانت وقعة بئر معونة، حيث غدر بسفراء المسلمين السبعين، فقتلوهم جميعًا إلا عمرو بن أمية الضمري.

جـ –وفي شهر ربيع كانت غزوة بني النضير، وأنزل الله فيهم سورة الحشر، وتسمى بسورة بني النضير، وأجلاهم النبي ﷺ عن المدينة.

د –شرع تحريم الخمر أثناء حصار بني النضير.

هـ -في شعبان ولد الحسين بن علي.

و -تزوج النبي ﷺ من زوجته زينب بنت خزيمة وأم سلمة بنت أمية.

(١٩) السنة الخامسة من الهجرة، وفيها:

أ ـ غزوة دومة الجندل، في ربيع الأول.

ب ـ غزوة بني المصطلق، وهي المريسيع.

ج ـ حادثة الإفك وبراءة عائشة á .

د ـ غزوة الخندق في شهر شوال.

هـ ـ القضاء على يهود بني قريظة.

و ـ زواج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان وبزينب بنت جحش.

ز ـ فرض الحجاب، صبيحة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش.

(٢٠) السنة السادسة من الهجرة، وفيها:

أ ـ في شهر ذي القعدة، كان صلح الحديبية مع مشركي قريش بأمر من الله سبحانه وتعالى.

ب ـ ازدياد النشاط العسكري للمسلمين، حيث جابت سراياهم منطقة الحجاز.

ج ـ فرض الحج.

د ـ أرسل النبي ﷺ كتبه ورسائله إلى الملوك وعمال الآفاق وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل.

هـ ـ غزوة ذي قرد.

(٢١) السنة السابعة من الهجرة، وفيها:

أ ـ غزوة خيبر، في شهر الله المحرم.

ب ـ النهي عن نكاح المتعة، وعن لحم الحمر الأهلية، وكان هذا في فتح خيبر.

ج ـ قدوم جعفر والمسلمين من الحبشة.

د ـ عمرة القضاء، وإقامة المسلمين بمكة ثلاث ليال.

هـ ـ إسلام خالد بن الوليد.

(٢٢) السنة الثامنة من الهجرة، وفيها:

أ ـ سرية مؤتة، ومقتل الأمراء الثلاثة، وإمرة خالد بن الوليد.

ب ـ سرية أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهنة.

ج ـ الفتح الأعظم فتح مكة، في شهر رمضان.

د ـ غزوة هوازن، يوم حنين.

هـ ـ سرية أوطاس بقيادة أبي عامر الأشعري.

و ـ غزوة الطائف في شهر شوال.

ز ـ تأمير النبي ﷺ عتاب بن أسيد على مكة، وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو أول من أقام الحج في الإسلام.

(٢٣) السنة التاسعة من الهجرة، وفيها:

أ ـ غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة، في شهر رجب، وهي آخر غزوة غزاها النبي ﷺ.

ب ـ إسلام ثقيف، وكانت في رمضان بعد تبوك، وهدم صنمهم اللات.

ج ـ دخول الناس في دين الله أفواجا.

د ـ تأمير أبي بكر Ç على الحج، ثم إرسال علي Ç بسورة براءة.

هـ ـ وفاة النجاشي Ç ، وصلاة الغائب عليه.

و ـ وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.

ز ـ وفاة عدو الله عبد الله بن أبي سلول في آخر هذه السنة.

(٢٤) السنة العاشرة من الهجرة، وفيها:

أ ـ توسع النبي ﷺ في إرسال البعوث والسرايا للدعوة والجهاد.

ب ـ إدعاء مسيلمة الكذاب.

جـ ـ حجة الوداع وتسمى حجة البلاغ وأيضًا حجة الإسلام.

(٢٥) السنة الحادية عشرة من الهجرة، وفيها:

أ ـ إرهاصات موته ﷺ.

ب ـ مرض النبي ﷺ.

جـ ـ رؤيته أصحابه قبل موته.

د ـ موته ﷺ يوم الإثنين قبل صلاة الظهر في حجرة عائشة á .

هـ ـ خلافة أبي بكر Ç .

و ـ تغسيل النبي ﷺ والصلاة عليه ودفنه بعد العشاء الآخرة ليلة الأربعاء.

جزاه الله عنا وعن الإسلام كل خير

انتهى،،،،

الوحدة الخامسة: الأصول العلمية

أهمية هذه الأصول.

أهمية مادة مقدمة صفة صلاة النبي Ë للشيخ الألباني : .

أهميـة مـادة الفصـل الأخـير مـن كتـاب نصيحـة الحـب للدكتـور النقيـب .سـتره الله في الدنيـا والآخـرة ـ.

ـ كيف يمكن الاستفادة من مادة الكتابين:

❋ فهم المعاني واعتقاد صحتها.

❋ درس هذه المعاني والتحاور بشأنها.

❋ تركيز هذه المعاني.

❋ حفظ هذه المعاني.

❋ نشر هذه المعاني عند:

ـ الزوج والأقارب.

ـ الأصدقاء.

ـ التلاميذ.

ـ إعداد اختصارات لهذه المواد، بحيث يكتب كل معنى في صفحة مدعَّمًا بالدليل.

مقدمة صفة صلاة النبي >

منهجُ الكتابِ

ولما كان موضوع الكتاب إنما هو بيان هدي النبي ﷺ في الصلاة، كان من البدهي أن لا أتقيد فيه بمذهب معين للسبب الذي مر ذكره، وإنما أورد فيه ما ثبت عنه ﷺ، كما هو مذهب المحدثين[1] قديماً وحديثاً[2]، وقد أحسن من قال:

---

(١) قال أبو الحسنات اللكنوي في «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام» (ص ١٥٦) ما نصه:

«ومن نظر بنظر الإنصاف، وغاص في بحار الفقه والأصول متجنباً الاعتساف؛ يعلم علماً يقينيًّا أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها، فمذهب المحدثين فيها أقوى من مذاهب غيرهم، وإني كلما أسير في شعب الاختلاف أجد قول المحدثين فيه قريباً من الإنصاف، فلله درهم، وعليه شكرهم - كذا الأصل - كيف لا؛ وهم ورثة النبي ﷺ حقًّا، ونواب شرعه صدقاً؟ حشرنا الله في زمرتهم، وأماتنا على حبهم وسيرتهم».

(٢) قال السبكي في «الفتاوى» (١/١٤٨):

«وبعد؛ فإن أهم أمور المسلمين الصلاة، يجب على كل مسلم الاهتمام بها، والمحافظة على أدائها، وإقامة شعائرها، وفيها أمور يجمع عليها لا مندوحة عن الإتيان بها، وأمور اختلف العلماء في وجوبها، وطريق الرشاد في ذلك أمران: إما أن يتحرى الخروج من الخلاف إن أمكن، وإما ينظر ما صح عن النبي ﷺ فيتمسك به، فإذا فعل ذلك؛ كانت صلاته صواباً صالحة داخلة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كانَ يرجو لقاءَ ربِّه فليعمل عملاً صالحاً﴾».

قلت: والوجه الثاني أولى، بل هو الواجب؛ لأن الوجه الأول - مع عدم إمكانه في كثير من المسائل - لا يتحقق به أمره ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»؛ لأنه في هذه الحالة ستكون صلاته حتماً على خلاف صلاته ﷺ، فتأمل.

أهلُ الحديثِ هُمُ أهلُ النبيِّ وإنْ
لم يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أنفاسَه صَحِبوا(١)

ولذلك ؛ فإن الكتاب سيكون إن شاء الله تعالى جامعاً لشتات ما تفرق في بطون كتب الحديث والفقه ـ على اختلاف المذاهب مما له علاقة بموضوعه ـ بينما لا يجمع ما فيه من الحق أي كتاب أو مذهب ، وسيكون العامل به إن شاء الله ممن قد هداه الله ﴿لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢) .

ثم إني حين وضعت هذا المنهج لنفسي ـ وهو التمسك بالسنة الصحيحة ـ وجريت عليه في هذا الكتاب وغيره ـ مما سوف ينتشر بين الناس إن شاء الله تعالى ـ كنت على علم أنه سوف لا يرضي ذلك كلَّ الطوائف والمذاهب ؛ بل سوف يوجه بعضهم أو كثير منهم ألسنة الطعن ، وأقلام اللوم إليَّ ، ولا بأس من ذلك عليَّ ؛ فإني أعلم أيضاً أن إرضاء الناس غاية لا تدرك ، وأن : « من أرضى الناس بسخط الله وَكَلَهُ الله إلى الناس » ؛ كما قال رسول الله ﷺ(٣) .

ولله دَرُّ من قال :

---

(١) من إنشاد الحسن بن محمد النسوي ؛ كما رواه الحافظ ضياء الدين المقدسي في جزء له في « فضل الحديث وأهله » .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٣ .

(٣) الترمذي والقضاعي وابن بشران وغيرهم ، وقد تكلمت على الحديث وطرقه في تخريج أحاديث « شرح العقيدة الطحاوية » ، ثم في « الصحيحة » (٢٣١١) ، وبينت أنه لا يضره وقف من أوقفه وأنه صححه ابن حبان .

ولست بناجٍ من مقالةِ طاعنٍ
ولو كنتُ في غارٍ على جبلٍ وعرِ
ومن ذا الذي ينجو من الناسِ سالماً
ولو غابَ عنهم بين خافِيَتَي نسرِ (١)

فحسبي أنني معتقد أن ذلك هو الطريق الأقوم الذي أمر الله تعالى به المؤمنين، وبيَّنه نبينا محمد سيد المرسلين، وهو الذي سلكه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وفيهم الأئمة الأربعة ـ الذين ينتمي اليوم إلى مذاهبهم جمهور المسلمين ـ وكلهم متفق على وجوب التمسك بالسنة والرجوع إليها، وترك كل قول يخالفها؛ مهما كان القائل عظيماً؛ فإن شأنه ﷺ أعظم، وسبيله أقوم، ولذلك؛ فإني اقتديت بهداهم، واقتفيت آثارهم، وتبعت أوامرهم بالتمسك بالحديث؛ وإن خالف أقوالهم، ولقد كان لهذه الأوامر أكبر الأثر في نهجي هذا النهج المستقيم، وإعراضي عن التقليد الأعمى، فجزاهم الله تعالى عني خيراً.

أقوالُ الأئمَّةِ في اتِّباعِ السُّنَّةِ وتركِ أقوالِهم المخالفَةِ لها

ومن المفيد أن نسوق هنا ما وقفنا عليه منها أو بعضها، لعلَّ فيها عظةً وذكرى لمن يقلدهم ـ بل يقلد من دونهم بدرجات تقليداً أعمى (٢) ـ ويتمسك بمذاهبهم وأقوالهم كما لو كانت نزلت من السماء، والله عزَّ وجلَّ يقول:

---

(١) الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت، وتكون وراء القوادم.

(٢) وهذا التقليد هو الذي عناه الإمام الطحاوي حين قال: «لا يقلد إلا عصبي أو غبي». نقله ابن عابدين في «رسم المفتي» (ص ٣٢ ج ١) من «مجموعة رسائله».

﴿اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إليكُم من ربِّكُم ولا تتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قليلاً ما تذَكَّرُونَ﴾ [١].

١ـ أبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ

فأولهم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله، وقد روى عنه أصحابه أقوالاً شتى وعبارات متنوعة، كلها تؤدي إلى شيء واحد وهو: وجوب الأخذ بالحديث، وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة له:

١ـ «إذا صح الحديث فهو مذهبي» [٢].

٢ـ «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه» [٣].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣.

(٢) ابن عابدين في «الحاشية» (١/٦٣)، وفي رسالته «رسم المفتي» (١/٤ من مجموعة رسائل ابن عابدين)، والشيخ صالح الفلاني في «إيقاظ الهمم» (ص ٦٢) وغيرهم، ونقل ابن عابدين عن «شرح الهداية» لابن الشحنة الكبير شيخ ابن الهمام ما نصه:

«إذا صح الحديث، وكان على خلاف المذهب؛ عمل بالحديث، ويكون ذلك مذهبه، ولا يخرج مقلده عن كونه حنفيًا بالعمل به، فقد صح عن أبي حنيفة أنه قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، وقد حكى ذلك الإمام ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة».

قلت: وهذا من كمال علمهم وتقواهم؛ حيث أشاروا بذلك إلى أنهم لم يحيطوا بالسنة كلها، وقد صرح بذلك الإمام الشافعي كما يأتي، فقد يقع منهم ما يخالف السنة التي لم تبلغهم، فأمرونا بالتمسك بها، وأن نجعلها من مذهبهم رحمهم الله تعالى أجمعين.

(٣) ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص ١٤٥)، وابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/٣٠٩)، وابن عابدين في «حاشيته على «البحر الرائق» (٦/٢٩٣)، وفي «رسم المفتي» (ص ٢٩ و ٣٢)، والشعراني في «الميزان» (١/٥٥) بالرواية الثانية، والرواية الثالثة رواها عباس الدوري في «التاريخ» لابن معين (٦/٧٧/١) بسند صحيح عن زفر، وورد نحوه عن أصحابه: زفر وأبي يوسف وعافية بن يزيد، كما في «الإيقاظ» (ص ٥٢)، وجزم ابن القيم (٢/٣٤٤) بصحته عن أبي يوسف، والزيادة في التعليق على «الإيقاظ» (ص ٦٥) نقلاً عن ابن عبد =

وفي رواية : « حرام على مَن لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي » .

زاد في رواية : « فإننا بَشَر ، نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً » .

وفي أخرى : « ويحك يا يعقوب ! (هو أبو يوسف) لا تكتب كل ما تسمع مني ، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً ، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد »(١) .

= البر وابن القيم وغيرهما .

قلت : فإذا كان هذا قولهم فيمن لم يعلم دليلهم ، فليت شعري ! ماذا يقولون فيمن علم أن الدليل خلاف قولهم ، ثم أفتى بخلاف الدليل ؟ فتأمل في هذه الكلمة ، فإنها وحدها كافية في تحطيم التقليد الأعمى ، ولذلك أنكر بعض المقلدة من المشايخ نسبتها إلى أبي حنيفة حين أنكرت عليه إفتاءه بقول لأبي حنيفة لم يعرف دليله !

(١) قلت : وذلك لأن الإمام كثيراً ما يبني قوله على القياس ، فيبدو له قياس أقوى ، أو يبلغه حديث عن النبي ﷺ فيأخذ به ويترك قوله السابق . قال الشعراني في « الميزان » (١ / ٦٢) ما مختصره :

« واعتقادنا واعتقاد كل منصف في الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لو عاش حتى دونت الشريعة ، وبعد رحيل الحفاظ في جمعها من البلاد والثغور وظفر بها ؛ لأخذ بها وترك كل قياس كان قاسه ، وكان القياس قل في مذهبه كما قل في مذهب غيره بالنسبة إليه ، لكن لما كانت أدلة الشريعة مفرقة في عصره مع التابعين وتابعي التابعين في المدائن والقرى والثغور ؛ كثر القياس في مذهبه بالنسبة إلى غيره من الأئمة ضرورة ؛ لعدم وجود النص في تلك المسائل التي قاس فيها ، بخلاف غيره من الأئمة ، فإن الحفاظ كانوا قد رحلوا في طلب الأحاديث وجمعها في عصرهم من المدائن والقرى ، ودونوها ، فجاوبت أحاديث الشريعة بعضها بعضاً ، فهذا كان سبب كثرة القياس في مذهبه ، وقلته في مذاهب غيره » .

ونقل القسم الأكبر منه أبو الحسنات في « النافع الكبير » (ص ١٣٥) ، وعلق عليه بما يؤيده ويوضحه ، فليراجعه من شاء .

قلت : فإذا كان هذا عذر أبي حنيفة فيما وقع منه من المخالفة للأحاديث الصحيحة دون قصد ـ وهو عذر مقبول قطعاً ؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ـ فلا يجوز الطعن فيه كما قد يفعل بعض الجهلة ، بل يجب التأدب معه ؛ لأنه إمام من أئمة المسلمين الذين بهم حفظ هذا الدين ،

٣ـ «إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ؛ فاتركوا قولي»(١).

٢ـ مالكُ بنُ أنسٍ رَحِمَهُ اللهُ

وأما الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال:

١ـ «إنما أنا بشر أخطىء وأصيب، فانظروا في رأيي؛ فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»(٢).

= ووصل إلينا ما وصل من فروعه، وأنه مأجور على كل حال أصاب أم أخطأ، كما أنه لا يجوز لمعظميه أن يظلوا متمسكين بأقواله المخالفة للأحاديث؛ لأنها ليست من مذهبه؛ كما رأيت نصوصه في ذلك، فهؤلاء في واد وأولئك في واد، والحق بين هؤلاء وهؤلاء، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

(١) الفلاني في «الإيقاظ» (ص ٥٠)، ونسبه للإمام محمد أيضاً، ثم قال:

«هذا ونحوه ليس في حق المجتهد؛ لعدم احتياجه في ذلك إلى قولهم، بل هو في حق المقلد».

قلت: وبناءً على هذا قال الشعراني في «الميزان» (٢٦/١):

«فإن قلت: فما أصنع بالأحاديث التي صحت بعد موت إمامي ولم يأخذ بها؟ فالجواب: الذي ينبغي لك أن تعمل بها؛ فإن إمامك لو ظفر بها، وصحت عنده؛ لربما كان أمرك بها؛ فإن الأئمة كلهم أسرى في يد الشريعة، ومن فعل ذلك؛ فقد حاز الخير بكلتا يديه، ومن قال: «لا أعمل بحديث إلا إن أخذ به إمامي»؛ فاته خير كثير كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب، وكان الأولى لهم العمل بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذاً لوصية الأئمة، فإن اعتقادنا فيهم أنهم لو عاشوا وظفروا بتلك الأحاديث التي صحت بعدهم؛ لأخذوا بها، وعملوا بما فيها، وتركوا كل قياس كانوا قاسوه، وكل قول كانوا قالوه».

(٢) ابن عبد البر في «الجامع» (٣٢/٢)، وعنه ابن حزم في «أصول الأحكام» (١٤٩/٦)، وكذا الفلاني (ص ٧٢).

٢- « ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك ؛ إلا النبي ﷺ »[١].

٣- قال ابن وهب : سمعت مالكاً سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء ؟ فقال : ليس ذلك على الناس . قال : فتركته حتى خفَّ الناس ، فقلت له : عندنا في ذلك سنة ، فقال : وما هي ؟ قلت : حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال : رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه . فقال : إن هذا الحديث حسن ، وما سمعت به قط إلا الساعة . ثم سمعته بعد ذلك يُسأل ، فيأمر بتخليل الأصابع[٢].

٣- الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ

وأما الإمام الشافعي رحمه الله ، فالنقول عنه في ذلك أكثر وأطيب[٣] ،

---

(١) نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين ، وصححه عنه ابن عبد الهادي في « إرشاد السالك » (١/٢٢٧) ، وقد رواه ابن عبد البر في « الجامع » (٢/٩١) ، وابن حزم في « أصول الأحكام » (٦/١٤٥ و ١٧٩) من قول الحكم بن عتيبة ومجاهد ، وأورده تقي الدين السبكي في « الفتاوي » (١/١٤٨) من قول ابن عباس متعجباً من حسنه ، ثم قال :

« وأخذ هذه الكلمة من ابن عباسٍ مجاهدٌ ، وأخذها منهما مالك رضي الله عنه واشتهرت عنه » .

قلت : ثم أخذها عنهم الإمام أحمد ، فقد قال أبو داود في « مسائل الإمام أحمد » (ص ٢٧٦) : « سمعت أحمد يقول : ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويترك ، ما خلا النبي ﷺ » .

(٢) مقدمة « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم (ص ٣١-٣٢) ، ورواها تامة البيهقي في « السنن » (١/٨١) .

(٣) قال ابن حزم (٦/١١٨) :

« إن الفقهاء الذين قلدوا مبطلون للتقليد ، وإنهم نهوا أصحابهم عن تقليدهم ، وكان أشدهم في ذلك الشافعي ، فإنه رحمه الله بلغ من التأكيد في اتباع صحاح الآثار ، والأخذ بما أوجبته =

وأتباعه أكثر عملاً بها وأسعد ، فمنها :

١ ـ « ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه ، فمهما قلتُ من قول ، أو أصّلتُ من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت ؛ فالقول ما قال رسولُ الله ﷺ ، وهو قولي »(١) .

٢ ـ « أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ ؛ لم يحل له أن يدعها لقول أحد »(٢) .

٣ ـ « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ؛ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت » . (وفي رواية : « فاتبعوها ، ولا تلتفتوا إلى قول أحد »)(٣) .

٤ ـ « إذا صح الحديث فهو مذهبي »(٤) .

= الحجة ، حيث لم يبلغ غيره ، وتبرأ من أن يُقلّدَ جملة ، وأعلن بذلك ، نفع الله به وأعظم أجره ، فلقد كان سبباً إلى خير كثير » .

(١) رواه الحاكم بسنده المتصل إلى الشافعي ، كما في « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٣/١/١٥) ، و « إعلام الموقعين » (٢/٣٦٣ و ٣٦٤) ، و « الإيقاظ » (ص ١٠٠) .

(٢) ابن القيم (٢/٣٦١) ، والفلاني (ص ٦٨) .

(٣) الهروي في « ذم الكلام » (٣/٤٧/١) ، والخطيب في « الاحتجاج بالشافعي » (٨/٢) ، وابن عساكر (١٥/٩/١) ، والنووي في « المجموع » (١/٦٣) ، وابن القيم (٢/٣٦١) ، والفلاني (ص ١٠٠) ، والرواية الأخرى لأبي نعيم في « الحلية » (٩/١٠٧) وابن حبان في « صحيحه » (٣/٢٨٤ ـ الإحسان) بسنده الصحيح عنه نحوه .

(٤) النووي في المصدر السابق ، والشعراني (١/٥٧) وعزاه للحاكم والبيهقي ، والفلاني (ص ١٠٧) ، وقال الشعراني :

« قال ابن حزم : أي : صح عنده أو عند غيره من الأئمة » .

قلت : وقوله الآتي عقب هذا صريح في هذا المعنى ، قال النووي رحمه الله ما مختصره :

« وقد عمل بهذا أصحابنا في مسألة التثويب ، واشتراط التحلل من الإحرام بعذر المرض =

٥ـ « أنتم[1] أعلم بالحديث والرجال مني ، فإذا كان الحديث الصحيح ؛ فأعلموني به أي شيء يكون : كوفيًّا أو بصريًّا أو شاميًّا ؛ حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً » .

٦ـ « كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل

= وغيرها مما هو معروف في كتب المذهب ، وممن حكي عنه أنه أفتى بالحديث من أصحابنا : أبو يعقوب البويطي ، وأبو القاسم الداركي ، وممن استعمله من أصحابنا المحدثين : الإمام أبو بكر البيهقي وآخرون ، وكان جماعة من متقدمي اصحابنا إذا رأوا مسألة فيها حديث ، ومذهب الشافعي خلافه ؛ عملوا بالحديث وأفتوا به قائلين : مذهب الشافعي ما وافق الحديث .

قال الشيخ أبو عمرو : فمن وجد من الشافعية حديثاً يخالف مذهبه نظر ؛ إن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقاً ـ أو في ذلك الباب أو المسألة ـ كان له الاستقلال بالعمل به ، وإن لم تكمل ـ وشق عليه مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفه عنه جواباً شافياً ـ فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل غير الشافعي ، ويكون هذا عذراً له في ترك مذهب إمامه هنا ، وهذا الذي قاله حسن متعين . والله أعلم » .

قلت : وهناك صورة أخرى لم يتعرض لذكرها ابن الصلاح . وهي فيما إذا لم يجد من عمل بالحديث ؛ فماذا يصنع ؟ أجاب عن هذا تقي الدين السبكي في رسالة « معنى قول الشافعي .. إذا صح الحديث ... » (ص ١٠٢ ج ٣) فقال :

« والأولى عندي اتباع الحديث ، وليفرض الإنسان نفسه بين يدي النبي ﷺ وقد سمع ذلك منه ؛ أيسعه التأخر عن العمل به ؟ لا والله ... وكل واحد مكلف بحسب فهمه » .

وتمام هذا البحث وتحقيقه تجده في « إعلام الموقعين » (٣٠٢/٢ و ٣٧٠) ، وكتاب الفلاني المسمى « إيقاظ همم أولي الأبصار ، للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ، وتحذيرهم عن الابتداع الشائع في القرى والأمصار ، من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار » ، وهو كتاب فذ في بابه ، يجب على كل محب للحق أن يدرسه دراسة تفهم وتدبر .

(١) الخطاب للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، رواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي » (ص ٩٤-٩٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠٦/٩) ، والخطيب في « الاحتجاج بالشافعي » (١/٨) ، وعنه ابن عساكر (١/٩/١٥) ، وابن عبد البر في « الانتقاء » (ص٧٥) ، وابن الجوزي في « مناقب الإمام أحمد » (ص ٤٩٩) ، والهروي (٢/٤٧/٢) من ثلاثة طرق عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن

بخلاف ما قلت ؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي »[١].

٧- « إذا رأيتموني أقول قولاً ، وقد صح عن النبي ﷺ خلافه ؛ فاعلموا أن عقلي قد ذهب »[٢].

٨- « كل ما قلت ؛ فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح ؛ فحديث النبي أولى ، فلا تقلدوني »[٣].

٩- « كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي ، وإن لم تسمعوه مني »[٤].

٤- أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ

وأما الإمام أحمد ؛ فهو أكثر الأئمة جمعاً للسنة وتمسكاً بها ، حتى « كان يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي »[٥] ، ولذلك قال :

= أبيه أن الشافعي قال له ... فهو صحيح عنه ، ولذلك جزم بنسبته إليه ابن القيم في « الإعلام » (٣٢٥/٢) ، والفلاني في « الإيقاظ » (ص ١٥٢) ، ثم قال :

« قال البيهقي : ولهذا كثر أخذه - يعني : الشافعي - بالحديث ، وهو أنه جمع علم أهل الحجاز والشام واليمن والعراق ، وأخذ بجميع ما صح عنده من غير محاباة منه ، ولا ميل إلى ما استحلاه من مذهب أهل بلده ؛ مهما بان له الحق في غيره ، وفيمن كان قبله من اقتصر على ما عهده من مذهب أهل بلده ، ولم يجتهد في معرفة صحة ما خالفه ، والله يغفر لنا ولهم » .

(١) أبو نعيم في « الحلية » (١٠٧/٩) ، والهروي (١/٤٧) ، وابن القيم في « إعلام الموقعين » (٣٦٣/٢) ، والفلاني (ص ١٠٤) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي » (ص ٩٣) ، وأبو القاسم السمرقندي في « الأمالي » كما في « المنتقى منها » لأبي حفص المؤدب (١/٢٣٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠٦/٩) ، وابن عساكر (١/١٠/١٥) بسند صحيح .

(٣) ابن أبي حاتم (ص ٩٣) وأبو نعيم وابن عساكر (٢/٩/١٥) بسند صحيح .

(٤) ابن أبي حاتم (ص ٩٣-٩٤) .

(٥) ابن الجوزي في « المناقب » (ص ١٩٢) .

١ـ « لا تقلدني ، ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا »[١].

وفي رواية : « لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخُذ به ، ثم التابعين بَعْدُ الرجلُ فيه مخير » . وقال مرة : « الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، ثم هو من بعد التابعين مخير »[٢].

٢ـ « رأي الأوزاعي ، ورأي مالك ، ورأي أبي حنيفة كله رأي ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار »[٣].

٣ـ « من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هَلَكة »[٤].

تلك هي أقوال الأئمة رضي الله تعالى عنهم في الأمر بالتمسك بالحديث ، والنهي عن تقليدهم دون بصيرة ، وهي من الوضوح والبيان بحيث لا تقبل جدلاً ولا تأويلاً ، وعليه ؛ فإن من تمسك بكل ما ثبت في السنة ولو خالف بعض أقوال الأئمة ؛ لا يكون مبايناً لمذهبهم ، ولا خارجاً عن طريقتهم ، بل هو متبع لهم جميعاً ، ومتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وليس كذلك من ترك السنة الثابتة لمجرد مخالفتها لقولهم ، بل هو بذلك عاصٍ لهم ، ومخالف لأقوالهم المتقدمة ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلَا وربِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنفسِهِمْ حَرَجاً مما قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تسليماً ﴾[٥] ،

---

(١) الفلاني (١١٣) ، وابن القيم في « الإعلام » (٣٠٢/٢).

(٢) أبو داود في « مسائل الإمام أحمد » (ص٢٧٦ و ٢٧٧).

(٣) ابن عبد البر في « الجامع » (١٤٩/٢).

(٤) ابن الجوزي (ص ١٨٢).

(٥) سورة النساء ، الآية ٦٥.

وقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الذين يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصِيبَهُمْ عذابٌ أليمٌ ﴾ (١).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

« فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه أن يبينه للأمة، وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة؛ فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأي أي معظَّم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم على كل مخالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد (٢)، لا بغضاً له؛ بل هو محبوب عندهم معظَّم في نفوسهم، لكن رسول الله أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق، فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره؛ فأمر الرسول أولى أن يقدم ويتبع؛ ولا

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣.

(٢) قلت: حتى ولو على آبائهم وعلمائهم؛ كما روى الطحاوي في « شرح معاني الآثار » (١/٣٧٢) وأبو يعلى في « مسنده » (٣/١٣١٧ ـ مصورة المكتب) بإسناد جيد رجاله ثقات عن سالم بن عبد الله بن عمر قال:

« إني لجالس مع ابن عمر رضي الله عنه في المسجد إذ جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج؟ فقال ابن عمر: حسن جميل. فقال: فإن أباك كان ينهى عن ذلك؟ فقال: ويلك! فإن كان أبي قد نهى عن ذلك، وقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به؛ فبقول أبي تأخذ أم بأمر رسول الله ﷺ؟! قال: بأمر رسول الله ﷺ. فقال: فقم عني ». وروى أحمد (رقم ٥٧٠٠) نحوه، والترمذي (٢/٨٢ بشرح التحفة) وصححه، وروى ابن عساكر (٧/٥١/١) عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم (يعني: ابن عبدالرحمن بن عوف) على رجل برأي ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فأخبرته عن رسول الله ﷺ بخلاف ماقضى به، فقال سعد لربيعة: هذا ابن أبي ذئب، وهو عندي ثقة، يحدث عن النبي ﷺ بخلاف ما قضيت به، فقال له ربيعة: قد اجتهدت ومضى حكمك. فقال سعد: واعجباً! أنفذ قضاء سعد و [لا] أنفذ قضاء رسول الله ﷺ؟! بل أرد قضاء سعد ابن أم سعد، وأنفذ قضاء رسول الله ﷺ. فدعا سعد بكتاب القضية فشقه، وقضى للمقضي عليه.

يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفوراً له[١] ، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه »[٢] .

قلت : كيف يكرهون ذلك وقد أمروا به أتباعهم كما مر ، وأوجبوا عليهم أن يتركوا أقوالهم المخالفة للسنة ؟ بل إن الشافعي رحمه الله أمر أصحابه أن ينسبوا السنة الصحيحة إليه ولو لم يأخذ بها ، أو أخذ بخلافها ، ولذلك لما جمع المحقق ابن دقيق العيد رحمه الله المسائل التي خالف مذهب كل واحد من الأئمة الأربعة الحديث الصحيح فيها انفراداً واجتماعاً في مجلد ضخم ؛ قال في أوله :

« إن نسبة هذه المسائل إلى الأئمة المجتهدين حرام ، وإنه يجب على الفقهاء المقلدين لهم معرفتها ؛ لئلا يعزوها إليهم فيكذبوا عليهم »[٣] .

تركُ الأتْبَاعِ بعضَ أقوالِ أئمتِهِمْ اتباعاً للسُّنَّةِ

ولذلك كله كان أتباع الأئمة ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ ﴾[٤] لا يأخذون بأقوال أئمتهم كلها ، بل قد تركوا كثيراً منها لمّا ظهر لهم مخالفتها للسنة ، حتى أن الإمامين : محمد بن الحسن وأبا يوسف رحمهما الله قد خالفا شيخهما أبا حنيفة « في نحو ثلث المذهب »[٥] ، وكتب الفروع

---

(١) قلت : بل هو مأجور لقوله ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ، فأصاب ، فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ، فأخطأ ، فله أجر واحد » رواه الشيخان وغيرهما .

(٢) نقله في التعليق على « إيقاظ الهمم » (ص ٩٣) .

(٣) الفلاني (ص ٩٩) .

(٤) سورة الواقعة ، الآية ١٣-١٤ .

(٥) ابن عابدين في « الحاشية » (١/ ٦٢) ، وعزاه اللكنوي في « النافع الكبير » (ص ٩٣) للغزالي .

كفيلة ببيان ذلك ، ونحو هذا يقال في الإمام المزني[١] وغيره من أتباع الشافعي وغيره ، ولو ذهبنا نضرب على ذلك الأمثلة لطال بنا الكلام ، ولخرجنا به عما قصدنا إليه في هذا البحث من الإيجاز ، فلنقتصر على مثالين اثنين :

١ـ قال الإمام محمد في « موطئه »[٢] (ص ١٥٨) : « قال محمد : أما أبو حنيفة رحمه الله ، فكان لا يرى في الاستسقاء صلاة ، وأما في قولنا ، فإن الإمام يصلي بالناس ركعتين ، ثم يدعو ويحول رداءه » إلخ .

٢ـ وهذا عصام بن يوسف البلخي من أصحاب الإمام محمد[٣] ومن الملازمين للإمام أبي يوسف[٤] « كان يفتي بخلاف قول الإمام أبي حنيفة كثيراً ؛ لأنه لم يعلم الدليل ، وكان يظهر له دليل غيره فيفتي به »[٥] ، ولذلك « كان يرفع يديه عند الركوع والرفع منه »[٦] ؛ كما هو في السنة المتواترة عنه ﷺ ، فلم يمنعه

---

(١) وهو القائل في أول « مختصره في فقه الشافعي » المطبوع بهامش « الأم » للإمام ما نصه : « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ، ومن معنى قوله ؛ لأقربه على من أراده ، مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ؛ لينظر فيه لدينه ، ويحتاط فيه لنفسه » .

(٢) وقد صرح فيه بمخالفة إمامه في نحو عشرين مسألة نشير إلى مواطنها منه (٤٢ و ٤٤ و ١٠٣ و ١٢٠ و ١٥٨ و ١٦٩ و ١٧٢ و ١٧٣ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٤٠ و ٢٤٤ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٨٤ و ٣١٤ و ٣٣١ و ٣٣٨ و ٣٥٥ و ٣٥٦) من « التعليق الممجد على موطأ محمد » .

(٣) ذكره فيهم ابن عابدين في « الحاشية » (١/٧٤) ، وفي « رسم المفتي » (١/١٧) ، وأورده القرشي في « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » (ص ٣٤٧) وقال : « كان صاحب حديث ثبتاً ، وكان هو وأخوه إبراهيم شيخي بلخ في زمانهما » .

(٤) « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » (ص ١١٦) .

(٥) « البحر الرائق » (٦/٩٣) ، و « رسم المفتي » (١/٢٨) .

(٦) « الفوائد » (ص ١١٦) ثم علق عليه بقوله وقد أجاد :

« قلت : يعلم منه بطلان رواية مكحول عن أبي حنيفة : « أن من رفع يديه في الصلاة فسدت صلاته » التي اغتر بها أمير كاتب الاتقاني كما مر في ترجمته ، فإن عصام بن يوسف كان من ملازمي أبي يوسف وكان يرفع ، فلو كان لتلك الرواية أصل ؛ لعلم بها أبو يوسف وعصام . قال : ويعلم أيضاً أن =

من العمل بها أن أئمته الثلاثة قالوا بخلافها، وذلك ما يجب أن يكون عليه كل مسلم بشهادة الأئمة الأربعة وغيرهم كما تقدم.

وخلاصة القول؛ إنني أرجو أن لا يبادر أحد من المقلدين إلى الطعن في مشرب هذا الكتاب، وترك الاستفادة مما فيه من السنن النبوية بدعوى مخالفتها للمذهب، بل أرجو أن يتذكر ما أسلفناه من أقوال الأئمة في وجوب العمل بالسنة، وترك أقوالهم المخالفة لها. وليعلم أن الطعن في هذا المشرب إنما هو طعن في الإمام الذي يقلده أيًا كان من الأئمة، فإنما أخذنا هذا المنهج منهم كما سبق بيانه، فمن أعرض عن الاهتداء بهم في هذا السبيل؛ فهو على خطر عظيم؛ لأنه يستلزم الإعراض عن السنة، وقد أمرنا عند الاختلاف بالرجوع إليها والاعتماد عليها، كما قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(١).

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٢).

دمشق ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠هـ

= الحنفي لو ترك في مسألة مذهب إمامه لقوة دليل خلافه لا يخرج به عن ربقة التقليد، بل هو عين التقليد في صورة ترك التقليد، ألا ترى أن عصام بن يوسف ترك مذهب أبي حنيفة في عدم الرفع ومع ذلك هو معدود في الحنفية؟ قال: وإلى الله المشتكى من جهلة زماننا؛ حيث يطعنون على من ترك تقليد إمامه في مسألة واحدة لقوة دليلها، ويخرجونه عن جماعة مقلديه!! ولا عجب منهم فإنهم من العوام، إنما العجب ممن يتشبه بالعلماء ويمشي مشيهم كالأنعام!».

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) سورة النور، الآية ٥١-٥٢.

شبهات وجوابها

ذلك ما كنت كتبته منذ عشر سنوات في مقدمة هذا الكتاب، وقد ظهر لنا في هذه البرهة أنه كان لها تأثير طيب في صفوف الشباب المؤمن؛ لإرشادهم إلى وجوب العودة في دينهم وعبادتهم إلى المنبع الصافي من الإسلام: الكتاب والسنة، فقد ازداد فيهم - والحمد لله - العاملون بالسنة والمتعبدون بها، حتى صاروا معروفين بذلك؛ غير أني لمست من بعضهم توقفاً عن الاندفاع إلى العمل بها، لا شكًّا في وجوب ذلك بعد ما سقنا من الآيات والأخبار عن الأئمة في الأمر بالرجوع إليها، ولكن لشبهات يسمعونها من بعض المشايخ المقلدين؛ لذا رأيت أن أتعرض لذكرها والرد عليها، لعل ذلك البعض يندفع بعد ذلك إلى العمل بالسنة مع العاملين بها، فيكون من الفرقة الناجية بإذن الله تعالى.

١- قال بعضهم: لا شك أن الرجوع إلى هدي نبينا ﷺ في شؤون ديننا أمر واجب، لاسيما فيما كان منها عبادة محضة لا مجال للرأي والاجتهاد فيها؛ لأنها توقيفية؛ كالصلاة مثلاً، ولكننا لا نكاد نسمع أحداً من المشايخ المقلدين يأمر بذلك، بل نجدهم يُقرُّون الاختلاف، ويزعمون أنه توسعة على الأمة، ويحتجون على ذلك بحديث - طالما كرروه في مثل هذه المناسبة رادين به على أنصار السنة - : «اختلاف أمتي رحمة»، فيبدو لنا أن هذا الحديث يخالف المنهج الذي تدعو إليه، وألفت كتابك هذا وغيره عليه، فما قولك في هذا الحديث؟

والجواب من وجهين:

الأول: أن الحديث لا يصح، بل هو باطل لا أصل له، قال العلامة السبكي:

«لم أقف له على سند صحيح، ولا ضعيف، ولا موضوع».

قلت: وإنما روي بلفظ:

«... اختلاف أصحابي لكم رحمة».

و «أصحابي كالنجوم، فبأيهم اقتديتم اهتديتم».

وكلاهما لا يصح: الأول واه جداً، والآخر موضوع، وقد حققت القول في ذلك كله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (رقم ٥٨ و ٥٩ و ٦١).

الثاني: أن الحديث مع ضعفه مخالف للقرآن الكريم، فإن الآيات الواردة فيه - في النهي عن الاختلاف في الدين، والأمر بالاتفاق فيه - أشهر من أن تذكر، ولكن لا بأس من أن نسوق بعضها على سبيل المثال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1]. وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2]. وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[3]، فإذا كان من رحم ربك لا يختلفون، وإنما يختلف أهل الباطل، فكيف يعقل أن يكون الاختلاف رحمة؟!

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٢) سورة الروم، الآية ٣١-٣٢.

(٣) سورة هود، الآية ١١٨-١١٩.

فثبت أن هذا الحديث لا يصح، لا سنداً ولا متناً(١)، وحينئذٍ يتبين بوضوح أنه لا يجوز اتخاذه شبهة للتوقف عن العمل بالكتاب والسنة الذي أمر به الأئمة.

٣ـ وقال آخرون: إذا كان الاختلاف في الدين منهيّاً عنه، فماذا تقولون في اختلاف الصحابة والأئمة من بعدهم؟ وهل ثمة فرق بين اختلافهم واختلاف غيرهم من المتأخرين؟.

فالجواب: نعم، هناك فرق كبير بين الاختلافين، ويظهر ذلك في شيئين:

الأول: سببه.

والآخر: أثره.

فأما اختلاف الصحابة، فإنما كان عن ضرورة واختلاف طبيعي منهم في الفهم، لا اختياراً منهم للخلاف، يضاف إلى ذلك أمور أخرى كانت في زمنهم، استلزمت اختلافهم ثم زالت من بعدهم(٢)، ومثل هذا الاختلاف لا يمكن الخلاص منه كليّاً، ولا يلحق أهله الذم الوارد في الآيات السابقة وما في معناها، لعدم تحقق شرط المؤاخذة، وهو القصد أو الإصرار عليه.

وأما الاختلاف القائم بين المقلدة، فلا عذر لهم فيه غالباً، فإن بعضهم قد تتبين له الحجة من الكتاب والسنة، وأنها تؤيد المذهب الآخر الذي لا يتمذهب به عادة، فيدعها لا لشيء إلا لأنها خلاف مذهبه، فكأن المذهب

---

(١) ومن شاء البسط في ذلك فعليه بالمصدر السابق.

(٢) راجع «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم، و«حجة الله البالغة» للدهلوي، أو رسالته الخاصة بهذا البحث «عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد».

عنده هو الأصل، أو هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، والمذهب الآخر هو دين آخر منسوخ!

وآخرون منهم على النقيض من ذلك، فإنهم يرون هذه المذاهب ـ على ما بينها من اختلاف واسع ـ كشرائع متعددة؛ كما صرح بذلك بعض متأخريهم[١]: لا حرج على المسلم أن يأخذ من أيها ما شاء، ويدع ما شاء، إذ الكل شرع! وقد يحتج هؤلاء وهؤلاء على بقائهم في الاختلاف بذلك الحديث الباطل: «اختلافُ أمتي رحمة»، وكثيراً ما سمعناهم يستدلون به على ذلك!

ويعلل بعضهم هذا الحديث ويوجهونه بقولهم: إن الاختلاف إنما كان رحمة؛ لأن فيه توسعة على الأمة! ومع أن هذا التعليل مخالف لصريح الآيات المتقدمة، وفحوى كلمات الأئمة السابقة؛ فقد جاء النص عن بعضهم برده.

قال ابن القاسم:

«سمعت مالكاً والليث يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: ليس كما قال ناس: «فيه توسعة»؛ ليس كذلك، إنما هو خطأ وصواب»[٢].

وقال أشهب:

«سئل مالك عمن أخذ بحديث حدثه ثقة عن أصحاب رسول الله ﷺ؛ أتراه من ذلك في سعة؟

فقال: لا والله حتى يصيب الحق، ما الحق إلا واحد، قولان مختلفان يكونان صواباً جميعاً؟! ما الحق والصواب إلا واحد»[٣].

---

(١) انظر: «فيض القدير» للمناوي (١/٢٠٩)، أو «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/٧٦ و ٧٧).

(٢) ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٨١ و ٨٢).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٨٢ و ٨٨ و ٨٩).

وقال المزني صاحب الإمام الشافعي :

« وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ ، فخطّأ بعضهم بعضاً ، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها ، ولو كان قولهم كله صواباً عندهم ؛ لما فعلوا ذلك ، وغضب عمر بن الخطاب من اختلاف أُبي بن كعب وابن مسعود في الصلاة في الثوب الواحد ؛ إذ قال أُبي : إن الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل . وقال ابن مسعود : إنما كان ذلك والثياب قليلة . فخرج عمر مغضباً ، فقال : اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن ينظر إليه ويؤخذ عنه ! وقد صدق أُبيّ ، ولم يأل ابن مسعود ، ولكني لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا »(١) .

وقال الإمام المزني أيضاً :

« يقال لمن جوز الاختلاف وزعم أن العالمين إذا اجتهدا في الحادثة ؛ فقال أحدهما : حلال ، والآخر : حرام ؛ أن كل واحد منهما في اجتهاده مصيب الحق : أبأصل قلت هذا أم بقياس ؟ فإن قال : بأصل ؛ قيل له : كيف يكون أصلاً والكتاب ينفي الاختلاف ؟ ! وإن قلت : بقياس ؛ قيل : كيف تكون الأصول تنفي الخلاف ، ويجوز لك أن تقيس عليها جواز الخلاف ؟ هذا ما لا يجوزه عاقل ، فضلاً عن عالم »(٢) .

فإن قال قائل : يخالف ما ذكرته عن الإمام مالك أن الحق واحد لا يتعدد ما جاء في كتاب « المدخل الفقهي » للأستاذ الزرقا (١/٨٩) :

« ولقد هم أبو جعفر المنصور ثم الرشيد من بعده أن يختارا مذهب

---

(١) المصدر السابق (٢/٨٣ - ٨٤) .

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٨٩) .

الإمام مالك وكتابه « الموطأ » قانوناً قضائيًا للدولة العباسية ، فنهاهما مالك عن ذلك، وقال:

إن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب ».

وأقول: إن هذه القصة معروفة مشهورة عن الإمام مالك رحمه الله ، لكن قوله في آخرها : « وكل مصيب » مما لا أعلم له أصلاً في شيء من الروايات والمصادر التي وقفت عليها[1] ، اللّهم إلا رواية واحدة أخرجها أبو نُعيم في « الحلية » (٣٣٢/٦) بإسناد فيه المقدام بن داود ، وهو ممن أوردهم الذهبي في « الضعفاء » ، ومع ذلك فإن لفظها : « وكلٌ عند نفسه مصيب » ، فقوله : « عند نفسه » يدل على أن رواية « المدخل » مدخولة ، وكيف لا تكون كذلك وهي مخالفة لما رواه الثقات عن الإمام مالك أن الحق واحد لا يتعدد كما سبق بيانه ؟! وعلى هذا كل الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المجتهدين وغيرهم.

قال ابن عبد البر (٨٨/٢):

« ولو كان الصواب في وجهين متدافعين ، ما خطّأ السلف بعضهم بعضاً في اجتهادهم وقضائهم وفتواهم ، والنظر يأبى أن يكون الشيء وضده صواباً كله ، ولقد أحسن من قال:

إثبات ضدين معاً في حال أقبح ما يأتي من المحال ».

---

(١) راجع « الانتقاء » لابن عبد البر (٤١) ، و « كشف المغطا في فضل الموطا » (ص ٦-٧) للحافظ ابن عساكر ، و « تذكرة الحفاظ » للذهبي (١٩٥/١).

فإن قيل: إذا ثبت أن هذه الرواية باطلة عن الإمام، فلماذا أبى الإمام على المنصور أن يجمع الناس على كتابه «الموطأ» ولم يُجبهُ إلى ذلك؟

فأقول: أحسن ما وقفت عليه من الرواية ما ذكره الحافظ ابن كثير في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص ٣١)، وهو أن الإمام مالك قال:

«إن الناس قد جمعوا واطلعوا على أشياء لم نطلع عليها».

وذلك من تمام علمه وإنصافه، كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى.

فثبت أن الخلاف شرٌّ كلُّه، وليس رحمة، ولكن منه ما يؤاخذ عليه الإنسان، كخلاف المتعصبة للمذاهب، ومنه ما لا يؤاخذ عليه، كخلاف الصحابة ومن تابعهم من الأئمة، حشرنا الله في زمرتهم، ووفقنا لاتباعهم.

فظهر أن اختلاف الصحابة هو غير اختلاف المقلدة.

وخلاصته:

أن الصحابة اختلفوا اضطراراً، ولكنهم كانوا ينكرون الاختلاف، ويفرون منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

وأما المقلدة ـ فمع إمكانهم الخلاص منه ولو في قسم كبير منه ـ فلا يتفقون ولا يسعون إليه، بل يقرونه، فشتان إذن بين الاختلافين.

ذلك هو الفرق من جهة السبب.

وأما الفرق من جهة الأثر، فهو أوضح، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم ـ مع اختلافهم المعروف في الفروع ـ كانوا محافظين أشد المحافظة على مظهر الوحدة، بعيدين كل البعد عما يفرق الكلمة، ويصدع الصفوف، فقد كان فيهم مثلاً من يرى مشروعية الجهر بالبسملة، ومن يرى عدم مشروعيته،

وكان فيهم من يرى استحباب رفع اليدين ، ومن لا يراه ، وفيهم من يرى نقض الوضوء بمس المرأة ، ومن لا يراه ، ومع ذلك فقد كانوا يصلون جميعاً وراء إمام واحد ، ولا يستنكف أحد منهم عن الصلاة وراء الإمام لخلاف مذهبي .

وأما المقلدون ، فاختلافهم على النقيض من ذلك تماماً ؛ فقد كان من آثاره أن تفرق المسلمون في أعظم ركن بعد الشهادتين ؛ ألا وهو الصلاة ، فهم يأبون أن يصلوا جميعاً وراء إمام واحد ؛ بحجة أن صلاة الإمام باطلة أو مكروهة على الأقل بالنسبة إلى المخالف له في مذهبه ، وقد سمعنا ذلك ، ورأيناه كما رآه غيرنا[١] ، كيف لا وقد نصت كتب بعض المذاهب المشهورة اليوم على الكراهة أو البطلان ؟ ! وكان من نتيجة ذلك أن تجد أربعة محاريب في المسجد الجامع ، يصلي فيها أئمة أربعة متعاقبين ، وتجد أناساً ينتظرون إمامهم بينما الإمام الآخر قائم يصلي !

بل لقد وصل الخلاف إلى ما هو أشد من ذلك عند بعض المقلدين ؛ مثاله منع التزاوج بين الحنفي والشافعية ، ثم صدرت فتوى من بعض المشهورين عند الحنفية ـ وهو الملقب بـ « مفتي الثقلين » ـ فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية ، وعلل ذلك بقوله : « تنزيلاً لها منزلة أهل الكتاب »[٢] ! ومفهوم ذلك ـ ومفاهيم الكتب معتبرة عندهم ـ أنه لا يجوز العكس ، وهو تزوج الشافعي بالحنفية ؛ كما لا يجوز تزوج الكتابي بالمسلمة ؟ !

هذان مثالان من أمثلة كثيرة توضح للعاقل الأثر السيء الذي كان

---

(١) راجع (الفصل الثامن) من كتاب « ما لا يجوز فيه الخلاف » (ص ٦٥-٧٢) ، تجد أمثلة عديدة مما أشرنا إليه ، وقعت بعضها من بعض علماء الأزهر !

(٢) « البحر الرائق » .

نتيجة اختلاف المتأخرين وإصرارهم عليه؛ بخلاف اختلاف السلف، فلم يكن له أي أثر سيء في الأمة، ولذلك فهم في منجاة من أن تشملهم آيات النهي عن التفرق في الدين ـ بخلاف المتأخرين ـ هدانا الله جميعاً إلى صراطه المستقيم.

وليت أن اختلافهم المذكور انحصر ضرره فيما بينهم، ولم يتعده إلى غيرهم من أمة الدعوة؛ إذن لهان الخطب بعض الشيء، ولكنه ـ ويا للأسف! ـ تجاوزهم إلى غيرهم من الكفار في كثير من البلاد والأقطار، فصدوهم بسبب اختلافهم عن الدخول في دين الله أفواجاً! جاء في كتاب «ظلام من الغرب» للأستاذ الفاضل محمد الغزالي (ص ٢٠٠) ما نصه:

«حدث في المؤتمر الذي عقد في جامعة «برينستون» بأمريكا أن أثار أحد المتحدثين سؤالاً ـ كثيراً ما يثار في أوساط المستشرقين والمهتمين بالنواحي الإسلامية ـ قال:

«بأي التعاليم يتقدم المسلمون إلى العالم؛ ليحددوا الإسلام الذي يدعون إليه؟

أبتعاليم الإسلام كما يفهمها السنيون؟ أم بالتعاليم التي يفهمها الشيعة من إمامية أو زيدية؟

ثم إن كلًّا من هؤلاء وأولئك مختلفون فيما بينهم.

وقد يفكر فريق منهم في مسألة ما تفكيراً تقدميًّا محدوداً، بينما يفكر آخرون تفكيراً قديماً متزمتاً.

والخلاصة؛ أن الداعين إلى الإسلام يتركون المدعوين إليه في حيرة؛ لأنهم هم أنفسهم في حيرة»[1].

---

(١) وأقول الآن: لقد كشفت كتابات الغزالي الكثيرة في أيامه الأخيرة ـ مثل كتابه الذي صدر أخيراً بعنوان: «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» ـ أنه هو نفسه من أولئك الدعاة =

وفي مقدمة رسالة « هدية السلطان إلى مسلمي بلاد جابان » للعلامة

الذين هم « أنفسهم في حيرة » ! ولقد كنا نلمس منه قبل ذلك من بعض أحاديثه ومناقشاتنا له في بعض المسائل الفقهية ، ومن بعض كتاباته في بعض مؤلفاته ما ينم عن مثل هذه الحيرة ، وعن انحرافه عن السنة ، وتحكيمه لعقله في تصحيح الأحاديث وتضعيفها ، فهو في ذلك لا يرجع إلى علم الحديث وقواعده ، ولا إلى العارفين به والمتخصصين فيه ، بل ما أعجبه منه صححه ولو كان ضعيفاً ! وما لم يعجبه منه ضعفه ولو كان صحيحاً متفقاً عليه ! كما تجد ذلك ظاهراً في تعقيبه على مقدمتي التي كنت وضعتها لكتابه « فقه السيرة » بين يدي تخريجي لأحاديثه المطبوع معه (الطبعة الرابعة) ؛ وكان ذلك بطلب منه ـ بواسطة أحد إخواننا الأزهريين ـ فسارعت إلى تخريجه ظناً مني يومئذ أن ذلك كان منه اهتماماً بالسنة والسيرة النبوية ، وحرصاً على صيانتهما من أن يدخل فيهما ما ليس منهما ، ومع أنه قد أشاد بتخريجي هذا ، وصرح بسروره به في التعقيب المشار إليه ـ وهو تحت عنوان : « حول أحاديث هذا الكتاب » ـ تكلم فيه عن منهجه في قبوله للأحاديث الضعيفة ، ورفضه للأحاديث الصحيحة ، نظراً منه في المتن فقط ، فهو بذلك يُشعر القارىء بأنه مثل هذا التخريج العلمي لا قيمة له مطلقاً عنده ، ما دام أنه معرض للنقد النظري ، الذي يختلف حتماً من شخص إلى آخر ، فما يكون مقبولاً عند هذا يكون مرفوضاً عند الآخر ، والعكس بالعكس . وبذلك يصير الدين هوىً متبعاً لا ضابط ولا قواعد له إلا النظر الشخصي ، وهذا خلاف ما عليه علماء المسلمين قاطبة : أن الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، وهذا ما فعله الغزالي ـ هداه الله ـ في كثير من أحاديث كتاب « سيرته » ، فهو مع كون قسم كبير من مادة كتابه مراسيل ومعاضيل ، وما أسند منه فيه ما هو ضعيف الإسناد لا يصح ـ كما يتبين ذلك لكل من تأمل في تخريجي إياه ـ ومع ذلك فإنه يتبجح تحت العنوان المذكور فيقول :

« اجتهدتُ أن ألزم المنهج السوي ، وأن أعتمد على المصادر المحترمة ، وأظنني بلغتُ في هذا المجال مبلغاً حسناً ، واستجمعتُ من الأخبار ما تطمئن إليه نفس العالم البصير » !

كذا قال ! ولو أنه سئل : ما هي القاعدة التي جريت عليها في اجتهادك ؟ أهي أصولُ علم الحديث التي هي السبيل فقط في معرفة ما صح من السيرة النبوية ؟ لم يكن جوابه إلا اعتماده على نظره الشخصي ، وفيه من الفساد ما سبق الإشارة إليه ، والدليل تصحيحُه ما لم يصح إسناده ، وتضعيفُه ما صح إسناده حتى عند الشيخين ، كما كنت بينته في مقدمتي المشار إليها آنفاً ، والتي كان طبعها في مطلع كتابه « فقه السيرة » (الطبعة الرابعة) منه كما تقدم ، ثم حذفها مع الأسف في الطبعات التي بعدها كـ (طبعة دار القلم) في دمشق ، وغيرها ! الأمر الذي حمل البعض على أن يظن به أن طلبه المتقدم لم يكن منه إلا لترويج كتابه بين الجماهير من القراء ، الذين يقدرون جهود الخادمين للسنة ، والذائدين عنها .

محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى :

« إنه كان ورد علي سؤال من مسلمي بلاد جابان (يعني : اليابان) من بلدة (طوكيو) و (أوصاكا) في الشرق الأقصى ، حاصله :

ما حقيقة دين الإسلام ؟ ثم ما معنى المذهب ؟ وهل يلزم من تشرف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة ؟ أي : أن يكون مالكيًا ، أو حنفيًا ، أو شافعيًا ، أو غيرها ، أو لا يلزم ؟

لأنه قد وقع هنا اختلاف عظيم ، ونزاع وخيم ؛ حينما أراد عدة أنفار من متنوري الأفكار من رجال (يابونيا) أن يدخلوا في دين الإسلام ، ويتشرفوا بشرف الإيمان ، فعرضوا ذلك على جمعية المسلمين الكائنة في (طوكيو) ، فقال جمع من أهل الهند : ينبغي أن يختاروا مذهب الإمام أبي حنيفة ؛ لأنه سراج الأمة .

وقال جمع من أهل أندونيسيا (جاوا) : يلزم أن يكون شافعيًا !

فلما سمع الجابانيون كلامهم تعجبوا جداً ، وتحيروا فيما قصدوا ،

= والمميزين لضعيفها من صحيحها حسب القواعد العلمية ، وليس اعتماداً على النظرات الشخصية ، والأهواء المختلفة ؛ كما فعل الغزالي هداه الله في هذا الكتاب ، وفي كتابه الأخير : « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » ، فقد تبين منه للناس أنه معتزلي المنهج ، وأنه أصبح لا قيمة عنده لعلماء الحديث وجهودهم الجبارة على مر السنين في خدمته ، وتمييز صحيحه من ضعيفه ، وكذلك لا قيمة عنده لجهود الأئمة الفقهاء فيما وضعوا من الأصول ، وفرّعوا عليها من الفروع ، فإنه يأخذ منها ما يشاء ، ويدع ما يشاء دون ارتباط بأصل من أصولهم ، أو قاعدة من قواعدهم ! وقد قام كثير من أهل العلم والفضل جزاهم الله خيراً بالرد عليه ، وفصّلوا القول في حيرته وانحرافه ، ومن أحسن ما وقفت عليه رد صاحبنا الدكتور ربيع بن هادي المدخلي في مجلة (المجاهد) الأفغانية (العدد ٩-١١) ، ورسالة الأخ الفاضل صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ المسماة « المعيار لعلم الغزالي » .

وصارت مسألة المذاهب سداً في سبيل إسلامهم!».

٣ـ ويزعم آخرون أن معنى هذا الذي تدعون إليه من الاتباع للسنة، وعدم الأخذ بأقوال الأئمة المخالفة لها، ترك الأخذ بأقوالهم مطلقاً والاستفادة من اجتهاداتهم وآرائهم.

فأقول: إن هذا الزعم أبعد ما يكون عن الصواب، بل هو باطل ظاهر البطلان، كما يبدو ذلك جلياً من الكلمات السابقات، فإنها كلها تدل على خلافه، وأن كل الذي ندعو إليه إنما هو ترك اتخاذ المذاهب ديناً، ونصبها مكان الكتاب والسنة، بحيث يكون الرجوع إليها عند التنازع، أو عند إرادة استنباط أحكام جديدة لحوادث طارئة، كما يفعل متفقهة هذا الزمان، وعليه وضعوا الأحكام الجديدة للأحوال الشخصية، والنكاح والطلاق، وغيرها دون أن يرجعوا فيها إلى الكتاب والسنة ليعرفوا الصواب منها من الخطأ، والحق من الباطل، وإنما على طريقة «اختلافهم رحمة»! وتتبع الرخص والتيسير أو المصلحة ـ زعموا ـ وما أحسن قول سليمان التيمي رحمه الله تعالى:

«إن أخذت برخصة كل عالم، اجتمع فيك الشر كله».

رواه ابن عبد البر (٢/٩١ـ٩٢) وقال عقبه:

«هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً».

فهذا الذي ننكره، وهو وفق الإجماع كما ترى.

وأما الرجوع إلى أقوالهم، والاستفادة منها، والاستعانة بها على تفهم وجه الحق فيما اختلفوا فيه مما ليس عليه نص في الكتاب والسنة، أو ما كان منها بحاجة إلى توضيح، فأمر لا ننكره، بل نأمر به ونحض عليه، لأن الفائدة منه مرجوة لمن سلك سبيل الاهتداء بالكتاب والسنة.

قال العلامة ابن عبد البر رحمه الله تعالى (٢/١٧٢):

« فعليك يا أخي! بحفظ الأصول والعناية بها، واعلم أن من عني بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل الفقهاء - فجعله عوناً له على اجتهاده، ومفتاحاً لطرائق النظر، وتفسيراً لجمل السنن المحتملة للمعاني - ولم يقلد أحداً منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال دون نظر، ولم يرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها، واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر، وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه، وحمدهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم، ولم يبرئهم من الزلل كما لم يبرؤوا أنفسهم منه؛ فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه، والمعاين لرشده، والمتبع لسنة نبيه ﷺ وهدي صحابته رضي الله عنهم.

ومن أعفَّ نفسه من النظر، وأضرب عما ذكرنا، وعارض السنن برأيه، ورام أن يردها إلى مبلغ نظره؛ فهو ضال مضل، ومن جهل ذلك كله أيضاً، وتقحم في الفتوى بلا علم؛ فهو أشد عمى، وأضل سبيلاً ».

فهذا هو الحق ما به خفاء فدعني عن بنيات الطريق

٤- ثم إن هناك وهماً شائعاً عند بعض المقلدين، يصدهم عن اتباع السنة التي تبين لهم أن المذاهب على خلافها، وهو ظنهم أن اتباع السنة يستلزم تخطئة صاحب المذهب، والتخطئة معناها عندهم الطعن في الإمام، ولما كان الطعن في فرد من أفراد المسلمين لا يجوز؛ فكيف في إمام من أئمتهم؟!

والجواب: أن هذا المعنى باطل؛ وسببه الانصراف عن التفقه في السنة، وإلا فكيف يقول ذلك المعنى مسلم عاقل؟! ورسول الله ﷺ هو القائل: « إذا

حكم الحاكم، فاجتهد فأصاب، فله أجران، وإذا حكم، فاجتهد فأخطأ؛ فله أجر واحد»[1]، فهذا الحديث يرد ذلك المعنى، ويبين بوضوح لا غموض فيه أن قول القائل: «أخطأ فلان» معناه في الشرع: «أثيب فلان أجراً واحداً»، فإذا كان مأجوراً في رأي من خطّأه؛ فكيف يتوهم من تخطئته إياه الطعن فيه؟! لا شك أن هذا التوهم أمر باطل يجب على كل من قام به أن يرجع عنه؛ وإلا فهو الذي يطعن في المسلمين، وليس في فرد عادي منهم، بل في كبار أئمتهم؛ من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين وغيرهم، فإننا نعلم يقيناً أن هؤلاء الأجلّة كان يخطىء بعضهم بعضاً، ويرد بعضهم على بعض[2]، أفيقول عاقل: إن بعضهم كان يطعن في بعض، بل لقد صح أن رسول الله ﷺ خطّأ أبا بكر رضي الله عنه في تأويله لرؤيا كان رآها رجل، فقال ﷺ له: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً»[3]، فهل طعن ﷺ في أبي بكر بهذه الكلمة؟!

ومن عجيب تأثير هذا الوهم على أصحابه؛ أنه يصدهم عن اتباع السنة المخالفة لمذهبهم؛ لأن اتباعهم إياها معناه عندهم الطعن في الإمام، وأما اتباعهم إياه ـ ولو في خلاف السنة ـ فمعناه احترامه وتعظيمه! ولذلك فهم يصرون على تقليده فراراً من الطعن الموهوم.

ولقد نسي هؤلاء ـ ولا أقول: تناسوا ـ أنهم بسبب هذا الوهم وقعوا فيما هو شر مما منه فروا، فإنه لو قال لهم قائل: إذا كان الاتباع يدل على احترام

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) انظر كلام الإمام المزني المتقدم آنفاً (ص ٦٢) وكلام الحافظ ابن رجب المتقدم (ص ٥٤).

(٣) البخاري ومسلم، وراجع سنده وتخريجه في «الأحاديث الصحيحة» (١٢١).

المتبوع، ومخالفته تدل على الطعن فيه؛ فكيف أجزتم لأنفسكم مخالفة سنة النبي ﷺ، وترك اتباعها إلى اتباع إمام المذهب في خلاف السنة، وهو غير معصوم، والطعن فيه ليس كفراً؟! فلئن كان عندكم مخالفة الإمام تعتبر طعناً فيه؛ فمخالفة الرسول ﷺ أظهر في كونها طعناً فيه، بل ذلك هو الكفر بعينه - والعياذ بالله منه - لو قال لهم ذلك قائل؛ لم يستطيعوا عليه جواباً؛ اللهم! إلا كلمة واحدة - طالما سمعناها من بعضهم - وهي قولهم: إنما تركنا السنة ثقة منا بإمام المذهب، وأنه أعلم بالسنة منا.

وجوابنا على هذه الكلمة من وجوه يطول الكلام عليها في هذه المقدمة، ولذلك فإني أقتصر على وجه واحد منها، وهو جواب فاصل بإذن الله، فأقول:

ليس إمام مذهبكم فقط هو أعلم منكم بالسنة؛ بل هناك عشرات - بل مئات - الأئمة هم أعلم أيضاً منكم بالسنة، فإذا جاءت السنة الصحيحة على خلاف مذهبكم - وكان قد أخذ بها أحد من أولئك الأئمة - فالأخذ بها - والحالة هذه - حتم لازم عندكم؛ لأن كلمتكم المذكورة لا تنفق هنا، فإن مخالفكم سيقول لكم معارضاً: إنما أخذنا بهذه السنة ثقة منا بالإمام الذي أخذ بها؛ فاتباعه أولى من اتباع الإمام الذي خالفها. وهذا بيّن لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى.

ولذلك فإني أستطيع أن أقول:

إن كتابنا هذا لمّا جمع السنن الثابتة عنه ﷺ في صفة صلاته؛ فلا عذر لأحد في ترك العمل بها؛ لأنه ليس فيه ما اتفق العلماء على تركه - حاشاهم من ذلك - بل ما من مسألة وردت فيه؛ إلا وقد قال بها طائفة منهم، ومن لم يقل

بها ؛ فهو معذور ومأجور أجراً واحداً ؛ لأنه لم يرد إليه النص بها إطلاقاً ، أو ورد لكن بطريق لا تقوم عنده به الحجة ، أو لغير ذلك من الأعذار المعروفة لدى العلماء ، وأما من ثبت النص عنده من بعده ؛ فلا عذر له في تقليده ، بل الواجب اتباع النص المعصوم ، وذلك هو المقصود من هذه المقدمة ، والله عزّ وجلّ يقول : ﴿يا أيها الذين آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وللرسولِ إذا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُم واعْلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُولُ بينَ المرءِ وقَلْبِهِ وأنَّهُ إليهِ تُحْشَرُونَ﴾(١) .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

دمشق ١٣٨١/٥/٣٠هـ

محمد ناصر الدين الألباني

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢٤ .

المنهج.. الصراط المستقيم

مخالفة أهل الأهواء وأصحاب الجحيم

الصراط المستقيم، هو: طريق الله المستقيم، ونقرأ كل يوم عدة مرات قوله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال ابن مسعود رضي الله عنه : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خَطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).

وقال ابن القيم : الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله موصل إلى الله» (٢).

ولابد من ربط الناشئة وتدريبهم عليه؛ ورحم الله عمرو بن قيس

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥) رقم (٤١٤٢) وغيره.

(٢) ابن القيم، محمد ابن أبي بكر (ت ٧٥١هـ): التفسير القيم ص/ ١٤-١٥ تحقيق / محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

الملائي، قال: «إذا رأيت الشابّ أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة: فارْجه، وإذا رأيته مع أهل البدع: فايأس منه؛ فإن الشاب على أول نشوئه»(١).

ولقد ضمن الله نصرة من تربى على هذا الطريق وعَظَّم الرسل واتبع هداهم؛ فأتبع الخلق لله وألزمهم بالوحي المنزل هم: الرسل، ولذلك قَرَن الله بهم نصرته وكفايته وغلبته، قال تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]. وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وأتباعهم لهم مثل ما للرسل من التوفيق والسداد والغلبة والنصرة، قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]. وقال تعالى لموسى وهارون ومن اتبعهما: ﴿بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٥]. وقال ابن تيمية - في كل من كان متبعا للرسول ﷺ كان الله معه بحسب هذا الاتباع(٢).

والإصلاح الحق: ما جاء به النبي محمد ﷺ؛ إذ النبي ﷺ أحب إلينا من الدنيا وما فيها ومن فيها، وليس هذا كلامنا فقط، بل هو كلام المنصفين من الإفرنج - حتى الفلاسفة منهم - فحين زار الفيلسوف الفرنسي «فولتير

(١) صحيح: رواه ابن بطه في الإبانة (٤٤).

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٨/ ٤٨٧).

« رئيس وزراء النمسا « البرنس سيندروف « فسأله عن حركة الإصلاح النصرانية التي قام بها «لوثر « و « كلفن « قال « فولتير» : كلاهما لا يَصْلُح حذاءً لمحمد!!![١]

ويمتاز منهج الأنبياء بأنه مزيل لأسباب الخلاف قال ابن القيم في قوله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]: ولو لم يكن في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافيا: لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النِّزاع»[٢].

ولهذا قال ابن تيمية – رحمه الله – فكل من كان إلى متابعة الأنبياء أقرب: كان الخلاف بينهم أقل (ثم ذكر اختلاف الناس) إلى أن قال عن اختلاف أهل الحديث: «وهم أقل الطوائف اختلافاً في أصولهم؛ لأن ميراثهم من النبوة أعظم من ميراث غيرهم، فعصمهم حبل الله الذي اعتصموا به، فقال ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣][٣].

إذن من أعظم أسباب الخلاف والنزاع ترك منهج الأنبياء القائم

---

(١) نقله د. عبد الودود شلبي: جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام ؟ ص/ ٩٤.
(٢) ابن القيم: إعلام الموقعين (٢/ ٩٢).
(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٦/ ٣١١).

على تعظيم الوحي، ففي قوله تعالى ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ [المائدة: ١٤]. يقول ابن تيمية: «فهذا نص في أنهم تركوا بعض ما أمروا به، فكان تركه سببا لوقوع العداوة والبغضاء المُحرَّمين»(١).

وما أروع أن يجمع الإنسان المسلم بين العلم والعمل، والدنيا والآخرة، فهذا هو الاتزان المطلوب، ولله دره الشاعر الإسلامي جرير عندما مدح عبد العزيز بن مروان والد الخليفة عمر بن عبد العزيز:

فلا هو في الدنيا مُضِيْـعٌ نصيبه ... ولا عَرَضُ الدنيا عن الدين شاغِله(٢)

ولابد أن يحذر المسلم - لاسيما في هذه الأعصار - من اتباع سَنَن من ليسوا من أهل الإسلام الصالحين، فقد قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من عمل بسنة غيرنا»(٣).

ورحم الله الشيخ الألباني عندما حَذَّر من هذه السياسات الوافدة الغازية ديار الإسلام، لاسيما غزوها لأبناء الدعوة بزعم فقه المرحلة،

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٩).

(٢) انظره عند البغدادي، أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ): تاريخ بغداد (٨/ ٢٣١) دار الفكر،بيروت، لبنان -١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م، وأيضا عند ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية (١٠/ ٢٨٨) دار الكتب العلمية،بيروت (د.ت).

(٣) صحيح. أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٣٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح/ ٥٤٣٩.

والسياسة الشرعية المعاصرة!!

يقول الشيخ: «يجب ألاّ يدفعنا الرِّضا بفقه الواقع - بصورته الشرعية - أو الانشغال به إلى ولوج أبواب السياسة المعاصرة الظالم أهلها، مغترين بكلمة السَّاسة، مُرَدِّدين لأساليبهم غارقين بطرائقهم، وإنما الواجب هو: السير على السياسة الشرعية، ألا وهي «رعاية شئون الأمة» ولا تكون هذه الرعاية إلا في ضوء الكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح، وبيد أولي الأمر من العلماء العاملين والأمراء العادلين، فإن الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن.

أما تلك السياسة الغربية التي تفتح أبوابها وتَغُرُّ أصحابها، فلا دين لها، وسائِرُ من انساق خلفها أو غرق ببحرها: أصابه بأسُها، وعَمَّه جحيمُها؛ لأنه انشغل بالفرع قبل الأصل، ورحم الله من قال: «من تعجل الشيء قبل أوانه: عُوقب بحرمانه» [١].

لقد عاش ابن باديس الجزائري حياته مربيا مصلحا، وأوذي وصبر، وتخرجت أجيال من أبناء الجزائر على يده، واستطاع أن يؤسس دعوة إصلاحية قاومت فرنسة الجزائر وطمس هويتها والقضاء على ثقافتها،

---

(١) الألباني، محمد ناصر الدين (ت١٤٢٠هـ) : فقه الواقع سؤال وجواب ص/ ٥٠-٥١. نشرها: علي بن حسن بن عبد الحميد، المكتبة الإسلامية،عمان، الأردن، ط٢-١٤٢٢هـ.

يقول ابن باديس الإمام المصلح الكبير :

شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله ... أو قال مات: فقد كذب
أو رام إدماجا له ... رام المحال من الطلب
يا نشء أنت رجاؤنا ... وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها ... وخُض الخطوب ولا تَهَب
وارفع منار العدل وال ... إحسان واصْدُم من غَصَب
واقْلع جذور الخائنين ... فمنهم كل العَطَب
من كان يبغي وُدَّنا ... فعلى الكرامة والرَّحب
أو كان يبغي ذلنا ... فله المهانة والحَرَب
هذا نظام حياتنا ... بالنور خُطَّ وباللَّهب
حتى يعود لقومنا من ... مجدهم ما قد ذَهّب (١).

هذا، وقد قسمت هذا الفصل إلى المطالب الآتية التي تمثل منهج الأنبياء:

---

(١) انظر للنقيب، د. أحمد: شيء من فقه المرحلة ص/ ٢٩-٣٠ دار طابة، المنصورة، ط١-١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.

١- الحرص على العلم النافع والفهم الدقيق والدعوة إلى الله.

٢- الحرص على الألفة والاجتماع.

٣- نبذ العصبية الجاهلية وعدم الانتماء الحزبي وحكم أفراده.

٤- اتباع الأمر الأول.

٥- التخلق بالأدب، لاسيما زمن الفتن، ومن هذه الآداب:

أ- الاتئاد.

ب- الصبر.

ج- الثبات وعدم التلون.

د- نفع الناس والحرص على إيصال الخير لهم.

٦- فتاوى أهل العلم بجواز المشاركات السياسية .. قراءة تأملية في ضوء قواعد وروح الشريعة.

المطلب الأول: الحرص على العلم النافع والفهم الدقيق والدعوة إلى الله، مدح الله ربنا العلم والعلماء [1]، فقال ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١] ولا دعوة إلا بالعلم والفهم

---

(١) انظر بالتفصيل كتابي: مختصر المأمول فيما يجب علمه من الأصول.

الصحيح، قال تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ومدح رسولنا ﷺ تعليم العلم فقال ﷺ: «إن الله وملائكته ليصلون على معلم الناس الخير»(١). وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء ...»(٢). وقال ابن القيم -رحمه الله-

العلم قـــال الله قـــال رسولـه قـال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيــه

كلا، ولا جحد الصفات ونفيها حذرا من التمثيل والتشبيه(٣)

❊ وينسب للإمام الذهبي -رحمه الله-:

العلم قال الله قــــال رســـوله إن صح والإجماع، فاجهد فيه

وحذار من نصب الخلاف جهالة بين الرسول وبين رأي فقيــه(٤)

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢١٣).

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠).

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين (٢/ ١٤٩).

(٤) انظر الصَّفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات (٢/ ١١٦) دار إحياء التراث، بيروت، لبنان - ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

* وقال ابن عبد البر

فإذا اقتديت فبالكتاب وسنَّة المبعوث بالدين الحنيف الطاهر

ثم الصحابة عند عَدْمِك سنة فأولاك أهل نهى وأهل بصائر (١)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس صالحين (في لفظ: بخير) متماسكين: ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم فذلك حين هلكوا»(٢).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم أو يعلم الآخر، فإن هلك الأول قبل أن يُعَلِّم أو يتعلم ا لآخر: هلك الناس» (٣).

وقال ابن المبارك - رحمه الله -: «حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء والسلاطين والإخوان، فإنه من استخف بالعلماء: ذهبت آخرته، ومن استخف بالسلطان: ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان:

---

(١) ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ): جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٩٠) مكتبة التوعية الإسلامية، جيزة، مصر-١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

(٢) صحيح. أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨١٥) والبغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٧٧٦) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٠١) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٥٩، ١٠٦٠).

(٣) أخرجه الدارمي (٢٤٨).

ذهبت مروءته»[١].

بل لابد من توقير العالم، فعن طاووس بن كيسان - رحمه الله -: «من السنة أن يُوَقَّر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد»[٢].

ورحم الله مسروقًا عندما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميرا خيرا من أمير، ولا عاما خيرا من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفاء، ويجيء قوم يفتون برأيهم»[٣].

وهذا هلال بن خباب يقول: سألت سعيد بن جبير، قلت: يا أبا عبد الله! ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم»[٤].

والعلماء هم الذين يجتهدون في النوازل، قال الشاطبي: «إذا عرضت النوازل روجع بها أصولها فَوُجِدَت فيها، ولا يجدها من ليس بمجتهد،

---

(١) الذهبي، أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥١) مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١-١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ): شرح السنة (١٣/ ٤١)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢-١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

(٣) حسن. رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٣٦).

(٤) حسن. رواه الدارمي (٢٥١) والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٤٨) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٥٣).

وإنما يجدها المجتهدون الموصوفون في علم أصول الفقه»(١).

وقال الشاطبي: «إن العلماء نقلوا الاتفاق على أن الإمامة الكبرى لا تنعقد إلا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع»(٢).

وقال الشاطبي: «فإذا بلغ الإنسان مبلغا فَهِمَ عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها: فقد حصل له وصفٌ، هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي ﷺ في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله»(٣).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد في أحكام النوازل، فهذا النوع الذي يسوغ لهم الإفتاء، ويسوغ استفتاؤهم، ويتأدى بهم فرض الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(*)... وقد قال الشافعي: «... فهذا النوع الذي يسوغ لهم

(١) الشاطبي: إبراهيم بن موسى الغرناطي (ت ٧٩٠هـ): الاعتصام (١/ ٤٦٧)، تحقيق/ سليم الهلالي، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط١-١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
(٢) الشاطبي، : الاعتصام (٢/ ٦٢٤).
(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى الغرناطي (ت ٧٩٠هـ): الموافقات (٥/ ٤٣) تحقيق/ مشهور بن حسن، دار ابن عفان، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط١-١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
(*) صحيح. أخرجه أبو داود (٤٢٩١ - كتاب الملاحم) والحاكم في «المستدرك» (٨٨١٧ - فتن) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني في «السلسلة

الإفتاء» [١].

ولقد حذر السلف من الكلام أو الإفتاء بغير علم، فعن سحنون بن سعيد - رحمه الله -: «أجرأ الناس على الفتيا: أقلهم علما ... إني لأحفظ مسائل منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب حتى أتخير! فلم ألام على حبس الجواب؟!» [٢] وعن أبي بكر الأثرم قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يستفتي فيكثر أن يقول لا أدري [٣].

يعلق الحافظ البغدادي فيقول: «وذلك فيما عَرَف الأقاويل فيه؛ وذلك أنه يسأل عن اختياره، فيذكر الاختلاف. ومعنى قوله: لا أدري؛ أي: لا أدري ما أختار من ذلك ... وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى» [٤].

الصحيحة» (٥٩٩).

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين (٦/ ١٢٥).

(٢) انظر لابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (٢٢١١).

(٣) انظر للحافظ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت ٤٦٢هـ): الفقيه والمتفقه (١١٢٦) دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط١-١٤٣٠هـ.

(٤) انظر للبغدادي: الفقيه والمتفقه (١٠٧٦) وتاريخ بغداد (٦/ ٣٥٥) دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١-١٤٢٢هـ=٢٠٠٤م.

ولهذا من المصائب الكبرى إدعاء من لا يعلم أنه يعلم ويتجرأ على مقام الفتوى، قال أبو شامة(١): «وأكثر ما أُتي الناس في البدع بهذا السبب؛ يُظن في شخص أنه من أهل العلم والفتوى، وليس هو في نفس الأمر كذلك، فيرمقون أقواله وأفعاله، فيتبعونه في ذلك، فتفسد أمورهم، ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» (*) وفي الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم: اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (**).

ولله دره الشيخ الألباني عندما أتى بعض شباب حزب جبهة الإنقاذ الإسلامية بالجزائر للشيخ الألباني، ذكر لهم الشيخ أن هذا الحزب فيه الملايين، قال الشابّ الذي يحاوره: نعم

قال الشيخ الألباني: كم ألف عالم فيهم؟

---

(١) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ): الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٥٦)، تحقيق/ عثمان أحمد عنبر، دار الهدى، القاهرة، ط١-١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

(*) صحيح. أخرجه أبو داود (٤٢٥٢ - الفتن) والترمذي (٢٢٢٩ - الفتن) وأحمد (٥/ ٢٧٨) رقم (٢٢٣٩٣) من حديث ثوبان.

(**) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠٠ - كتاب العلم) ومسلم (٢٦٧٣ - كتاب العلم).

قال الشاب الجزائري: ما فيه!

قال الشيخ الألباني: كم مائة عالم؟

قال الشاب الجزائري: لا، ما هو موجود!

قال الشيخ: طيب من يقودهم - يا جماعة! - هؤلاء؟(*)

قال الشاب: الشيوخ قليلون (**)، يعني!

قال الشيخ: هل يستطيع هؤلاء الشيوخ أن يقودوا ملايين؟

قال الشاب: طبعا، لا!

قال الشيخ: هل يمكنهم أن يعلموا ملايين؟

قال الشاب: أبدا!

قال الشيخ: إذن أنتم تعيشون في الأوهام!!(١)

هل تؤسس دولة الإسلام على يد شرعيين ومفتين لا يحسنون العلم ولا الفتوى؟ فهذا مفتي بعدم جواز التضحية بالشاة الاسترالية مقطوعة الذيل؛ لأن الدولة استوردت هذه الشياه، فأراد أن يناورها سياسة؟ وهذا

(*) هنا تقديم وتأخير، والتقدير: طيب - يا جماعة - هؤلاء من يقودهم؟

(*) في أصل المادة الصوتية الشيوخ قليلين.

(١) سلسلة الهدى والنور، الشريط رقم (٤٤٠/ ١).

جمود فقهي مالكي أو مناورة سياسية مكشوفة.

وأوضح من ذلك أن أحد الشرعيين بالجزائر - وكان أحد قادة جبهة الإنقاذ الإسلامية - وكان يسمى الهاشمي سحنوني، كان يشرح نواقض الإسلام، فذكر أن شابا سقط من سيارة وهو يهتف باسم فريق من فرق كرة القدم، فمات تحت وطأتها، فحكم عليه بالموت على الكفر؛ لأنه قَدَّم نفسه في غير سبيل الله!! من شريط مسجل باسم «نواقض الإسلام»!![1]

إنه الفهم العجيب الذي غَرّ الأغرار وأفسد الديار، ومن ذلك: ما كان من أسباب تكفير السادات أنه عقد صلحا مع اليهود؛ وكان من جملة هذا الصلح فتح الباب للفلسطينيين لأخذ بعض الأرض - وكان المعروض أكبر بخمسة أضعاف مما نالوه لاحقا!! -، فقد اتهم السادات بموالاة الكفار والخيانة ... بل هُمِز بعض أهل العلم الذين أَفْتوا بجواز ذلك، ومن وجوه ذلك ما ذكره الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر - أمد الله في عمره - «أنها فتوى في صلح بين ظالم ومظلوم، بين مغتصب أرضا وبين من اغتصبت أرضهم وصاروا مشردين مشتتين عشرين عاما، ثم اغتصب جزء كبير من أرضهم، ومضى على الاغتصاب الأخير أكثر من ربع قرن، ولم يستطيعوا استرجاع أرضهم، فإذا رأى المظلوم أن يحصل على بعض أرضه من ظالمه ليعود إليها و يستقر فيها، فأي مانع يمنع من

(١) انظر الجزائري: مدارك النظر في السياسة الشرعية ص/ ٣٣٥-٣٣٧.

ذلك؟ وإذا اعتدى لصوص على شخص وسلبوا كل ما معه من مال، ولم يتمكن من استعادته، وهو مضطر إلى بعضه وأمكنه الحصول عليه، أفيقال له: لا يحل لك ذلك، بل إما كله وإما لا شيء؟![1]

وسبب ذلك أن من تجرأ على الفتوى لم يكن من أهل العلم، بل كان من الدخلاء، قال ابن حزم – رحمه الله –: «لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها؛ فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويُقَدِّرون أنهم يصلحون»[2].

ومن سمة هؤلاء الدخلاء أن علمهم من الكتب فقط، لا يعرف لهم شيخ، ولتسمع هذه الكلمة العظيمة من الإمام الشافعي – رحمه الله – قال: «من تفقه من بطون الكتب: ضَيَّع الأحكام»[3].

وأختم هذا المطلب بالنصيحة الغالية للعلامة الجزائري – الشيخ/ محمد البشير الإبراهيمي – وهو أحد أوتاد الدعوة الإصلاحية التي قام عليها الشيخ ابن باديس – ناصحا: «العلم .. العلم أيها الشباب! لا

---

(١) نقلها الجزائري: مدارك النظر في السياسة الشرعية ص/ ١٧-١٨.

(٢) ابن حزم، علي بن محمد (ت ٤٥٦هـ): رسائل ابن حزم (١/ ٣٤٥) تحقيق/ د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات.

(٣) انظر النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): المجموع شرح المهذب (١/ ٦٩) تحقيق/ محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جيزة، المملكة العربية السعودية.

يلهكم عنه سمسار أحزاب ينفخ في مزاب، ولا داعية انتخاب في المجامع صخاب ... فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب، وساحر كذاب، إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة، وانضممتم إلى هؤلاء العواة: خسرتم أنفسكم وخسرتم وطنكم، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا، ولات ساعة ندم [١].

* المطلب الثاني: الحرص على الألفة والاجتماع:

الاختلاف: سنة كونية، لها مقاصد عظيمة - ما لم يترتب عليها قطيعة أو هجر أو تدابر أو شحناء، قال الله تعالى ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك؛ ولذلك خلقهم ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] أما افتراق أمة النبي محمد ﷺ فليست من باب هذا الاختلاف الكوني، بل هو مذموم؛ لذلك هناك فرقة ناجية بين هؤلاء المختلفين، وهي من اتبعت سبيل المؤمنين الأوائل؛ النبي ﷺ وصحبه، قال رسول الله ﷺ : «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله، قال ﷺ : «هي الجماعة» [٢]. والجماعة: هي سبيل المؤمنين، وقد جاءت الرواية الأخرى تؤكد هذا المعنى بل وتزيده إيضاحاً وبياناً، حيث قال

---

(١) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الشيخ محمد البشير (٢/ ٣٥٠-٣٥١).

(٢) صحيح بشواهده: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢) رقم (١٦٩٣٧)، والدارمي (٨/ ٢٥) وأبو داود(٤٥٩٧) وغيرهم من حديث معاوية رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ : «هي ما أنا عليه وأصحابي»[١] فـ «أصحابي» هي: سبيل المؤمنين[٢].

فلما كانت الناجية هي الناجية من العذاب والسخط؛ كانت مرحومة، وكانت متابعتها: رحمة؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»[٣].

فالجماعة: بهذا المعنى خير وإن كُرِهت

والفرقة شر وإن أُحِبت

يدل على هذا المعنى:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس! عليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنها حبل الله الذي أَمَر به، وما تكرهون في الطاعة والجماعة

---

(١) في إسناد الزيادة كلام لكن المعنى صحيح، أخرجه الترمذي (٣٦٤١) والحاكم (١/ ١٢٩) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) انظر للألباني، محمد ناصر الدين (ت١٤٢٥هـ) : هذه دعوتنا ص/ ٢٠-٢١ جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١-١٢٩هـ=٢٠٠٨م وانظر للهلالي، سليم ابن عيد : بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف ص/ ٩٤-٩٦ مكتبة الفرقان،عجمان، ط١-١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

(٣) حسن. رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة / ٩٣ وأحمد في المسند (٤/ ٢٧٨، ٣٧٥)، وحسنه العلامة الألباني في تخريجه له المسمى بظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة.

خير مما تحبون من الفرقة»[١].

أما إذا شغرت الأرض من إمام، فالجماعة هي الحق، فالواجب البحث عن طائفة الحق، ومن لم يجدها فليلزم الحق ولو كان بمفرده.

فعن عمرو بن ميمون أنه ذكر لعبد الله بن مسعود حال الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: صلوها في بيوتكم واجعلوا صلاتكم معهم سبحة! قال عمرو بن ميمون: فقيل لعبد الله ابن مسعود: وكيف لنا بالجماعة؟ فقال لي: يا عمرو بن ميمون! إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة، إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك»[٢].

ولله دره هذا الإمام الرباني الشاطبي - رحمه الله - عندما يقول: فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة: علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٧٤) (ح/ ٣٧٣٣٧) وابن بطة في الإبانة (١/ ٢٩٧) والطبراني (١٩٧٢،١٩٧٣) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٩٨) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. قلت: في إسناده كلام لمجالد بن سعيد، وانظر للألباني (٥٨٣٨-السلسلة الضعيفة) مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ط١-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

(٢) رواه اللالكائي، هبة الله بن الحسن (ت ٤١٨هـ): شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٢٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا. دار طيبة، الرياض، ط٩١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنابذ والقطيعة: علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عنى بها رسول الله ﷺ عند تفسير الآية: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ..» وقد تقدمت، فيجب على كل ذي دين وعقل أن يجتنبها، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فإذا اختلفوا وتقاطعوا، كان ذلك لحدث أحدثوه من اتباع الهوى...[١]

وقد طبق الصحابة الكرام هذا المفهوم، فلم يركبوا أسنة الهوى والانتصار للنفس، محدثين الفرقة والاختلاف، بل تجاوزوا وعفوا؛ طلبا للاجتماع والائتلاف، يؤيده ما أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه: أن معاوية خطب فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه (يقصد بالأمر: الخلافة ويعرض بابن عمر وأبيه عمر بن الخطاب) قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويُحمل عني غير ذلك، فذكرتُ ما أعد الله في الجِنان.

---

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ) : المواففات (٥/ ١٦٤) دار ابن عفان، مصر -١٤١٧هـ = ١٩٩٧م

قال حبيب: حُفظتَ وعُصمتَ [١].

وهنا قاعدة عظيمة في ضبط هذا الباب ذكرها ابن القيم -رحمه الله- قال: «القاعدة الثانية»: أي من قواعد الإيمان والسلوك: أنه إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال أو حال من الأحوال أو ذوق من الأذواق، هل هو صحيح أو فاسد؟ وحق أو باطل؟ وجب الرجوع فيه إلى الحجة المقبولة عند الله، وعند عباده المؤمنين، وهي: وحيه الذي تتلقى أحكام النوازل والأحوال والواردات منه، وتعرض عليه، وتوزن به، فما زكاه منها وقبله ورجحه وصححه: فهو المقبول، وما أبطله ورده: فهو الباطل المردود، ومن لم يبن على هذا الأصل علمه وسلوكه وعمله: فليس على شيء من الدين .. وإنما معه خدع وغرور ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩] [٢].

إننا في حاجة إلى التصفية -كما كان ينادي الشيخ الألباني رحمه الله- «إذ

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٨-كتاب المغازي-باب: غزوة الخندق)، وهنا سرٌ لطيف، هو الإشارة من البخاري أنه لا غزو إلا بإمام؛ فالحديث في الإمام والخليفة، لكن ذكره في كتاب المغازي -والله أعلم-

(٢) ابن القيم ، محمد ابن أبي بكر (ت ٧٥١هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٦٣٨) تحقيق /إياد القيسي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١- ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

لا يمكن جمع أبناء الحركات الإسلامية على ما هم عليه من مخالفات عقدية وعلميه وسلوكية وعملية، وهم في كل ذلك أو بعضه - مخالفون لمنهج السلف-، إن دعوتهم - والحال هذه - على الاتفاق والتعاضد: تلفيق نبرأ إلى الله تعالى منه، وإنما المطلوب من الجميع الاجتماع على الحق، والحق واضح من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتراث سلفنا الصالح(١).

إننا بحق إلى هذه الألفة التي افتقدناها كثيراً - لاسيما بين أبناء الهم الإسلامي - ولكن هذا يحتاج إلى جهد المخلصين وصبر الصادقين، نسأل الله سبحانه أن يوفقنا إلى محابه ومراضيه.

المطلب الثالث: نبذ العصبية، وعدم جواز الانتماء الحزبي وحكم أفراده، وجواز العمل الجماعي:

العصبية: وصف من الفعل «اعتصب»؛ أي شَدّ العصابة (كالمنديل أو الخرقة) فلواها ولفها على رأسه، ولعل هذا الوصف كان موجودا عند العرب، فاستعادوا منه شَدّ العصابة على العينين، فلا يكاد يرى، فيخبط خبط عشواء، ولا ينتصر إلا لمن يعرف فقط، إنه فاقد للتمييز، ولذلك عرفت العرب كلمة (عَصَبِيّ) بمعنى: من يعين قومه على الظلم، أو من

---

(١) انظر في هذا العقل، د.ناصر بن عبد الكريم: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها ص /٧٦، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١-١٤١٢هـ .

يحامي - بغير علم أو بصيرة - عن عشيرته ويغضب لهم!! (١) فالمتعصب: لا يرى ولا يدرك ولا يميز، فهو جاهل فاقدٌ لأهلية النظر والفهم؛ ولذلك لا يمكن لعصبي أن يعرف الفتن أو يميزها، فإنه لا يميز إلا ما وقع حِسّيا أمامه، فأدركه إدراكا مباشرا!!

قال الحسن البصري: «إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل» (٢).

ولهذا إذا اجتهد هذا المتعصب أخطأ لا محالة، قال ابن تيمية: «فإن هؤلاء أخطئوا بغير اجتهاد؛ إذ لم يكونوا من أهل العلم» (٣).

ولهذا كان نهي النبي ﷺ عن العصبية، ووصفها بأنها جاهلية؛ لأنها تعمي عن إبصار الحقائق، الأمر الذي يفضي إلى الافتراق والمحاربة وتنافر القلوب، فعن جابر رضي الله عنه قال: «غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رَجُلٌ لَعَّاب، فكَسَع أنصاريا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا، حتى تَدَاعَوْا، وقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي ﷺ فقال: ما بال

---

(١) انظر حول هذه المعاني، المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٥-٦٢٦).

(٢) أخرجه ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى (٩/ ١٦٦) تحقيق/ علي محمد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٥٤).

دَعْوى الجاهلية، ثم قال: ما شأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجري للأنصاري، فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها خبيثة»(١) وفي لفظ مسلم «منتنة».

قال ابن تيمية: «وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار: انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط؛ كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى، ثم مع هذا - لما دعا كل منهما طائفته منتصرا بها: أنكر النبي ﷺ ذلك، وسماها دعوى الجاهلية ...»(٢).

والجاهلية هنا: الدعاء بدعوى الجاهلية، وهي العصبية لشخص أو مذهب أو قبيلة أو طائفة بالهوى دون علم أو برهان، وجَعْل الولاء والمعاداة عليه، بل جعل هذه العصبية ميزانا يُوزن الناس به، فكل هذا من دعوى الجاهلية(٣).

فلا محاباة من غير فكر أو توقف إلا للشرع، قال ابن تيمية: «أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٣٥١٨ - مناقب) ومسلم (٢٥٨٤ - البر والصلة).
(٢) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤٩).
(٣) انظر في هذا لابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٤٣١).

وأئمتهم فقهاء فيها: تصديقا وعملا وحبا وموالاة ...»[١].

ولهذا كان كلام الشيخ الألباني - رحمه الله - دقيقا، وهو يتكلم - بصورة عصرية - عن التنظيمات التي هي - غالبا - مظنة التعصب، فيقول: «نحن نقر تنظيما وننكر تنظيما، التنظيم الذي ننكره هو ما يهتف به الناس الذين يريدون أن يقيموا دولة الإسلام ما بين عشية وضحاها، هذه التنظيمات التي تقوم على ما يشبه التنظيمات المعروفة لدى غير المسلمين، تنظيمات سرية مثلا، استعدادات مادية، أن تقوم مثلا دولة في وسط دولة وما شابه ذلك ... فالتنظيمات هذه التي يدندنون حولها كثير من المتحزبين هذا الذي نحن ننكره، أما التنظيم في سبيل تدريس العلم وتوجيه الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ونحو ذلك من الأحكام المقطوع بشرعيتها في الإسلام فهذا نحن لا ننكره ...»[٢]

إذن نحن نُقِرُّ بالعمل الجماعي، وهذا أصل في منهجنا، منهج الدعوة السلفية الربانية، أما عمل جماعي يوظف لخدمة حزبية فلا يجوز ذلك، يقول الشيخ مقبل «نحن لا نقول بالعمل الحزبي، أما العمل الجماعي فالواجب على المسلمين أن يتحدوا وأن يعملوا للإسلام، ولا يستطيع أحد منا أن يحقق للإسلام شيئا بمفرده، لكن إذا أراد أن يستغل عملك

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٧).
(٢) الألباني: فتاوى جدة (شريط/ ٢٧).

هؤلاء الحزبيون: عملت للإسلام في حدود ما تستطيع به..»[١].

وهذا هو منهج الدعوة السلفية، فكما يقول ابن عثيمين: «السلفية: هي اتباع منهج النبي ﷺ وأصحابه؛ لأنهم الذين سلفونا وتقدموا علينا، فاتباعهم هو «السلفية» ... أما اتخاذ السلفية كمنهج حزبي: فلا شك أن هذا خلاف السلفية...»[٢].

ويحذر ابن عثيمين - رحمه الله - من الحزبية، ويدعو إلى ضرورة الابتعاد عن خطاب التبديع، والالتزام بالاجتماع والتحاكم إلى الوحي لا إلى الأهواء وآراء الرجال، يقول - رحمه الله - «إذا كثرت الأحزاب في الأمة: فلا تنتم إلى حزب ... ولا شك أن الواجب على جميع المسلمين أن يكون مذهبهم مذهب السلف لا الانتماء إلى حزب معين يسمى السلفيين، والواجب أن تكون الأمة الإسلامية مذهبها مذهب السلف الصالح لا التحزب إلى ما يسمى (السلفيون) فهناك طريق السلف وهناك حزب يسمى (السلفيون) والمطلوب اتباع السلف، إلا أن الإخوة السلفيين هم أقرب الفرق إلى الصواب ولكن مشكلتهم كغيرهم أن بعض هذه الفرق يضلل بعضهم بعضا ويبدعه ويفسقه، ونحن لا ننكر هذا إذا كانوا

---

(١) الوادعي، مقبل بن هادي: غارة الأشرطة (١/ ١٩٩) دار الحرمين، القاهرة، ط١- ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

(٢) ابن عثيمين: لقاء الباب المفتوح (شريط/ ٥٧).

مستحقين، لكننا ننكر معالجة هذه البدع بهذه الطريقة، والواجب أن يجتمع رؤساء هذه الفرق، ويقولون: بيننا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله فلنتحاكم إليهما لا إلى الأهواء والآراء، ولا إلى فلان أو فلان، فكلٌّ يخطئ ويصيب مهما بلغ من العلم والعبادة ولكن العصمة في دين الإسلام [١].

وفي سياق قريب، يقول الشيخ بكر أبو زيد : «إن أي فرقة أو حزب أو جماعة تعيش تحت مظلة الإسلام باسم معين أو رسم خاص بها: فهي من جماعة المسلمين، وتقترب وتبعد من «الصراط المستقيم» الذي عليه «جماعة المسلمين» بقدر ما لديها من مناهج وخطط وتصورات يقرها الإسلام أو ينفيها، أما التي يكون انتسابها إلى الإسلام تلبيسا وظلما: كالبابية والبهائية... فهذه فرق كافرة لا دخل لها تحت سرادق بحثنا» [٢].

هذا من حيث العموم، أما من حيث التعيين، فإن التبديع كالتفسيق والتكفير والرمي بالمعصية لابد فيه من إقامة الحجة بشروطها المعتبرة، يقول ابن تيمية: «إني من أعظم نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى [٣]. ويقول شيخ الإسلام

---

(١) ابن عثيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١هـ): شرح الأربعين النووية ص/ ٣٠٨-٣٠٩ دار الثريا، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

(٢) أبو زيد: حكم الانتماء ص/ ٨٧.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

«ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد [يقصد الاعتقاد السلفي] يجب أن يكون هالكا! فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته...»[١].

وليس الحكم بالبدعية الحزبية يعني بدعية كل منتسب إليه، فقد يكون فيه الفاضل المتأول، فلقد ذكر الشيخ الألباني مثل هذا فقال: «نرى جماعة التبليغ والإخوان المسلمين وحزب التحرير كجماعة، لا أقول: كل فرد منهم؛ لأني أعرف أن في الإخوان وفي كل الجماعات هذه أفرادا يمشون معنا على الخط السلفي علما وعملا ...»[٢].

** ** **

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٧).
(٢) انظر للألباني: دروس الألباني (رقم/ ٩).

* المطلب الرابع: اتباع الأمر الأول:

وهو الفيئة إلى ما كان عليه السلف الأول من الصحابة والتابعين، فهم أهدى وأَسَدّ وأرشد، وما أحسن ما قال ابن القيم - رحمه الله -: «فإن العالم إذا زل فإنه يُحْسِنُ إسراع الفيئة وتدارك الفارط ومداواة الجرح، فهو كالطبيب الحاذق البصير بالمرض وأسبابه وعلاجه، فإن زواله على يده أسرع من زواله على يد الجاهل ...أ.هـ[١]

ولهذا: أدعو كل من سلك مسلك الحداثة الديمقراطية من المشايخ والتلاميذ إلى النجاة مما تلبسوا به من الفتن، وذلك بأن يرجعوا إلى الأمر الأول، وهو الهدى والسنة والعلم والدعوة الخالصة، وهو طريق السلف الأول، يدل عليه ما ورد عن الأعمش - رحمه الله - قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول» [٢]، وعن عائذة - رحمها الله - قالت: رأيت ابن مسعود رضي الله عنه يوصي الرجال والنساء ويقول: «من أدرك منكم من امرأة أو رجل فالسمتَ الأول، السمت الأول، فإنّا على الفطرة»، قال عبد الله ابن محمد وهو شيخ الدارمي - رحمه الله -: السمت «الطريق» [٣].

---

(١) ابن القيم: مفتاح دار السعادة (١/ ١٧٧).

(٢) إسناده صحيح. أخرجه الدارمي (١٧٤-المقدمة).

(٣) إسناده صحيح. أخرجه الدارمي (٢١٩-المقدمة).

والأمر الأول أو الطريق الأول لن نكون عليه إلا إذا خرجنا مما تلبسنا به من المخالفة لنعود إلى ما كنا عليه من الهدى والتوفيق، يدل عليه أن رسول الله ﷺ ذكر للصحابة يوما أنها ستكون فتنة، فلم يسمعه كثير من الناس، فقال معاذ رضي الله عنه : تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ ؟ قالوا: ما قال؟ قال يقول: «إنها ستكون فتنة» قالوا: فكيف لنا يا رسول الله؟ أو كيف نصنع؟ قال: «ترجعون إلى أمركم الأول»[1].

وفي خبر أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ ذكر الهرج: من القتل، والتكذيب، وأن يحسب كل امرئ أنه على شيء وليس على شيء، قال أبو موسى: «والذي نفس محمد بيده لقد خشيت أن تدركني وإياكم تلك الأمور، وما أجد لي ولكم منها مخرجا فيما عهد إلينا نبينا: إلا أن نخرج منها كما دخلناها، لم نُحْدِث فيها شيئا»[2].

وما جاء به النبي ﷺ وأثر عن صحابته: هو ما كان عليه السلف الصالح، فمن حاد عن طريقتهم في الفهم والاستدلال والعمل فقد ضل، قال الأوزاعي - رحمه الله - : «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول، فإن الأمر ينجلي وأنت على

---

(١) صحيح. أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٢١) ح/ ١١٨٤، والطبراني في «الكبير» ٣/ ٢٤٩ ح/ ٣٣٠٧.

(٢) إسناده صحيح. أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٩) وانظر للألباني في الصحيحة (٤/ ٢٤٨) ح/ ١٦٨٢.

طريق مستقيم»[(١)]، وفي هذا المعنى يقول الطحاوي معلقا على الحديث الذي أخرجه: فعلى الناس التمسك بذلك ولزومه.أ.هـ[(٢)]

وعن عامر بن مطر - رحمه الله - قال:؛ كنت مع حذيفة رضي الله عنه فقال: أما يوشك أن تراهم فينفرجون عن دينهم ما تنفرج المرأة عن قبلها فاستمسك بما أنت عليه اليوم فإنه الطريق الواضح. كيف أنت يا عامر بن مطر إذا أخذ الناس طريقا والقرآن طريقا مع أيهما تكون؟ قلت: مع القرآن أحيا معه وأموت معه قال حذيفة: فأنت إذا»[(٣)] نعم، سل نفسك أيها الحبيب هل أنت مع الحق أم لا؟ وإذا أردت أن تعرف: تخيل أن رسولنا ﷺ حي بين أظهرنا يرزق يا ترى: هل تراه يفعل ما يفعله أدعياء «الدعوة السلفية» من: تأصيل مفهوم الديمقراطية والتراطن بالحداثة، والتزاحم من أجل الرياسة، وطلب الحكم والسيادة، وإضاعة الدين، وإهمال الواجبات؟ وغيرها كثير ...

*** المطلب الخامس: الحرص على أدب مخالطة الناس لاسيما زمن الفتن:**

فوقت الفتن: تضطرب الأخلاق، وتسوء الطبائع، وتنحرف السلوكيات؛ ولما كان المسلم صاحب شخصية متزنة متكاملة، ونظرة

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه الآجري في الشريعة ص/ ٥٨.
(٢) الطحاوي: مشكل الآثار (٣/ ٢٢٤).
(٣) إسناده صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٢٩٨).

صحيحة للإنسان وللكون [١]، فيلزمه - اتباعا لهدي السلف الصالح - أن يستصحب الأخلاق الفاضلة، وقد زكى ربنا سبحانه نبيه ومصطفاه فقال عنه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] وقال ﷺ: «أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم خلقا» [٢]. وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [٣] وفي لفظ «صالح الأخلاق» [٤].

لقد كان حرص المتقدمين عظيما على تحصيل الأدب، والتخلق بأعلاه، فمن بديع كلام ابن المقفع، لما قيل له: من أَدَّبك؟ قال: نفسي، إذا رأيت من أحد حُسْنا أتيته، وإن رأيت قبيحا أبيته [٥].

وفي ترجمة الباهي، محمد بن محمد، أبي الفتح نجم الدين، يقول الحافظ: «برع في الفنون، وتَقَرَّر مدرسا للحنابلة في مدرسة جمال الدين، وكان

---

(١) انظر كتابنا: هداية القاصد لنيل أهم المقاصد؛ وفيه تصور كلي لترتيب أبواب الاعتقاد والفقه.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٠٤) والترمذي (٣/ ٤٣٨) وأحمد (٦/ ٤٦٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠/ ٣٥٩).

(٣) صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٢٤) والبيهقي في «شعب الإيمان (١٠/ ٣٥٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١٠٤).

(٤) صحيح. أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١) رقم (٨٩٥٢) والبزار في «المسند» (١٥/ ٣٦٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٣٢٣).

(٥) انظر في ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٨).

عاقلا صَيِّنا كثير التأدُّب ... مات بالطاعون عن بعض وثلاثين سنة[١].

ووصفه البلقيني (والباهي تلميذ البلقيني؛ إذ قرأ عليه مصنفه محاسن الاصطلاح) بـ «الشيخ العالم، المحقق، مفتي المسلمين ... »[٢].

وفي ترجمة ابن الهائم، محمد بن أحمد بن محمد بن عماد المصري (٧٨-٧٩٨هـ) يقول الحافظ: «... حفظ القرآن وهو صغير جدا، وكان من آيات الله في سرعة الحفظ وجودة القريحة، اشتغل بالفقه والعربية والقراءات والحديث، ومَهَر في الجميع في أسرع مدة، ثم صَنَّف وخَرَّج لنفسه ولغيره.

رافقني في سماع الحديث كثيرا، وسمعت بقراءته «المنهاج» على شيخنا برهان الدين، وهو أزكى من رأيت من البشر، مع الدين والتواضع ولطف الذات وحسن الخُلُق والصيانة ... عَوَّضه الله الجنة»[٣].

هذا حال أهل العلم، كانوا يجمعون معه الأدب، ليس كحال طلبة أزماننا، فلا تعرفه إلا قليل الأدب سيء الخلق، وإنا لله وإنا إليه راجعون؛ ولذلك لزم على أهل الديانة - زمن الفتن - أن يتخلقوا بأخلاق كثيرة،

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ): إنباء الغمر بأنباء العمر (٧/ ٢٤٧) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط٢-١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

(٢) نقله السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٢٢٤) دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر (٣/ ٣٠٨).

أهمها:

١- الصبر.

٢- التؤدة وعدم العجلة.

٣- الثبات وعدم التلون.

٤- نفع الناس والحرص على إيصال الخير لهم.

أولا: الصبر، فالإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال ﷺ: «وما أعطي أحدٌ عطاء خيرا ولا أوسع من الصبر» [(١)]، وهذه مشكلة الناس - لاسيما زمن الفتن - أنهم لا يتخلقون بهذا الخلق، وما أجمل ما ذكره عمر بن يزيد، قال: سمعت الحسن البصري - أيام يزيد ابن المهلب - قال - وأتاه رهط فأمرهم أن يلزموا بيوتهم ويغلقوا عليهم أبوابهم -: «والله! لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم: صبروا، ما لبث أن يرفع الله ذلك عنهم؛ وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلوا إليه! و والله! ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

يَعۡرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] [١].

ثانيا: التؤدة وعدم العجلة: فالأصل أنك على دين وسنة وأصل، فإذا جاءت الفتن وجب الاستمساك بما أنت عليه، فلا تتأخر عن رأيك لما كنت عليه أولا، وهذا هو التأني، وهو الخير للمسلم ولأمته ولدينه، يدل على هذا الأصل المهم قوله ﷺ للأشج العصري: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله ثم ذكر ﷺ الحلم والأناة[٢] وعن الشعبي عن شريح أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كتب إليه: «فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد قبلك: فاختر أي الأمرين شئت، إن شئت أن تجتهد برأيك ثم تتقدم: فتقدم، وإن شئت أن تتأخر: فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيرا لك [٣]. عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنها ستكون هناك أمور مشتبهات، فعليك بالتؤدة، فتكون تباعا في الخير: خيرا من أن تكون رأسًا في الشر [٤].

ثالثا: الثبات وعدم التلون، فلا يحيد المرء علن الحق، بل يستمسك

(١) حسن. رواه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ١٦٤) والآجري في «الشريعة» (٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧ - كتاب الإيمان).

(٣) إسناده صحيح. أخرجه الدارمي (١٦٩).

(٤) إسناده صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (ح/ ٣٨١٨٤) والبيهقي في «الشعب» (٩٨٨٦) وابن بطة، عبد الله بن محمد (ت ٣٨٧هـ): الإبانة (١/ ٢٨ ث/ ١٧٦) دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

به؛ إذ الحق هو: المتيقن فيه، وهو ما كان عليه الأمر الأول قبل هرج الناس ومرجهم، وهو الهدي الذي ورثناه عن النبي ﷺ وصحابته الكرام الراشدين ومن بعدهم، يدل عليه حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافا كبيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور...»(١) وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ونحن جلوس على بساط: «إنها ستكون فتنة» قالوا: كيف نفعل يا رسول الله؟ قال: فرد يده إلى البساط فأمسك به فقال: «تفعلون هكذا»(٢) ويقصد رسول الله ﷺ: الإشارة إلى الاستمساك بما جاء به رسول الله ﷺ دون غيره قال تعالى ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ [الأعراف: ٣] قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «من أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ والاقتداء بهم ... والسنة عندنا: آثار رسول الله ﷺ ... ولا نضرب لها الأمثال: ولا

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) رقم (١٧١٤٢ ، ١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧) وغيرهما.

(٢) صحيح. أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (ح/ ١١٨٤) والطبراني في الكبير (ح/ ٣٣٠٧).

تدرك بالعقول والأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى»[(١)].

والتلون: أن يكون لك في موقف الحق وجوه، فتارة تقول الحق عند أهله، وتقول الباطل عند أهله، فتكون سببا للفتنة؛ وسببه التقلب وعدم الثبات، فعن خالد بن سعد - مولى أبي مسعود - قال: دخل أبو مسعود على حذيفة - وهو مريض - فأسنده إليه، فقال أبو مسعود: أوصنا، فقال حذيفة: «إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين»[(٢)].

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يرون التلون في الدين من شك القلوب»[(٣)].

رابعا: نفع الناس والحرص على إيصال الخير لهم، فقد قال ﷺ: «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، وهذا في سياق حديث مصعب ابن سعد، قال: رأى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن له فضلا على من دونه، فقال النبي ﷺ: الحديث[(٤)].

(١) الإمام أحمد في أصول السنة ص/ ٣٥-٣٧ ط. دار السلام - تحقيق: عمرو عبد المنعم.

(٢) صحيح. أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢٥) و(٥٧١-٥٧٣) والحاكم (٤/ ٤٦٧) وابن أبي شيبة (١٥/ ٨٨) وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢٦).

(٣) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٥٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٩٦ - كتاب الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين=

وكان ذلك هديا قائما في دولة الإسلام في كل العصور [١]، حتى في العصور المتأخرة، ففي ترجمة ابن العَطَّار الحراني، علي بن محمود بن علي (ت ٧٩٥هـ)، قال عنه الحافظ ... برع في النحو والفرائض، وتصدى لنفع الناس، وتَصَدَّر بأماكن، وكانت دروسه فائقة، وكان يتوقد ذكاء». أ.هـ[٢]

إن التفاعل مع الناس ونفعهم وإسعادهم لطريقة حسنة في تحبيب الناس إلى الدين، وسنة النبي ﷺ الأمين، وما يضيرنا أن نكون سببا في إيصال الناس إلى الجنة، لا أن نكون سببا في صدهم عن طريقها؟!!

المطلب السادس: فتاوى أهل العلم بجواز المشاركات السياسية .. قراءة تأملية في ضوء قواعد وروح الشريعة:

لا نقدس أهل العلم، بل نحترمهم، ومن احترامنا لهم: النظر في فتاواهم باعتبارات عدة، وهذا النظر لا يقوم به إلا من تَأَهَّل عِلْما وأدبا، سِنّا وخبرة [٣]، وقد جعلت هذا المطلب في آخر مباحث الكتاب؛ ليكون

= في الحرب).

(١) انظر كتابنا: دور الوقف الإسلامي في تنمية المجتمع المصري الحديث، الواقع .. الآمال.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر (٣/ ١٧٩).

(٣) انظر فضلا دراستنا عن المشيخة والمسئولية في كتابنا «شيء من فقه المرحلة» فهناك ارتباط بين المشيخة والمسئولية، فالشيخ لابد أن يقوم بوظائفه العرفية بطريقة فاعلة؛ لينتج طلبةً وفهما وعملا ..

تطبيقا عمليا لما تعلمناه من الكتاب من: الأدب والإنصاف والنظر الصحيح! إنه من الخطورة بمكان أن تتلون في الأخذ عن المشايخ، فما خلافونا فيه: طرحناه، وما وافقونا فيه: أخذناه، هذا دليل على أن معيارنا ليس: مراعاة الحق والاستمساك به، بل هو الظن واتباع الهوى!!

وليس معنى ذلك الحط من أهل العلم، بل يحظى أهل العلم في كل زمن بمكانة عظيمة في نفوس الأمة فهم المبلغون عن الله - عز وجل -، وعن رسول الله ﷺ، وعنهم تصدر الأمة في آرائها زمن النوازل وحصول الفتن، لكن في الوقت نفسه لا ينبغي أن يقدس العالم أو أن تعتقد عصمته، فلربما كانت خبرته بالواقع المخصوص المُحْكى عنه قليلة، وربما ضاق وقته عن دراسة المسألة النازلة، وربما ارتج عليه في فهم الدليل أو في صحة تنزله، هذا كله وارد، وليس بقادح أبدا في حب أهل العلم واحترامهم، والاعتقاد بفضلهم وميزتهم، هذه المزية في كل مكان في كل زمان، على حسب رزق الله - عز وجل - لهم بالفهم والتمكن في العلم...

ولعل من أخطر النوازل التي نزلت بأمة الإسلام في السنين القلائل الماضية، نازلة مشاركة أهل السلطان دنياهم؛ ظنا أننا يمكن أن نقيم الإسلام وننشر به العدل عن طريق هذه المزاحمات أو المشاركات التي سميت بـ «المشاركات السياسية»، ولنا أن نعلم أن المشاركات السياسية - في أزماننا - : إقرار بالديمقراطية - في حدود المسموح به رسميا -

التي ليس لها علاقة بالإسلام لا في صدر ولا ورد، لا في الأصل ولا فيما يتفرع عنه أو يخرج منه، وبغية هذه المشاركات: دخول البرلمان، وقرار البرلمان بالأغلبية، ولا يُمكن أبدا أن تُمَكَّن الأغلبية المتصالحة مع الشريعة، هذا إن وصلوا إلى البرلمان!! فيبقى وجود الإسلاميين بالبرلمان إقرارًا بالديمقراطية وأسسها وإجراءاتها، وهي باطلة قطعا، وقد أمرنا ربنا سبحانه فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

والأصل أن المشايخ الكرام كالألباني وابن باز وابن عثيمين وغيرهم -أبقاهم الله حسنة دائمة- لا يرون مثل هذه المشاركات إلا بضوابط وفي حدود الضرورة، وهي تحقيق المصالح اليقينية وتكثيرها ودرء المفاسد الحقيقية وتقليلها، وتدور هذه المصالح حول: تطبيق الشريعة، ورعاية مصالح المسلمين، وهذا ما أتت به الشريعة أصلا، ومن ذلك مثلا:

١. تصريح الألباني ومقبل ابن هادي وغيرهما في البيان الذي أصدروه في سنة ١٩٩٢م ونشرته مجلة الأصالة في العدد الثاني بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة سنة١٤١٣هـ ص/ ٢٢، وفيه: «والانتخابات السياسية بالطريقة الديمقراطية حرام أيضا لا تجوز؛ لأنه لا يشترط في المُنْتَخَب، والناخب الصفات الشرعية لمن يستحق الولاية العامة أو الخاصة، فهي بهذه الطريقة تؤدي إلى أن يتولى حكم المسلمين من لا يجوز توليته ولا استشارته».

أقول: ولعل هذا الجزم من الشيخ الألباني -رحمه الله- ومن معه بعد أحداث الجزائر المؤسفة في (١٩٨٩م) فقد كان يرى أن المشاركات لا تجوز، لكن يمكن دعم أقرب المرشحين إلى الإسلام، من باب المصلحة وأملا في تقليل الشَّر، وفتواه في واقع الجزائر، هي تقريبا فتوى اللجنة الدائمة بالمملكة السعودية برئاسة الشيخ ابن باز -رحمه الله- ونيابة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-، وعضوية الشيخ عبد الله بن غديان، وهي الفتوى رقم (١٤٦٧٦)، ونص السؤال كالآتي: «كما تعلمون عندنا -في الجزائر- لا تريد الحكم الإسلامي، فما حكم الناخب على غير الحكم الإسلامي مع أنه يصلي؟

الجواب: يجب على المسلمين في البلاد التي لا تحكم بالشريعة الإسلامية أن يبذلوا جهدهم وما يستطيعون في الحكم بالشريعة الإسلامية، وأن يقوموا بالتكاتف يدا واحدة في مساعدة الحزب الذي يعرف منه أنه سيحكم بالشريعة الإسلامية، وأما مساعدة من ينادي بعدم تطبيق الشريعة الإسلامية: فهذا لا يجوز، بل يؤدي بصاحبه إلى الكذب؛ لقوله -عز وجل-: ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ [المائدة: ٥٠]، ولذلك لما بَيّنَ الله -عز وجل- كفر من لم يحكم بالشريعة الإسلامية حذر من مساعدتهم أو اتخاذهم أولياء...ا.هـ.

وهذا ما نص عليه الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله- في شرحه

لسنن أبي داود، فقال: «الانتخابات ليست من الطرق الشرعية، وإنما هي من الطرق الوافدة على المسلمين من أعدائهم، والحكم فيها للأغلبية، ولو كانت الأغلبية من أفسد الناس، أو كان الذي ينتخبونه من أفسد الناس؛ لأنهم ينتخبون واحدا منهم، والحكم للغلبة، وحيث يكون الغلبة أشرارا (*)، فإنهم سيختارون شريرا منهم، والدخول في الانتخابات إذا لم يحصل من ورائه فائدة ومصلحة فلا يصح.

*** فهذا الكلام ونحوه من كلام أهل العلم يلاحظ فيه[١] ملاحظات عدة:**

أولاً: كلام المشايخ مجمل، يعكس التصور الفقهي النظري الذي ينشر تحقيقه المصلحة ودرء المفسدة مطلقا، وهذه هي الدرجة الأولى، أو زيادة الخير وتكثيره، وتعطيل الشر وتقليله في درجة ثانية، والمصلحة والخير كله إنعاش الناس بشرع الله سبحانه والاحتكام إليه!!

وسبب إجمال الفتاوى: إجمال السؤال، فالسؤال مجمل غير مفصل إذ لم تبين الأسئلة حقيقة «مصلحة تطبيق الشريعة-ومفسدة أضرار المشاركة»، كما لم تظهر الأسئلة قوى شد الحبل الاجتماعي والإقليمي، ولم تدرس

(*) وهذا واقع لا محالة إلا إذا تغيرت الأمة، قال الله – عز وجل – : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(١) قلت: فيه، ولم أقل: عليه؛ لأن هذه الملاحظات ضرورية لاكتمال فهم النسق العلمي الفقهي لفتواهم.

البعد الشعبي واتجاهاته، كما أنها لم تقدم -وهي أسئلة مصيرية متعلقة بواقع الأمة ومستقبلها- دراسة علمية عن وضعية المشاركة، الأمر الذي ينجلي به الواقع، لا أن يصير الواقع مُضَبَّباً!! ولو كان السؤال تفصيليا على هذا النحو: لصارت الفتوى متسقة مناسبة لهذا الواقع، لم يحدث شيء من ذلك مطلقا، وبذلك صارت هذه الفتاوى مفيدة بظروفها، التي تغيرت بعد ذلك، الأمر الذي يجب معه تغير هذه الفتوى، وهو ما يتضح في الملاحظة الثانية -إن شاء الله تعالى-.

ثانياً: كلام المشايخ في وقائع مُحَدَّدة، مثل: واقع الجزائر (في حدود١٩٨٩م)، حيث تصارعت الأحزاب العلمانية والإسلامية، ورفعت الإسلامية مشروع «إقامة الشريعة الإسلامية» وحشدت الناس حول هذا، فكان التمايز قائما على أساس واضح دون ممايعة أو مداخلة في باطل بحجة الموازنات، وأن الخلاف بين الإسلاميين والعلمانيين خلاف برامج لا خلاف مناهج!! أو كان كواقع مصر سنة١٩٨٥م، حيث تصارعت أيضا الأحزاب، وحاول الإخوان دخول البرلمان عن طريق الوفد فلم يفلحوا، ثم كان إنشاء حزب العمل ومناداة الشيخ صلاح أبو إسماعيل الشباب وغيرهم لدخوله؛ ليكون سببا في دخوله البرلمان وتغيير القوانين وتحكيم الشريعة، وبالفعل تدافع الشباب إلى هذا الحزب -باستثناء الشباب السلفي- ودخل الشيخ صلاح أبو إسماعيل

مجلس الشعب في دورتين ١٩٩٠،١٩٨٥م. وهذان مثالان للمشاركات السياسية في ظروف مناسبة، أما واقع الكويت، فالأمر مختلف؛ إذ المجتمع تحكمه تقاليد بعيدة الزمن، والممارسات السياسية هناك تقارب الشريعة الإسلامية في شيء كبير، فهذا واقع لا يقاس عليه.

وإذا نظرنا إلى هذه الوقائع، نجدها قد اختلفت وتغيرت، فواقع الجزائر، انتهت المشاركة ببحار الدم، وواقع مصر: انتهت بتجميد مسودات تقنين الشريعة الإسلامية، ونكوص النواب عن وعودهم وعهودهم في بيت الله الحرام أن يقوموا بتطبيق الشريعة، الأمر الذي ترتب عليه إعلان الشيخ صلاح أبو إسماعيل أنه أخطأ الطريق إلى البرلمان في ظنه أنه سيكون طريقا إلى تطبيق الشريعة، واستقال الرجل قبل اكتمال دورته الثانية من البرلمان المصري، وواقع الكويت: مع أنه لا يقاس عليه، إلا أن الاتجاه الإسلامي مُنِي بخسارة فادحة، وأصيب بالتشرذم والاختلاف، وتجرأ الرافضة عليه، وصار في حكم المنبوذ سياسيا بعد أن كان طليق العمل السياسي!! وصار ما قَدَّم من مصالح محدودة تائها في جملة المفاسد الوبيلة!! وسيأتي الكلام عن بعض ذلك بعد قليل -إن شاء الله-.

وعليه؛ فإذا كانت الفتوى تتغير بتغير الأحوال والوقائع، فإن الوقائع في بلاد المشاركة السياسية في ديار الإسلام (وأقول في ديار الإسلام) قد تغيرت، ظهر فساد هذه المشاركات السياسية، مما يترتب عليه تغير

هذه الفتوى المجيزة، وهذا منهج العلم!! وهذا ما حدا بالشيخ الألباني -أبقاه الله نافعا- أن يقرر بعد تجربة الجزائر حرمة المشاركات -كما سبق وأشرت-، وكذلك الشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ الفوزان (فيما نقله الناقلون هو صحيح مُخَرَّج على قواعد أهل العلم) ولو أتيح لأحد سؤال المشايخ ابن باز وابن عثيمين لأجابا بما هو صحيح على أصول قواعد أهل العلم [تغير الفتوى-النظر في ماهية المصلحة والضرورة-أم التعصب والتقليد الأعمى...].

ثالثاً: هل يجوز قياس فتوى على فتوى؟ ذلك أن الفتوى اجتهاد، فهل نجعل من اجتهاد بعض أهل العلم وأفراده -في واقعة ما- أصلا شرعيا نقيس عليه؟ أقول: لعل هذه المسألة متنوعة، فربما صح القياس (وهذه نوادر علمية) وربما لا يصح، ولعل المعيار - لاسيما في مسائل النوازل - في ذلك: يقينية السبب وضرورية الوصف المناسب؛ إذ إن ظنية وإيهام السبب الجامع أو الوصف المناسب يجعل القياس لاغيا باطلا، ويعرف هذا من قرائن الأحداث والوقائع، من ذلك:

- أجاز أهل العلم الجهاد ضد الروس في أفغانستان في الثمانينات، والعلة أنهم كفار محتلون لديار الإسلام(!) أترانا نجيز حاليا قتال أثيوبيا؛ لأنها دولة كافرة احتلت ديار الإسلام في الصومال مثل: (أوجادين)؟! قد يصح هذا نظريا، لكن علميا لا تصح هذه الفتوى، ومثله: إعلان الجهاد

ضد أسبانيا والبرتغال، فهما دولتان كافرتان محوتا الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)، لا يمكن أن تصح هذه الفتوى عمليا!! فهذه الأوصاف المناسبة التي تمثل العلة الجامعة بين الأصل والفرع هناك عوامل تؤثر فيها وتمنع من إيقاعها؛ وبذا فإن هذا القياس يكون لاغيا، ويكون من باب العبث والهذر.

- أما إذا كان السبب أو الوصف المناسب قائما على مصلحة يقينية وضرورة لا ترد، فإنه يجوز ملاحظة هذه العلة في الوقائع المشابهة، ويمكن القطع بذلك من خلال السياق ودلالات الأحوال، بجامع تحقيق المقطوع به وحصول المصلحة المتيقنة، ومثال ذلك: لو أن حاملا أصيبت بعد الوضع -بارتخاء الرحم، فمن المقطوع به حصول نزيف حاد قد يؤدي إلى الوفاة وقد يترتب عليه استئصال الرحم أو تدخل إسعافي سريع من فريق عمل طبي في تخصصات عدة لا تقوى النساء عليها مثل: (الجراحة-أمراض الدم-التخدير...) وبذا يكون من الجواز الشرعي -للضرورة وللمصلحة المتيقنة- الاستعانة بالأطباء الذكور. ومثلها في الشبه والقياس بجامع يقينية المصلحة ووقوع الضرورة التي لا تدفع، لو أن امرأة أصيبت بورم في صدرها، واحتيج إلى استئصاله، أيجوز أن تنكشف على الأطباء الذكور؟ الجواب: جواز ذلك؛ إذ لا سبيلَ عملية لدرء المفسدة وجلب المصلحة إلا بارتكاب هذا المحظور، فيكون ارتكابه

بقدر الضرورة، وهكذا في كل نظير.

إنه بمراعاة هذه المعاني الأصولية، واعتباراتها في سياقاتها الحالية والمقامية: تتحقق المصالح المقطوع بها أو تزاد، وتزول المفاسد المقطوع بها أو تقل، وعندئذ يبدو جمال التشريع الإسلامي وروعة القواعد الفقهية ومدى مناسبتها لأحوال العباد في كل زمان ومِصْر، وعندئذ لا تكون القواعد الفقهية أُلعوبة في يد من يجعلها عجينة يصنع منها أشكالا عدة، فتتبدد القواعد الفقهية كالأستك، وجارية على مقتفي الأهواء، وربما سبَبَّ هذا نفرة الناس من شرع الله -عز وجل- أصلا، وهمزهم ولمزهم السالكين دربه، فيكون هذا السبيل قطعا ليس سبيل أهل الهداية، بل هو سبيل أهل الشقاء والغواية، ثم باستمرار الأيام ومع عدم وجود الإنكار: يصير هذا الضغث الفقهي والركام المعرفي عِلْما يتدين إلى الله -سبحانه وتعالى- به!!! سبحان الله!!

رابعاً: (وهو مشار إليه قبل، لكن افردته تذكيرا): ضرورة ربط الفتوى بموردها، فعند النظر في فتاوى أهل العلم -حفظهم الله وأبقاهم ورحم موتاهم- كانت في موارد معينة، مثل: الجزائر-مصر-الكويت... وبتحليل المشاركات في هذه الدول وغيرها مثل (تركيا) نجد أن المشاركات أَوْدت إلى مصائب وخيمة باستثناء الكويت إلى حد ما؛ لأسباب مجتمعية حاكمة، لقد كان الشر وبيلا بسبب هذه المشاركات، لقد حُلَّت الأحزاب ذات

الميول الإسلامية بتركيا، وانقلب الجيش على مؤسسات الدولة، وألقي القبض على زعماء التيار الإسلامي، وتراجع المَدّ الإسلامي وانحسر ولو بنسبة، وفي الجزائر: انفرط العقد، واستحالت البلاد إلى حمامات دم بعد وأثناء حروب ضروس لا ترحم، أفنت عشرات الآلاف خلفت مئات الآلاف من الجرحى، غير ما أصاب الأمة الجزائرية من كره للإسلام وأهله [هذا الإسلام الذي يسميه أهل الديمقراطية الإسلامية - بعد التعديل والتزويق - بالمشروع الإسلامي!!]، وعادت العلمانية تضرب أنيابها وتنشب أظفارها القذرة في جسد الأمة؛ محاولة ضعضعة ثوابت دينها وصدها عن لغتها وفرض الهيمنة والتبعية للمشروع الحضاري الغربي، وكان هذا الوضع الجزائري دَرْسا يجب ألَّا يُنسى!! أما في مصر، فقد سبقت الإشارة بما فيه الكفاية...

خامساً: قيمة فتاوى أهل العلم في تأملها والاعتبار بها لا في التعصب لها، لابد أن نفرق بين العالم وفتواه، فيمكن أن يحترم العالم ويُجَلّ لكن تنزل فتواه على ما يناسبها، أما أن نجعل فتوى العالم مكونا من احترامنا له، فهذه هي العصبية المذمومة والتقليد المرذول، ولقد حَذّر الأئمة منه، فقالوا: «كل يؤخذ منه ويترك إلا المعصوم ﷺ»، وقول الإمام أحمد -رحمه الله-: «لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي وخذ من حيث أخذوا»، ونحن كم مسألة خالفنا فيها بعض أهل العلم مع إجلالنا لهم، فقد خالفنا

الشيخ الألباني – مثلا – في مسألة حرمة الذهب المُحَلَّق، ونرى جوازه، فما الضير؟!! لماذا هذه العصبية والتقليد المذموم الذي طالما حاربناه ولا زلنا ننكره ولا نقره؟!! ومع احترامنا في مصر لعلماء المملكة السعودية إلا أن كثيراً من طلبة العلم في حرب الخليج وتحرير الكويت أنكروا على علماء المملكة كابن باز وغيره جواز الاستعانة بالكفار، ولم نر في هذا إشكالا!! إذا تقرر هذا، فليعلم أن مسألتنا من هذا الباب، فنحن نحترم أهل العلم، لكن لا نُقِرُّ لهم بما قد يكون غير مناسب للواقع، لاسيما أن الوقائع التالية أثبتت أنها فتاوى سابقة وكلام مجمل في موارد محدودة، وهذا مفيد في الملاحظة القادمة.

سادساً: النزاع في مسألة المشاركات السياسية، نزاع في المنهج، ليس من باب الخلاف السائغ، فهو يصادم منهج الأنبياء، ويفسد ذات البين، ويجرئ العامة على أهل الدين، ولا يحقق شيئا من المصالح الضرورية، وإن تحصلت مصالح، فهي مصالح ليست ضرورية، بل جزئية ظنية...

** ** **

الوحدة السادسة: الرقاق

مفهوم الرقائق، وعلاقتها بالعقيدة.

علاقة الرقائق بالأخلاق.

أهمية دراسة الأمراض المهلكات؛ لاسيما في الظاهر كآفات اللسان، وفي الباطن كحب الرئاسة والمال.

أهداف دراسة هاتين المادتين من هذين المصدرين:

آفات اللسان من كتاب «مختصر منهاج القاصدين» للحافظ ابن قدامة.

شرح حديث «ما ذئبان جائعان» للحافظ ابن رجب الحنبلي.

*** كيف يمكن الاستفادة بدراسة هاتين المادتين:**

١) القراءة بعمق.

٢) الفهم المركز.

٣) حفظ الأدلة.

٤) المناقشة والحوار حول المعاني المستفادة.

٥) عرض المعاني المستفادة على نفس كل دارس؛ لمعرفة أوجه التنفيذ.

٦) هل يمكن العمل بما استفدته من معانٍ؟

٧) كيف يمكن إفادة غيرك بهذه المعاني؟

٨) يا ترى ما هي إمكانية تثبيت هذه المعاني في نفسك وفي نفس غيرك؟

٩) لخِّص ما استفدت من معانٍ، واجعل كل معنى في ورقة مستقلة.

١٠) راعِ في عرض هذا الملخص أن تكون حافظا للأدلة وأقوال أهل العلم.

كتاب آفات اللسان

آفاته كثيرة متنوعة، ولها في القلب حلاوة، ولها بواعثُ من الطَّبع، ولا نجاةَ من خطرها إلا بالصمت، فلنذكر أولاً فضيلةَ الصمت، ثم نُتبعه بذكر الآفات مُفَصَّلَةً إن شاء الله تعالى.

اعلم أن الصمتَ يجمع الهِمَّة ويفرغ الفكر.

وفي الحديث، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يضمنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ، وما بين رجليه أَضْمَنْ له الجنة»(١).

وفي حديث آخر: «لا يستقيمُ إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيمَ لسانُه»(٢).

وفي حديث معاذ في آخره: «كفَّ عليك هذا» فقلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟»(٣).

وفي حديث آخر: «من كفَّ لسانه ستر الله عورته»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٢٦٤) والترمذي (٢٤١٠) عن سهل بن سعد.

(٢) قال الحافظ العراقي في «المغني» (٣/١٠٩): رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» والخرائطي في «مكارم الأخلاق» بسند فيه ضعف، وقال الزبيدي في «الإتحاف» (٧/٤٥١): ورواه كذلك أحمد والبيهقي. ثم ساق إسناد ابن أبي الدنيا وقال: وعلي بن مسعدة، قال ابن حبان: لا يُحتجّ به.

(٣) قطعة من حديث أخرجه الترمذي (٢٦١٩) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد (٥/٢٣١) وعبد الرزاق (٢٠٣٠٣) والطبراني في «الكبير» (٢٠/١٣٠) عن معاذ بإسناد حسن.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» وأبو يعلى، وابن شاهين، والخرائطي في «مساوىء الأخلاق» =

وقال ابن مسعود: ما شيءٌ أحوجَ إلى طول سجنٍ من لساني.

وقال أبو الدرداء: أنصِفْ أذنيكَ من فيكَ، فإنما جُعلت لك أُذُنان وفمٌ واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم به.

وقال مَخْلَد بن الحسين: ما تكلمتُ منذ خمسين سنة بكلمة أُريد أن أعتذر منها.

١ـ ذكر آفات الكلام

* الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعني.

واعلم أن من عرف قدر زمانه، وأنه رأس ماله، لم يُنفقه إلا في فائدة، وهذه المعرفةُ توجب حبسَ اللسان عن الكلام فيما لا يعني، لأنه مَنْ تَرَكَ ذِكْرَ الله تعالى واشتغل فيما لا يعني، كان كمن قَدَرَ على أخذ جوهرة، فأخذ عِوَضها مَدَرة[١]، وهذا خسران العمر.

وفي الحديث الصحيح، أن النبي ﷺ قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٢].

وقيلَ لِلُقمانَ الحكيمِ: ما بلغ من حكمتك؟ قال: لا أسأل عمّا كُفيتُه، ولا أتكلم بما لا يعنيني.

وقد رُوي أنه[٣] دخل على داودَ عليه السلام وهو يسرد دِرْعاً[٤]، فجعل يتعجب مما رأى، فأراد أن يسأله عن ذلك، فَمَنَعَتْهُ حكمتُه فأمسك، فلما فرغ داودُ عليه

والضياء في «المختارة» عن ابن عمر، وفي إسناده هشام بن أبي إبراهيم، مجهول، وانظر «شرح الإحياء» (٧/٤٥٢) و«مجمع الزوائد» (١٠/٢٩٨).

(١) هو الطين اللزج المتماسك.

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٨) وابن ماجة (٣٩٧٦) والبغوي (٤١٣٢) عن أبي هريرة، وفيه ضعف يسير، لكنه يتقوى بما رواه مالك (٢/٤٧٠) عن علي بن حسين مرسلاً بإسناد صحيح، وفي الباب عن أبي ذر، وأبي بكر، وعلي بن أبي طالب.

(٣) أي: لقمان الحكيم.

(٤) أي: ينسجها.

السلام، قام ولبس الدرع ثم قال: نعم الدرع للحرب، فقال لقمان: الصمتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعلُه.

* **الآفة الثانية:** الخوض في الباطل، وهو الكلام في المعاصي، كذِكر مجالس الخمر، ومقامات الفساق.

وأنواعِ الباطل كثيرة. وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة يزلّ بها في النار أبعد مما بعد المشرق والمغرب»(١). وقريبٌ من ذلك الجدالُ والمِراءُ وهو كثرة الملاحاة(٢) للشخص لبيان غلطه وإفحامه، والباعثُ على ذلك الترفّع.

فينبغي للإنسان أن يُنكر المنكر من القول، ويبين الصواب، فإن قُبل منه وإلا تَرك المُماراة، هذا إذا كان الأمرُ مُعلّقاً بالدين، فأما إذا كان في أمور الدنيا، فلا وجه للمجادلة فيه، وعلاج هذه الآفة بكسر الكِبْر الباعث على إظهار الفَضْل، وأعظم من المِراءِ الخصومةُ، فإنها أمرٌ زائدٌ على المراء.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «أبغض الرجالِ إلى الله الألدُّ الخَصِم»(٣). وهذه الخصومةُ نعني بها الخصومةَ بالباطلِ أو بغيرِ علمٍ، فأما مَنْ له حقٌّ فالأولى أن يَصْدف(٤) عن الخصومة مهما أمكن لأنها تُوغِرُ الصدرَ، وتَهيّج الغضبَ، وتُورِثُ الحِقْدَ، وتُخرج إلى تناول العِرْض.

* **الآفة الثالثة:** التقعّر في الكلام، وذلك يكون بالتشدّق(٥)، وتكلّف السَّجع.

وعن أبي ثَعْلَبة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم

---

(١) رواه البخاري (١١/٢٦٦) ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) هي المنازعة.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/١٥٨) ومسلم (٢٦٦٨) والترمذي (٢٩٨٠) والنسائي (٨/٢٤٧) عن عائشة.

(٤) يُعرض ويبتعد.

(٥) هو تصنّع الفصاحة بلوي جانب الفم.

القيامة مساويكم أخلاقاً الثرثارون المُتشدقون المُتفيهقون»(١).

ولا يدخل في كراهة السجع والتصنع ألفاظُ الخطيب، والتذكيرُ من غير إفراط، ولا إغراب، لأن المقصودَ من ذلك تحريكُ القلوبِ، وتشويقُها، ورشاقةُ اللفظِ ونحوُ ذلك.

* الآفة الرابعة: الفُحش والسبّ والبذاء(٢)، ونحو ذلك، فإنه مذمومٌ منهيٌّ عنه، ومصدره الخبث واللؤم.

وفي الحديث: «إيَّاكم والفحشَ، فإنَّ الله لا يحب الفحشَ ولا التفحّشَ»(٣).

[وأيضاً]: «الجنة حرام على كل فاحش»(٤).

وفي حديث آخر: «ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البَذيء»(٥).

واعلم أن الفُحشَ والبَذاءَ هو التعبيرُ عن الأمور المُستقبَحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ما يكون ذلك في ألفاظ الجماع وما يتعلّق به، فإنَّ أهل الخير يتحاشون عن تلك العبارات ويكْنون عنها.

ومن الآفات: الغناء وقد سبق فيه الكلام في غير هذا الموضع.

* الآفة الخامسة: المِزاح، أما اليسيرُ منه، فلا يُنهى عنه إذا كان صِدْقاً.

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨) عن جابر وأحمد (٢/٣٦٩) عن أبي هريرة، وهو صحيح بشواهده كما في «الترغيب والترهيب» (٣/٢٦١) والمتفيهقون: هم المتنطعون في الكلام المتوسّعون فيه.

(٢) هو الفحش.

(٣) قال الحافظ العراقي في «المغني» (٣/١٢٩): أخرجه النسائي في «الكبرى» في التفسير، والحاكم وصحّحه من حديث عبد الله بن عمر، ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة.

(٤) ما بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق، والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» وأبو نعيم في «الحلية» وفيه لين، كما في «فيض القدير» (٣/٣٦٣).

(٥) رواه الترمذي (١٩٧٨) وأحمد (٣٨٣٩) وابن حبان (٤٨ ـ موارد) والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢) عن ابن مسعود بإسناد صحيح.

فإن النبي ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقاً، فإنه قال لرجل «يا ذا الأذنين»(١)، وقال لآخر: «إنا حاملوك على ولد الناقة»(٢)، وقال للعجوز: «إنه لا يدخل الجنة عجوز»(٣) ثم قرأ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٦]، وقال لأخرى: «زوجك الذي في عينيه بياض؟»(٤).

فقد اتّفق(٥) في مزاحه ﷺ ثلاثة أشياء:

أحدها: كونه حقاً.

والثاني: كونه مع النساء والصبيان، ومن يُحتاج إلى تأديبه من ضعفاء الرجال.

والثالث: كونه نادراً، فلا ينبغي أن يحتجَّ به من يريد الدوام عليه، فإن حكم النادر ليس كحكم الدائم، ولو أن إنساناً دار مع الحَبَشة ليلاً ونهاراً ينظر إلى لعبهم واحتج بأن النبي ﷺ وقف لعائشة وأذن لها أن تنظر إلى الحبشة(٦)، لكان غالطاً، لِنُدور ذلك، فالإفراطُ في المزاح والمُداومةُ عليه منهيٌّ عنه، لأنه يُسقط الوقارَ ويوجب

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٩٩٣) وفي «الشمائل» (٢٠٠ ـ مختصره) وأبو داود في «الأدب» (٥٠٠٢) وأحمد (١١٧/٣) عن أنس وفيه ضعف، لكنه ينجبر بما رواه الطبراني في «الكبير» (٦٦٢) من طريق أخرى عن أنس أيضاً.

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (١٩٩٢) وفي «الشمائل» (٢٠٣ ـ مختصره) وأحمد (٢٦٧/٣) عن أنس بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٠٥ ـ مختصره) عن الحسن مرسلاً، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٥٨/٦) وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث»، وأخرجه البيهقي في «الشعب والطبراني في «الأوسط» عن عائشة ونسبه العراقي في «تخريج الإحياء» (١٢٩/٣) لابن الجوزي في «الوفاء» عن أنس، فهو حسن إن شاء الله، كما جزم به العلامة الألباني في «غاية المرام» (٣٧٥).

(٤) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (١٢٩/٣): أخرجه الزبير بن بكار في كتاب «الفكاهة والمزاح» ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عُبَيدة بن سَهْم الفِهْري مع اختلاف، قلت: ولم يتكلم على إسناده بشيء. قلت: وفي «الإتحاف» (٥٠٠/٧): عبد الله بن سهم...!

(٥) وقع.

(٦) رواه البخاري (٣٦٦/٢) ومسلم (٨٩٢) والنسائي (١٩٥/٣) عن عائشة.

الضغائنَ والأحقادَ، وأما اليسيُر كما تقدم، من نحو نوع مزاح النبي ﷺ، فإنَّ فيه انبساطاً وطيب نفس.

* **الآفـة السادسة**: السخرية والاستهزاء، ومعنى السخرية: الاحتقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص على وجهٍ يُضْحَكُ منه، قد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وكله ممنوع منه في الشرع، ورد النهي عنه في الكتاب والسنة.

* **الآفة السابعة**: إفشاءُ السرِّ، وإخلافُ الوعد، والكذبُ في القول واليمين، وكل ذلك منهيٌّ عنه، إلا ما رُخص فيه من الكذب لزوجته، وفي الحرب، فإن ذلك يباح.

وضابطه أن كل مقصود محمودٌ لا يمكن التوصل إليه إلا بالكذب، فهو فيه مباحٌ إن كان ذلك المقصودُ مباحاً، وإن كان المقصودُ واجباً، فهو واجبٌ، فينبغي أن يَحْتَرِزَ عن الكذب مهما أمكن.

وتُباح المَعاريضُ[1]، لقوله ﷺ: «إن في المعاريض مندوحة عن الكذب»[2]، وإنما تصلح المعاريضُ عند الحاجة إليها، فأما مع غير الحاجة، فمكروهةٌ لأنها تُشبه الكذب.

فمن المعاريض ما رُوِّينا عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أنه أصاب جارية له، فعلمت امرأته، فأخذت شَفْرة، ثم أتت فوافقته قد قام عنها، فقالت: أفعلتَها؟ فقال: ما فعلتُ شيئاً، قالت: لتقرأنَّ القرآن أو لأبعجنّك بها، فقال رضي الله عنه:

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَه ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
يبيت يُجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلَتْ بالكافرين المضاجعُ
أرانا الهُدى بعد العمى فقلوبُنا ... به موقناتٌ أنَّ ما قالَ واقعُ

---

(١) هي خلاف التصريح، أو التورية.

(٢) أورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٢٣٣٢) وضعّفه، وعزاه المناوي في «فيض القدير» (٢/٤٧٢) لابن السني، زيادة على ابن عدي والبيهقي، ثم ضعّفه، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٨٥) موقوفاً على عمران بن حصين بإسناد رجاله ثقات.

قالت: آمنتُ بالله وكذَّبتُ بصري(١).

وكان النخعي إذا طُلب قال للجارية: قولي لهم: اطلبوه في المسجد.

* **الآفة الثامنة**: الغيبة، وقد ورد الكتاب العزيز بالنهي عنها، وشبه صاحبها بآكل الميتة.

وفي الحديث: «إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حَرَامٌ»(٢).

وعن أبي بَرْزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتَبَّع عورةَ أخيه تتبَّع الله عورتَه، ومن تتَبَّع الله عورتَه يفضَحْه ولو في جوفِ بيته»(٣).

وفي حديث آخر: «إياكم والغيبة، فإن الغيبةَ أشدُّ من الزنا، إن الرجلَ قد يزني ويشربُ، ثم يتوبُ ويتوبُ الله عليه، وإنَّ صاحبَ الغيبةِ لا يغفرُ الله له حتى يغفرَ له صاحبُه»(٤).

وقال علي بن الحُسين رضي الله عنهما: إياك والغيبةَ، فإنها إدامُ كلابِ الناس.

والأحاديثُ والآثارُ في ذلك كثيرةٌ مشهورةٌ.

ومعنى الغِيبة: أن تذكر أخاك الغائب بما يكره إذا بلغه، سواءٌ كان نقصاً في بدنه، كالعَمَش، والعَوَر، والحَوَل، والقَرَع، والطُّول، والقِصر، ونحو ذلك.

أو في نسبه، كقولك: أبوه نِبْطيٌّ، أو هنديٌّ، أو فاسِقٌ، أو خسيسٌ، ونحو ذلك.

---

(١) رواها ابن عساكر في «تاريخه» (ص٣٤٣ـ حرف العين) وفيه ضعف.

(٢) أخرجه البخاري (٣/٤٥٢) عن ابن عباس، وفي الباب عن ابن عمر وجابر وغيرهما.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٨٠) وأحمد (٤/٤٢١) وهو صحيح.

(٤) قال العراقي في «المغني» (٣/١٤١): رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» وابن حبان في «الضعفاء» وابن مردويه في «التفسير»، وقال الزَّبيدي في «الإتحاف» (٧/٥٣٢): ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب «ذم الغيبة» وأبو الشيخ الأصبهاني في «التوبيخ»، ورواه الطبراني عن جابر وحده، بلفظ: «الغيبة أشدّ من الزنا...» والباقي سواء، وفيه عبّاد بن كثير وهو متروك.

أو في خُلُقه كقولك: هو سيّء الخُلُق، بخيلٌ، متكبّر، ونحو ذلك.

أو في ثوبه، كقولك: هو طويلُ الذيل، واسعُ الكُمّ، وسخُ الثياب.

والدليل على ذلك، أن النبي ﷺ سئل عن الغيبة قال: «ذِكْرُكَ أخاك بما يكره». قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول يا رسول الله؟ قال: «إن كان في أخيكَ ما تقولُ فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه ما تقولُ فقد بهتّه»(١).

واعلم أن كل ما يُفهم منه مقصودُ الذمِّ، فهو داخلٌ في الغِيبة، سواءٌ كان بكلام أو بغيره، كالغَمْز، والإشارة والكتابة بالقلم، فإنَّ القلمَ أحدُ اللِّسانَين.

وأقبح أنواع الغيبة، غيبة المتزهّدين المرائين، مثل أن يذكر عندهم إنسان فيقولون: الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان، والتبذل في طلب الحطام، أو يقولون: نعوذ بالله من قِلّة الحياء، أو نسأل الله العافية، فإنهم يجمعون بين ذمّ المذكور ومدحِ أنفسهم.

وربما قال أحدُهم عند ذكر إنسان: ذاك المسكين قد بُلِي بآفة عظيمة، تاب الله علينا وعليه، فهو يُظهر الدعاءَ ويُخفي قصدَه.

واعلم أنَّ المستمعَ للغيبةِ شريكٌ فيها، ولا يتخلّص من إثم سماعها إلا أن ينكر بلسانه، فإنْ خاف، فبقلبه وإن قدر على القيامِ، أو قَطْعِ الكلامِ بكلامٍ آخرَ، لزمه ذلك.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أُذِلَّ عنده مؤمن وهو يقدر أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩) وأبو داود (٤٨٧٤) والترمذي (١٩٣٥) عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٤٨٧/٣) والطبراني في «الكبير» (٥٥٥٤) عن سهل بن حنيف، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٢٦٧/٧) وقال: فيه ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. قلت: والصواب أن رواية ابن لهيعة عن العبادلة صحيحة، وعن غيرهم ضعيفة!!

وقال ﷺ: «من حمى مُؤمناً من منافقٍ يعيبه، بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم»[1].

ورأى عَمْرو[2] بن عتبة مولاه مع رجل وهو يقع في آخر، فقال له: ويلك نَزِّه سمعك عن استماع الخَنَا[3]، كما تُنَزِّهُ نفسك عن القول به، فالمستمع شريكُ القائل، إنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو رُدَّتْ كلمةُ سفيهٍ في فيه لسعد بها رادُّها كما شقي بها قائلُها.

وقد وردت أحاديثُ في حقِّ المسلم على المسلم، تقدّمت في كتاب الصحبة[4].

٢ - فصل في بيان الأسباب الباعثة على الغيبة وذكر علاجها

أما الأسبابُ التي تبعث على الغيبة فكثيرة:

منها: تشفِّي الغيظ، بأن يجري من إنسان في حقِّ آخرَ سببٌ يوجبُ غيظَه، فكلّما هاج غضبُه تشفّى بغيبةِ صاحبِه.

السبب الثاني من البواعث على الغيبة: مُوَافقة الأقران ومُجَاملة الرُّفَقَاء ومساعدتهم، فإنهم إذا كانوا يتفكّهون في الأعراض، رأى هذا أنه إذا أنكر عليهم أو قطع كلامَهم استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدُهم ويرى ذلك مِن حُسْن المعاشرة.

الثالث: إرادةُ رفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلانٌ جاهلٌ، وفهمُه ركيكٌ[5]، ونحو ذلك، غرضه أن يثبت في ضمن ذلك فَضْلَ نفسه، ويُريهم أنه أعلم مِنه.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٣) وأحمد (٣/٤٤١) وابن المبارك في «الزهد» (٦٨٦) والطبراني في «الكبير» (٢٠/١٩٤) وفيه إسماعيل بن يحيى المعافري مجهول، وعبد الله بن سليمان صدوق يخطىء.

(٢) في الطبعة الشامية: عمر بن عتبة، والتصحيح من «حلية الأولياء» (٤/١٥٥).

(٣) الفواحش.

(٤) انظر ما تقدم (ص ١١٦).

(٥) وهذا ابتُلينا به في هذا العصر من بعض الأغمار الذي لم يعرفوا من العلم الصحيح شيئاً. فوا أسفي الشديد!!

وكـذلك الحَسَد في ثناء الناس على شخص وحبّهم له وإكرامهم، فيقدح فيه ليقصد زوالَ ذلك.

الرابع: اللعب والهَزَل، فيذكر غيره بما يُضحِكُ الناسَ به على سبيل المُحاكاة[1]، حتى إن بعض الناس يكون كسبه من هذا.

وأما علاجُ الغِيبة، فليعلم المغتابُ أنه بالغيبة مُتَعَرِّض لسَخَط الله تعالى ومَقْته، وأن حسناته تُنقل إلى المغتاب إليه، وإن لم يكن له حسناتٌ نقل إليه من سيئات خصمه، فمن استحضر ذلك لم يُطلق لسانه بالغيبة.

وينبغي إذا عَرَضَتْ له الغيبةُ أن يتفكّرَ في عيوبِ نفسه، ويشتغلَ بإصلاحها، ويستحيي أن يعيبَ وهو معيبٌ، كما قال بعضُهم:

فإنْ عِبْتَ قوماً بالذي فيك مثلُه ... فكيف يَعِيبُ الناسَ مَنْ هو أعورُ
وإنْ عِبْتَ قوماً بالذي ليس فيهمُ ... فذلك عند اللهِ والناسِ أكبرُ

وإنْ ظنَّ أنه سليم من العيوب، فليتشاغل بالشكر على نِعَم الله عليه، ولا يُلَوِّث نفسَه بأقبح العيوب وهو الغِيبة، وكما لا يرضى لنفسه بغيبة غيره له، فينبغي أن لا يرضاها لغيره من نفسه.

فلينظر في السبب الباعث على الغيبة، فيجتهد على قَطْعه، فإنَّ علاجَ العلّة يكون بقطع سببها.

وقد ذكرنا بعض أسبابها، فيعالج الغضب بما سيأتي في كتاب الغضب، ويعالج موافقة الجُلاَّس بأن يعلم أن الله تعالى يغضب على من طلب رضى المخلوقين بسخطه، بل ينبغي أن يغضبَ على رفقائه، وعلى نحو هذا معالجة البواقي.

٢ ـ فصل في حصول الغيبة بسوء الظن

وقد تحصل الغيبةُ بالقَلْب، وذلك سوءُ الظنِّ بالمسلمين.

---

(١) يعني: التمثيل المعروف في زماننا! وقد صنّف الشيخ الغُماري «إقامة الدليل على حرمة التمثيل»، وهو مفيدٌ في بابه.

والظنُّ ما تركَنُ إليه النفسُ ويميل إليه القلبُ، فليس لك أن تظنّ بالمسلم شراً، إلا إذا انكشف أمرٌ لا يحتمل التأويل فإنْ أخبرك بذلك عَدْلٌ، فمال قلبُك إلى تصديقه، كنتَ معذوراً، لأنك لو كذّبته كنت قد أسأت الظن بالمُخبِر، فلا ينبغي أن تُحسّن الظن بواحد وتُسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث، هل بينهما عداوةٌ وحَسَدٌ؟ فتتطرّق التهمةُ حينئذ بسبب ذلك، ومتى خَطَر لك خاطرُ سوءٍ على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإنَّ ذلك يغيظُ[١] الشيطانَ ويدفعُه عنك، فلا يُلقي إليك خاطرَ السوء خيفةً من اشتغالك بالدعاء والمراعاة.

وإذا تحقّقتَ هفوةَ مسلمٍ، فانصَحْه في السرّ.

واعلم أنَّ مِن ثمرات سوء الظن التجسّسَ، فإن القلب لا يقنع بالظن، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسّس، وذلك منهيٌّ عنه، لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبُك أسلمَ للمسلم.

٤ ـ بيان الأعذار المرخصة في الغيبة وكفارة الغيبة

اعلم أن المرخّص في ذكر مساوىء الغير، وهو غَرَضٌ صحيحٌ في الشرع، لا يُمكن التوصل إليه إلا به، وذلك يدفع إثم الغيبة، وهو أمور:

أحدها: التظلّم، فإن للمظلوم أن يذكر الظالم إذا استعداه إلى من يستوفي حقه.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد الظالم إلى منهاج الصلاح.

الثالث: الاستفتاء، مثل أن يقول للمفتي: ظلمني فلانٌ، أو أخذ حقّي، فكيف طريقي في الخلاص؟؟ فالتعيين مباحٌ، والأَوْلى التعريض، وهو أن يقول: ما تقول في رجل ظلمه أبوه أو أخوه ونحو ذلك؟

والدليل على إباحة التعيين حديث هِنْدَ حين قالت: إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ ولم ينكر عليها النبي ﷺ[٢].

---

(١) في الطبعة الشامية: يغبط، ولعل الصواب ما أثبتُّ.

(٢) أخرجه البخاري (٤/٣٣٨) ومسلم (١٧١٤) عن عائشة.

الأمر الرابع: تحذير المسلمين، مثل أن ترى مُتَفَقِّهاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق وتخاف أن يتعدّى إليه ذلك، فلك أن تكشف له الحال.

وكذلك إذا عرفت من عبدك السرقةَ أو الفسقَ، فتذكر ذلك للمشتري.

وكذلك المستشار في التزويج وإيداع الأمانة، له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير، لا على قصد الوقيعة، إذا علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح.

الخامس: أن يكون معروفاً بلقب، كالأعرج، والأعمش، فلا إثم على من يذكره به، وإن وجد عن ذلك مَعْدَلاً كان أَوْلى.

السادس: أن يكون مجاهراً بالفسق، ولا يستنكف أن يذكر به.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من ألقى جِلْباب الحَيَاء فلا غِيبة له»(١).

وقيل للحسن: الفاجرُ المُعْلِنُ بفجوره، ذكري له بما فيه غيبة؟ قال: لا، ولا كرامة.

وأما كفّارة الغيبة، فاعلم أن المغتاب قد جنى جِنايتين:

إحداهما: على حقِّ الله تعالى، إذ فَعَلَ ما نهاه عنه، فكفارة ذلك التَّوبَةُ والنَّدمُ.

والجناية الثانية: على محارمِ المخلوق، فإن كانت الغيبةُ قد بلغت الرجل، جاء إليه واستحلّه، وأظهر له الندم على فعله.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه، من مالٍ أو عِرْضٍ، فليأته فليستحلَّها منه قبل أن يُؤخذ وليس عنده درهم ولا دينار، فإن كانت له حسناتٌ أخذ من حسناته فأُعطيَها هذا، وإلا أخذ من سيئات هذا فأُلقي عليه»(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢١٠) والخطيب (٨/ ٤٣٨) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٢٦) و(٤٢٧) عن أنس، وفيه ضعف شديد كما بينه شيخنا الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٧٣) والترمذي (٢٤٢١).

وإن كانت الغيبةُ لم تبلغ الرجلَ، جعل مكانَ استحلالِه الاستغفارَ له، لئلاَّ يخبره بما لا يعلمه، فيوغرَ صَدْرَه.

وقد ورد في الحديث: «كفَّارةُ من اغتبْتَ أن تستغفرَ له»(١).

وقال مُجاهد: كفارة أكلك لحمَ أخيك أن تُثني عليه وتدعو له بخير، وكذلك إن كان قد مات.

* الآفة التاسعة: من آفات اللسان: النَّميمة، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قتَّات»(٢) وهو النمَّام.

واعلم أن النميمة تُطلق في الغالب على نقل قول إنسان في إنسان، مثل أن يقول: قال فيك فلانٌ كذا وكذا، وليست مخصوصةً بهذا، بل حدُّها كَشْفُ ما يُكره كشفُه، سواءٌ كان من الأقوال أو الأعمال، حتى لو رآه يدفن مالاً لنفسه فذكره، فهو نميمة، وكل من نُقلت إليه النميمةُ، مثل أن يقال له: قال فيك فلان كذا وكذا، أو فعل في حقك كذا، ونحو ذلك، فعليه ستةُ أشياء:

الأول: أن لا يصدِّق الناقل، لأن النمَّام فاسقٌ مردودُ الشهادةِ.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحَه.

الثالث: أن يُبغضَه في الله، فإنه بغيضٌ عند الله.

الرابع: أن لا يظنَّ بأخيه الغائبِ السوءَ.

---

(١) ورد في الطبعة الشامية بلفظ: «كفارة من اغتيب أن يستغفر له»!! وفيه تصحيفان، الصواب ما أثبته، والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» والخرائطي في «المساوىء» والبيهقي في «الشعب» وأبو الشيخ في «التوبيخ» والدينوري في «المجالسة» والخطيب في «التاريخ» كما في «الإتحاف» (٧/٥٥٨) وفيه عنبسة بن عبد الرحمن، قال البخاري: تركوه، وقال أبو حاتم: كان يضع الحديث. وحكم عليه بالوضع شيخنا الألباني في «ضعيف الجامع» (٤١٩٥).

(٢) رواه البخاري (١٠/٣٩٤) ومسلم (١٠٥) وأبو داود (٤٧٧١) والترمذي (٢٠٢٧) عن حُذيفة.

الخامس: أن لا يحمله ما حُكي له على التجسس والبحث، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمّامَ عنه، فلا يحكي نميمَتَه.

ويُروى أن سُليمانَ بنَ عبد الملك قال لرجل: بلغني أنك وقعتَ فيَّ، وقلت: كذا وكذا؟ فقال الرجل: ما فعلت! فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق، فقال الرجل: لا يكون النمام صادقاً، فقال سليمان: صدقت، اذهب بسلام.

وقال يحيى بن أبي كثير: يُفسد النمَّامُ في ساعة ما لا يُفسد الساحرُ في شهر.

وقد حُكي أن رجلاً ساوم بعبد، فقال مولاه: إني أبرأ إليك من النميمة والكذب، فقال: نعم، أنت بريء منهما، فاشتراه، فجعل يقول لمولاه: إن امرأتك تبغي وتفعل، وإنما تريد أن تقتلَك، ويقول للمرأةِ: إنَّ زوجَكِ يريدُ أن يتزوّج عليك ويتسرّى[1]، فإن أردتِ أن أعطفه عليك، فلا يتزوج ولا يتسرّى، فخُذي الموسى واحلقي شعرة من حَلْقه إذا نام، وقال للزوج: إنها تريد أن تقتلك إذا نمتَ، قال: فذهب فتناوم لها، فجاءت بموسى لتحلق شعرة من حلقه، فأخذ بيدها فقتلها، فجاء أهلُها فاستعدَوْا[2] عليه فقتلوه.

* **الآفة العاشرة**: كلامُ ذي اللّسانين الذي يتردّد بين المتعادين، وينقل كلام كل واحد إلى الآخر، ويُكلّم كل واحد بكلام يوافقه، أو يعده أن ينصره، أو يثني على الواحد في وجهه ويذمّه عند الآخر.

وفي الحديث: «إنَّ شرَّ الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»[3].

واعلم أن هذا فيمن لم يضطرّ إلى ذلك، فأما إذا اضطرّ إلى مداراة الأمراء جاز.

---

(١) أي: يشتري جارية مملوكة.

(٢) اعتدوا.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٩٥) ومسلم (٢٥٢٦) ومالك (٢/ ٩٩١) عن أبي هريرة.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنا لنكشّر في وجوه أقوام، وإنَّ قلوبنا لتلعنُهم[1].

ومتى قدر أن لا يُظهر موافقتهم لم يَجُزْ له.

● الآفة الحادية عشرة: المدح، وله آفات:

منها: ما يتعلق بالمادح، ومنها: ما يتعلّق بالممدوح. فأما آفات المادح، فقد يقول ما لا يتحقّقه، ولا سبيلِ للاطّلاع عليه، مثل أن يقول: إنه وَرِعٌ وزاهد، وقد يفرط في المدح فينتهي إلى الكذب، وقد يمدح من ينبغي أن يذم.

وقد رُوي في حديث: «إنَّ الله تعالى يغضب إذا مُدح الفاسق»[2].

وقال الحسن: من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله.

وأما الممدوحُ، فإنه يُحْدِثُ فيه كِبْراً أو إعجاباً، وهما مُهلكانِ، ولهذا قال النبيُّ ﷺ لما سمع رجلاً يمدح رجلاً: «ويلك، قطعْتَ عنق صاحبك».. الحديث وهو مشهور[3].

وقد رُوِّينا عن الحسن قال: كان عمر رضي الله عنه قاعداً ومعه الدِّرَّة[4] والناسُ حوَله، إذ أقبل الجارود، فقال رجلٌ: هذا سَيِّد ربيعةَ، فسمعها عمرُ رضي الله عنه ومَنْ حوله، وسمعها الجارودُ، فلما دنا منه خَفَقَه[5] بالدِّرة، فقال: مالي ولك يا أمير المؤمنين؟ قال: مالي ولك، أما سمعتَها؟ قال: سمعتُها، فمه؟ قال: خشيت أن يخالط قلبَك منها شيءٌ فأحببتُ أن أطأطيءَ[6] منك.

---

(١) علّقه البخاري في «صحيحه» (١٠/ ٤٣٧) وقال الحافظ: وهذا الأثر وصله ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي... وهو منقطع، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية»... وهو منقطع أيضاً!!

(٢) قال الحافظ العراقي في «المغني» (٣/ ١٦٠): أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت»، والبيهقي في «الشعب» من حديث أنس، وفي سنده أبو خلف خادم أنس: ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٢) ومسلم (٣٠٠٠) وأبو داود (٤٨٠٥) عن أبي بكرة.

(٤) هو السَّوط يُضرب به.

(٥) ضربه.

(٦) أي: أخفض منك.

ولأنّ الإنسان إذا أُثني عليه بالخير رضي عن نفسه، وظنّ أنه قد بلغ المقصود، فيفتر عن العمل، ولهذا قال: «قطعت عنق صاحبك...»(١).

فأما إذا سَلِمَ المدحُ من هذه الآفات لم يكن به بأسٌ، فقد أثنى النبي ﷺ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم(٢).

وعلى الممدوحِ أن يكون شديدَ الاحتراز من آفة الكِبْر والعُجْب والفُتُور عن العمل، ولا ينجو من هذه الآفاتِ إلا أن يعرف نفسه، ويتفكّر في أنَّ المادحَ لو عرف منه ما يعرف من نفسه ما مدحه!

وقد رُوي أن رجلاً من الصالحين أُثنِيَ عليه، فقال: اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني.

* **الآفة الثانية عشرة:** الخطأ في فحوى الكلام فيما يرتبط في أمور الدين، لا سيما فيما يتعلّق بالله تعالى، ولا يقدر على تقويم اللفظ بذلك إلا العلماءُ الفصحاءُ، فَمَنْ قَصّر في علم أو فصاحة، لم يَخْلُ كلامُه عن الزلل، لكنْ يعفو اللهُ عنه لجهله(٣).

مثال ذلك ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل، ما شاء الله ثم شئت»(٤)، وذلك لأن في العطف المطلق تشريكاً وتسوية، وقريب من ذلك إنكاره على الخطيب قوله: «ومن يعصهما فقد غوى» وقال: «قل: ومن يعص الله ورسوله»(٥).

وقال ﷺ: «لا يَقُلْ أحدُكم: عبدي وأَمَتي، كلُّكم عبيدُ الله، وكلُّ نسائكم إماءُ

---

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) انظر «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل ـ طبع مكة المكرمة.

(٣) وهذه قاعدة مهمة غاية، لكنّه يحاسَب على تقصيره في طلب الحق ومعرفته، والله أعلم.

(٤) رواه أبو داود (٤٩٨٠) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٩٠) والبيهقي (٣/ ٢١٦) وأحمد (٥/ ٣٨٤) عن حذيفة بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٢) وأبو داود (١/ ١٧٢) والنسائي (٢/ ٧٩) والبيهقي (٣/ ٢١٦) وأحمد (٤/ ٢٥٦، ٣٧٩) عن عدي بن حاتم.

الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي»[١].

وقال النخعي: إذا قال الرجلُ للرجل: يا حمارُ، يا خنزيرُ، قيل له يوم القيامة: أرأيتني خلقتُه حماراً، أو رأيتني خلقتُه خنزيراً؟!

فهذا وأمثالُه مما يدخل في الكلام، ولا يمكن حصرُه، ومن تأمّل ما أوردناه في آفاتِ اللسان، علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ: «من صَمَت نجا»[٢]، لأن هذه الآفات مهالكُ وهي على طريق المتكلم، فإن سكت سلم.

٥ - فصل السؤال عن كيفية صفات الله

ومِنْ آفاتِ العوامّ سؤالُهم عن صفات الله سبحانه وتعالى وكلامه.

اعلم أن الشيطانَ يُخيّل إلى العامي أنك بخوضك في العلم تكون من العُلَماء وأهلِ الفضل، فلا يزالُ يحبّب إليه ذلك حتى يتكلّم بما هو كفرٌ وهو لا يدري.

قال النبي ﷺ: «يوشك الناس أن يسألوا، حتى يقولوا: هذا الله خَلَقَ الخَلْقَ، فمن خَلَقَ الله؟»[٣] فسؤالُ العوامّ عن غوامض العلم أعظمُ الآفات، وبحثُهم عن معاني الصفات مما يفسدهم لا مما يصلحهم، إذ الواجبُ عليهم التسليمُ، فالأَوْلى بالعاميّ الإيمانُ بما ورد به القرآن، ثم التسليمُ لما جاء به الرسول من غير بحث، واشتغالهم بالعبادات، فإنّ اشتغالهم بالبحث عن أسرار العلم، كبحث سائمة الدوابّ عن أسرار الملك.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٢٩) ومسلم (٢٢٤٩) وأبو داود (٤٩٧٥) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٨) وأحمد (٦٤٨١) وابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥) وابن وهب في «الجامع» (٤٩) والطبراني في «الكبير» (ص١٧) وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٠٧) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٣٤) عن أبي هريرة، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٠) ومسلم (١٣٥) وأبو داود (٤٧٢١) عن أبي هريرة.

شـرح حديث

«ماذئبان جائعان»

[ق١/أ]

/ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبِهِ أجمعين ، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين .

قال الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامةُ شيخُ الإسلامِ بقيةُ السَّلفِ الكرامِ زينُ الدين أبو الفرجِ عبدُ الرحمنِ ابن الشيخِ الإمام شِهابِ الدين أحمدَ ابنِ الشيخ الإمام ابنِ رجب البغدادي الحنبلي - رحمه الله تعالى :

خرّج الإمامُ أحمدُ[١] والنَّسائي[٢] والترمذيُّ[٣] وابنُ حبانَ[٤] في «صحيحه» من حديث كعب بنِ مالكٍ الأنصاريِّ - رضي الله عنه - عن النَّبيِّ ﷺ قالَ :

« مَا ذِئْبانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا في غَنمٍ بأفسدَ لَها مِنْ حِرْصِ المرءِ عَلَى المالِ والشَّرفِ لدينِهِ » .

قال الترمذيُّ : حسنٌ صحيح .

ورُوِيَ من وجهٍ آخر عن النبيِّ ﷺ من حديثِ ابنِ عمرَ ، وابنِ عباسٍ ، وأبي هريرةَ ، وأسامةَ بنِ زيدٍ ، وجابرٍ ، وأبي سعيد الخدريِّ ، وعاصمِ بنِ عدي الأنصاريِّ - رضي الله عنهم أجمعين .

وقد ذكرتها كلَّها والكلامَ عليها في كتابِ « شرح الترمذي » .

ولفظُ حديثِ جابر : **« ما ذئبانِ ضَاريانِ يأتيا في غنمٍ غابَ رعاؤُها بأفسدَ للناس من حبِّ الشَّرفِ والمالِ لدينِ المؤمن » .**

(١) في « المسند » (٣/٤٥٦ ، ٤٦٠) .
(٢) في « السنن الكبرى » كما في « تحفة الأشراف » (٨/١١١٣٦) .
(٣) في « الجامع » (٢٣٧٦) .
(٤) كما في « الإحسان » (٣٢٢٨) .

وفي حديثِ ابنِ عبَّاسٍ : «**حب المال والشرف**» بدل «**الحرص**».

فهذا مثلٌ عظيمٌ جدًّا ضربه النبيُّ ﷺ لفسادِ دينِ المسلم بالحرص على المالِ والشَّرفِ في الدنيا، وأن فسادَ الدين بذلك ليسَ بدونِ فسادِ الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيا في الغنمِ، وقد غابَ عنها رعاؤها ليلًا، فهما يأكلانِ في الغنمِ ويفترسانِ فيها.

ومعلومٌ أنَّه لا ينجو من الغنم مِن إفساد الذئبينِ المذكورين والحالة هذه إلا قليلٌ، فأخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ حرصَ المرءِ على المالِ والشَّرفِ: إفساده لدينه ليس بأقلَّ من إفسادِ الذئبين لهذه الغنمِ؛ بل إمَّا أن يكونَ مساويًا وإما أكثر، يشيرُ إلى أنَّه لا يسلمُ من دينِ المسلم مع حرصهِ على المالِ والشَّرفِ في الدنيا إلا القليل، كما أنَّه لا يسلمُ من الغنم مع إفساد الذئبينِ المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثلُ العظيمُ يتضمنُ غايةَ التَّحذيرِ من شرِّ الحرصِ على المالِ والشَّرفِ في الدنيا.

فأمَّا الحرصُ على المالِ فهو على نوعين:

أحدهما: شدةُ محبةِ المالِ مع شدةِ طلبهِ من وجوهه المباحةِ، والمبالغة في طلبهِ والجدِّ في تحصيلهِ واكتسابهِ من وجوهه مع الجهدِ والمشقةِ.

وقد وردَ أنَّ سببَ الحديثِ كان وقوع بعض أفرادِ هذا النوع، كما أخرجه [ق١٥/ب] الطبرانيُّ / من حديثِ عاصم بن عديٍّ، قال: «(**اشتريتُ**)(*) **مائة سهم من سهامِ خيبر، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: مَاذئبانِ ضاريان في غنمٍ أضاعَها ربُّها بأفسدَ من طلبِ المسلمِ المالَ والشَّرفَ لدينِه**».

ولو لم يكنْ في الحرصِ على المال إلَّا تضييعُ العمرِ الشَّريفِ الذي لا قيمةَ له، وقد كان يمكنُ صاحبه اكتساب الدرجاتِ العلى والنَّعيم المقيم، فضيَّعَه الحريص في طلبِ رزقٍ مضمونٍ، مقسومٍ لا يأتي منه إلا ما قُدِّرَ وقُسِّمَ، ثم

(*) شريت: «نسخة».

لا ينتفعُ به؛ بل يتركُه لغيرِهِ ويرتحل عنه، ويبقى حسابُه عليه ونفعُه لغيرِهِ، فيجمعُ لمن لا يحمدُه، ويقدم على من لا يعذرُه، لكفى بذلك ذمًّا للحرصِ.

فالحريصُ يضيعُ زمانَه الشريفَ، ويخاطرُ بنفْسه التي لا قيمةَ لها في الأسفارِ وركوبِ الأخطارِ؛ لجمعِ مالٍ ينفع به غيرُه.

كما قِيل:

ولا تحسبن الفقر من فقد الغنى ولكن فقد الدين من أعظم الفقر

قِيلَ لبعض الحكماءِ: إنَّ فلانًا جمعَ مالاً. فقالَ: فهل جمعَ أيامًا ينفقُه فيها؟ قيل: ما جمعَ شيئًا.

وفي بعضِ الآثارِ الإسرائيلية: الرزقُ مقسومٌ والحريصُ محرومٌ، ابنَ آدمَ، إذا أفنيتَ عمرَكَ في طلبِ الدنيا، فمتى تطلبُ الآخرةَ؟!

إذَا كنت في الدُّنيا عَنِ الخيرِ عاجزًا
فما أنتَ في يومِ القيامةِ صانعُ

قال ابنُ مسعودٍ: اليقينُ أن لا تُرضي النَّاسَ بسخطِ اللَّه، ولا تحمد أحدًا على رزقِ اللَّه، ولا تلوم أحدًا على ما لم يُؤْتِك اللَّه، فإنَّ رزق اللَّه لا يسوقُه حرصُ حريصٍ ولا يردُّه كراهةُ كاره، فإنَّ اللَّه بقسطِهِ وعلمه جعلَ الروحَ والفرحَ في اليقينِ والرضى، وجعلَ الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسخطِ.

وقال بعضُ السَّلف: إذا كان القدرُ حقًّا فالحرصُ باطلٌ، وإذا كان الغدرُ في الناس طباعًا فالثقةُ بكلِّ أحدٍ عجزٌ، وإذا كان الموتُ لكلِّ أحد راصدًا فالطمأنينةُ إلى الدنيا حمق.

كان عبدُ الواحد بنُ زيد يحلفُ باللَّه: لحرصُ (المرءِ)(*) على الدنيا أخوفُ عليه عندي من أعدى أعدائِهِ.

(*) المؤمن: «نسخة».

وكان يقولُ: يا إخوتاه، لا تغبطوا حريصًا على ثروة ولا سعة في مكسبٍ ولا مالٍ، وانظروا إليه بعينِ المقتِ له في (اشتغالهِ)(*) اليومَ بما يرديه غدًا في المعادِ ثمَّ يبكي، ويقولُ: الحرصُ حرصانِ: حرصٌ فاجعٌ، وحرصٌ نافعٌ؛ فأما النَّافعُ: فحرصُ المرءِ على طاعةِ اللَّه.

وأما الفاجعُ: فحرصُ المرءِ على الدنيا مشغولٌ معذبٌ لا يسرُّ ولا يلتذُّ بجمعهِ لشغله، ولا يفرُغُ من محبته الدنيا لآخرتهِ، كذلك وغفلتهِ عما يدومُ / [ق٢/أ] ويبقى.

ولبعضِهم في المعنى:

لا تغبطنَّ أخا حرصٍ على سعةٍ
وانظرْ إليهِ بعينِ الماقتِ القالي
إنَّ الحريصَ لمشغولٌ بشقوته
عن السُّرورِ بما يحوي من المالِ

وأنشد آخر في المعنى:

يا جامعًا مانعًا والدهرُ يرمقُه
مفكرًا أيَّ بابٍ منه يغلقُه
جمعتَ مالًا ففكرْ هل جمعتَ له
يا جامعَ المالِ أيامًا تفرقُه
المالُ عندَكَ مخزونٌ لوارثهِ
ما المالُ مالك إلا يومَ تنفقُه
إنَّ القناعةَ من يَحللْ بساحتِها
لم (ينل)(**) في ظلِّها همًّا يؤرقُه

(*) انشغاله: «نسخة».

(**) يلق: «نسخة».

كتبَ بعضُ الحكماءِ إلى أخٍ له كان حريصًا على الدنيا : أما بعد ؛ فإنَّك أصبحتَ حريصًا على الدنيا ، تخدمُها وهي تزجرك عن نفسِها بالأعراضِ والأمراضِ والآفاتِ والعلل ، كأنَّك لم ترَ حريصًا محرومًا ، ولا زاهدًا مرزوقًا ، ولا ميتًا عن كثيرٍ ، ولا متبلغًا من الدنيا باليسيرِ .

عاتبَ أعرابيٌّ أخاه على الحرصِ ، فقالَ له : يا أخي ، أنت طالبٌ ومطلوبٌ ، يطلبك من لا تفوتُه وتطلبُ أنت من قد كُفيته ، يا أخي ألم ترَ حريصًا محرومًا وزاهدًا مرزوقًا .

وقال بعضُ الحكماء : أطولُ النَّاسِ همًّا الحسودُ ، وأهنؤهم عيشًا القنوعُ ، وأصبرُهم على الأذى الحريصُ ، وأخفضُهم عيشًا أرفضُهم للدنيا ، وأعظمُهم ندامةً العالمُ المفرط .

ولبعضِهم في هذا المعنى :

الحرصُ داءٌ قد أضـــرَّ بمن ترى إلا قليلَا
كم مِنْ عزيزٍ قد صيَّرَه الحرص ذليلَا

ولغيره :

كم أنتَ للحرصِ والأماني عَبْدُ
ليسَ يجدي الحرصُ والسَّعيُ (إذا)(*) لم يكن (جَدٌّ)(**)
ليس لما قدره اللَّه من الأمر بُدُّ

ولأبي العتاهيةِ يخاطب سلمًا الخاسر :

تعالى اللَّه يا سلمُ بن عَمْرٍو
أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

(*) إذ : « نسخة » .

(**) بدٌ : « نسخة » .

ومن كلامِ المأمونِ: الحرصُ مفسدةٌ للدينِ والمروءةِ.

وأنشدَ شعرًا:

حرصُ الحريصِ جنونُ والصَّبرُ حصنٌ حصينُ
إنِ قدَّرَ اللَّه شيئًا (لا بد من أن يكونُ)(*)

غيره:

حتَّى متى (أنا)(**) في حلٍّ وترحالِ
وطولِ سعي وإدبارٍ وإقبالِ
ونازحُ الدَّارِ لا (ينفكُّ)(***) مغتربًا
عن الأَحبةِ لا يدرونَ ما حالِ
بمشرقِ الأَرضِ طورًا ثم مغربِها
لا يخطرُ الموتُ من حرصٍ على بال
ولو قنعت أتاني الرزقُ في دعةٍ
إنَّ القنوعَ الغنيُّ لا كثرة المالِ

غيره:

أَيُّها المتعبُ جهدًا لنفسه
يطلبُ الدنيا حريصًا جاهدًا
[ق٢/ب] / لا لك الدُّنيا ولا أنتَ لها
فاجعل الهمَّينِ همًّا واحدًا

(*) فإنه سيكون: «نسخة».

(**) أنت: «نسخة».

(***) تنفك: «نسخة».

النوعُ الثّاني من الحرص على المال :

أن يزيدَ على ما سبق ذكرُه في النوعِ الأول ، حتى يطلبَ المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوقَ الواجبة ، فهذا من الشحِّ المذموم .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] .

وفي « سنن أبي داودَ »[2] عن عبدِ الله بنِ عمر ، عن النبي ﷺ قال : « **اتّقوا الشّحَ ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم ، أمرَهم بالقطيعةِ فقطعوا ، وأمَرَهم بالبخلِ فبخلوا ، وأمرَهم بالفجورِ ففجروا** » .

وفي « صحيح مسلم »[3] عن جابرٍ عن النبي ﷺ قال : « **اتّقوا الشحَّ ؛ فإنَّ الشحَّ أهلكَ من كان قبلكم ، حملَهم على أن سفكوا دماءَهم ، واستحلُّوا محارمَهم** » .

قال طائفةٌ من العلماءِ : الشحُّ هو الحرصُ الشديدُ الذي يحمل صاحبَه على أن يأخذَ الأشياءَ من غيرِ حلِّها ويمنعها من حقوقها .

وحقيقتُه (شَرَهُ)(*) النّفسِ إلى ما حرّمَ الله ومنع منه ، وأن لا يقنعَ الإنسانُ بما أحل الله له من مالٍ أو فرجٍ أو غيرهما ، فإنَّ الله تعالى أحلَّ لنا الطيبات من المطاعم والمشارب ، والملابسِ والمناكح وحرّمَ علينا تناولَ هذه الأشياء من غير وجوه حلِّها ، وأباحَ لنا دماءَ الكفارِ والمحاربين وأموالَهم ، وحرّمَ علينا ما عدا ذلك من الخبائثِ من المطاعمِ والمشارب ، والملابس والمناكح ، وحرم علينا أخذَ الأموال وسفك الدماء بغير حلها .

فمن اقتصرَ على ما أبيحَ له فهو مؤمنٌ ، ومن تعدَّى ذلك إلى ما منعَ منه فهو الشحُّ المذمومُ ، وهو منافٍ للإيمان .

ولهذا أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الشحَّ يأمرُ بالقطيعةِ والفجورِ وبالبخل .

---

(١) الحشر : ٩ .
(٢) برقم (١٦٩٨) .
(٣) برقم (٢٥٧٨) .
(*) أن تسترضي : « نسخة » .

والبخل هو إمساكُ الإنسان ما في يده .

والشحُّ : تناولُ ما ليس له ظلمًا وعدوانًا من مالٍ أو غيره ، حتّى قيل : إنّه رأسُ المعاصي كلِّها .

وبهذا فسّر ابنُ مسعودٍ وغيره من السّلفِ الشحَّ والبخلَ .

ومن هنا يُعلمُ معنى حديثِ أبي هريرةَ رضي اللّه عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : **« لا يجتمعُ الشحُّ والإيمانُ في مؤمنٍ »**[(١)] .

والحديثُ الآخرُ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : **« أفضلُ الإيمانِ الصَّبرُ والسماحةُ »**[(٢)] .

وَفُسّر الصبرُ بالصبرِ عن المحارم ، والسماحةُ بأداءِ الواجباتِ .

وقد يُستعملُ الشحُّ بمعنى البخلِ وبالعكسِ ، لكنَّ الأصلَ هو التفريقُ بينهما على ما ذكرناه .

ومتى وصلَ الحرصُ على المالِ إلى هذه الدرجة ، نقص بذلك الدينُ والإيمانُ نقصًا بيّنًا فإنَّ مَنْعَ الواجباتِ وتناولَ المحرماتِ ينقصُ بهما الدينُ والإيمانُ بلا ريبٍ حتى لا يبقى منه إلا القليل جدًّا .

[ق٣٥/أ] وأمّا حرصُ المرءِ على الشّرفِ فهذا أشدُّ (هلاكًا)[(*)] من الحرص على المال / فإنَّ طلبَ شرفِ الدنيا والرفعةِ فيها ، والرياسةِ على النّاسِ والعلو في الأرضِ أضرُّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٦/٢، ٤٤١ ، ٤٤٢) ، والنسائي(١٣/٦ - ١٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٥/٤) ، وابن ماجه (٢٧٩٤) من حديث عمرو بن عبسة .

وأخرجه أحمد (٣١٨/٥) من حديث عبادة بن الصامت .

وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٥٣٠/٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٦٢٦/٣) من حديث عمير بن قتادة الليثي .

وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢/١١) ، وابن عدي في « الكامل » (١٥٥/٧) من حديث جابر .

(*) اهلاكًا : « نسخة » .

على العبدِ من طلبِ المالِ، وضررُه أعظمُ، والزهدُ فيه أصعبُ، فإنَّ المالَ يبذلُ في طلبِ الرياسةِ والشَّرفِ.

والحرصُ على الشَّرفِ على قسمين:

أحدهما: طلبُ الشَّرفِ بالولايةِ والسُّلطانِ والمالِ.

وهذا خطرٌ جدًّا، وهو الغالبُ، يمنعُ خيرَ الآخرةِ وشرفَها وكرامتَها وعزَّها.

قال اللَّه تعالى: ﴿**تلكَ الدارُ الآخرةُ نَجْعلُها للذينَ لا يُريدُونَ عُلوًّا في الأرضِ ولا فَسَادًا ...**﴾(١) الآية.

وقلَّ مَنْ يحرصُ على رياسةِ الدنيا بطلبِ الولاياتِ فوفق؛ بل يُوكلُ إلى نفسِهِ، كما قال النبيُّ ﷺ لعبدِ الرحمنِ بنِ سمرةَ: «**يا عبدَ الرحمنِ، لا تسألِ الإمارةَ، فإنَّك إن أُعطيتَها عن مسألةٍ وُكلتَ إليها، وإنْ أُعطيتَها من غيرِ مسألةٍ أُعنتَ عليها**»(٢).

قال بعضُ السَّلفِ: ما حرصَ أحدٌ على ولايةٍ فعدل فيها.

وكان يزيدُ بنُ عبدِ اللَّه بنِ موهبٍ من قضاةِ العدلِ والصَّالحين، وكان يقولُ: من أحبَّ المالَ والشَّرفَ وخافَ الدوائِرَ لم يعدلْ فيها.

وفي «صحيح البخاريِّ»(٣) عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «**إنكم ستحرصونَ على الإمارةِ، وستكونُ ندامةً يومَ القيامةِ، فنعم المرضعةُ، وبئستِ الفاطمةُ**».

وفيه(٤) - أيضًا - عن أبي موسى الأشعريِّ «**أنَّ رجلين قالا للنبيِّ ﷺ: يا رسول اللَّه، أمِّرنا. قال: إنَّا لا نولي أمرَنا هذا من سألَه، ولا من حرصَ عليه**».

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

(٣) برقم (٧١٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

واعلمْ أنَّ الحرصَ على الشَّرفِ يستلزمُ (شرًا)(*) عظيمًا قبلَ وقوعه (في السَّعي)(**) في أسبابِهِ، وبعدَ وقوعِهِ بالخطر العظيم الذي يقعُ فيه صاحبُ الولايةِ من الظلمِ والتكبرِ وغيرِ ذلكَ من المفَاسدِ.

وقد صنَّفَ أبو بكر الآجري - وكان من العلماءِ الرَّبَّانيين في أوائلِ المائةِ الرابعة - مصنفًا في «أخلاقِ العلماءِ وآدابهم» وهو من أجلِّ ما صُنِّف في ذلكَ، ومن تأمَّله علمَ منه طريقةَ السَّلفِ من العلماء، والطرائقَ التي حَدَثتْ بعدَهُم المخالفةَ لطريقتهم، فوصفَ فيه عالمَ السوء بأوصافٍ طويلة.

منها: أنَّه قال: قد فتنه حبُّ الثناءِ والشَّرفِ والمنزلةِ عند أهلِ الدنيا، يتجملُ بالعلمِ كما يتجمل بالحلةِ الحسناء للدنيا، ولا يجمِّل علمَه بالعمل به.

[ق٣/ب] وذكر كلامًا طويلًا إلى أن قال: فهذه الأخلاقُ وما يشبهُها / تغلبُ على قلب من لم (ينتفعْ)(١) بالعلم، فبينا هو مُقاربٌ لهذه الأخلاقِ إذ رَغبتْ نفسُه في حبِّ الشرفِ والمنزلةِ، فأحبَّ مجالسةَ الملوكِ وأبناءِ الدنيا، (فأحب)(٢) أن يُشاركَهم فيما هُم فيهِ (من منظرٍ)(٣) بَهيٍّ، ومَركبٍ هَنيٍّ، وخادم سَريٍّ، ولباسٍ لَينٍ، وفراشٍ ناعمٍ، وطعام شَهيٍّ، وأحبَّ أن (يُعتنى به)(٤)، وأن (يسمع)(٥) قولُه، ويُطاعَ أمرُه، فلمْ يَقدرْ عليهِ إلا مِن جهةِ القَضاءِ فطلبَهُ، فلم يُمكنْهُ إلا ببذلِ دينهِ، فتذلَّلَ للمُلوكِ وأتباعِهِم، (فَخدمَهُم)(٦) بنفسهِ، وأكرمَهُم بمالِهِ، وسكتَ عَن قبيحِ مَا ظهرَ (من منازل أبوابهم، وفي منازلهم وفعلهم)(٧)، ثم زينَ لَهم كثيرًا من قَبيحِ (فِعلهم بتأوُّلِهِ)(٨) الخطأَ ليحسن

(*) من النسخة «ك» وليست في النسخ الثلاث الأخرى.

(**) بالسعي: «نسخة».

(١) يتضمخ: «نسخة».

(٢) وأحب: «نسخة».

(٣) من رخاء عيشهم من منزل: «نسخة».

(٤) يغشى بابه: «نسخة».

(٥) يُستمع: «نسخة».

(٦) وخدمهم: «نسخة».

(٧) من مناكرهم على أبوابهم وفي منازلهم ومن قولهم وفعلهم: «نسخة».

(٧) أفعالهم بتأويله: «نسخة».

(موقعه)(١) عِندَهم ، فَلمَّا فعلَ هذه مُدةً طَويلةً واستحكمَ فيهِ الفسادُ وَلّوْهُ القضاءَ فذبح بِغيرِ سِكينٍ ، فصارتْ لَهُم عليهِ مِنّةٌ عظيمةٌ ، ووجبَ عليه شُكرُهم ، (فَآلَمَ نفسه)(٢) لئلّا (يُغضبهُم)(٣) عليه فَيعزلوهُ عن القضاءِ ، ولم يَلتفتْ إلى غَضبِ مَولاهُ ، فاقتطعَ أموالَ اليتامَى والأَراملِ ، والفُقراءِ والمساكينِ ، وأموالَ الوَقفِ الموقوفة على المجاهدينَ ، وأهلِ الشرفِ بالحرمينِ ، وأموالًا يعودُ نَفعُها على جميعِ المسلمينَ ، فأرضى بها الكاتبَ والحاجبَ والخادمَ ، فأكلَ الحرامَ وأطعمَ الحرامَ وكَثُرَ الداعي عليهِ ، فالويلُ لمن أورثَه علمُه هذهِ الأخلاقَ .

هذا (العلمُ)(٤) الذي استعاذَ منه النبيُّ ﷺ وأمر أن يُستعاذَ منهُ ، وهذا (العلم)(٤) الذي قالَ فيهِ - عليه الصلاة والسلام - : « **إنَّ أشَدَّ النّاسِ عذابًا يوم القيامة ، عَالِمٌ لَمْ يَنفعْهُ اللّه بِعلْمِهِ** »(٥) .

وكانَ ﷺ يقول : « **اللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ** »(٦) .

وكان عليه السلامُ يقول : « **اللّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ** »(٧) .

هذا كُلُّهُ كَلامُ الإمامِ أبي بَكرٍ الآجُرّي - رحمه اللّه تعالى - وكان في أَواخرِ الثلاثِمائة ، ولم يَزلِ الفسادُ (مُتزايدًا)(*) على ما ذَكرناهُ أضعافًا مُضاعفةً ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللّه .

---

(١) موقفه : « نسخة » .

(٢) فَآلَم بنفسه : « نسخة » .

(٣) يغيظهم : « نسخة » .

(٤) العالم : « نسخة » .

(٥) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٥٨/٥) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٠٧٩) ، والطبراني في « الصغير » (٥٠٧) من حديث أبي هريرة .

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم ، وأخرجه أحمد (٣٤٠/٢ ، ٣٦٥ ، ٤٥١) ، وأبو داود (١٥٤٨) ، والنسائي (٢٦٣/٨ ، ٢٨٤) ، وابن ماجه (٣٨٣٧) من حديث أبي هريرة .

(٧) أخرجه النسائي في « الكبرى » (٤٤٤/٤) من حديث جابر .

(*) بعده يتزايد : « نسخة » .

ومن دَقيقِ آفاتِ حُبِّ الشرفِ : طَلَبُ الولاياتِ والحرصُ عليها ، وهو بابٌ غامضٌ لا يعرفُه إلا العلماءُ باللَّه ، العارفونَ بهِ المحبُّونَ لهُ ، الذينَ يُعادون لهُ من جُهَّالِ خلقهِ المزَاحمينَ لِربُوبيتهِ وإلهيتهِ ، مع حقارتهم وسُقوطِ منزلتهِم عندَ اللَّه ، وعندَ / خَواصِّ عبادهِ العَارفينَ بهِ . [ق٤/أ]

كما قال الحسنُ - رحمه اللَّه - فيهم : إنَّهُمْ وَإِن طقطَقَتْ[١] بهم البِغالُ وهملجَت[٢] بِهِمُ البَرَاذِينُ[٣] فَإِنَّ ذُلَّ المعصيةِ في رِقَابهم ، أبى اللَّه إلَّا أن يُذِلَّ مَنْ عصاهُ .

واعلمْ أَنَّ حُبَّ الشرفِ بالحرصِ على نُفوذِ الأمرِ والنهي وتَدبيرِ أَمرِ الناسِ ، إذا (قصدَ)[*] بذلك مُجردَ عُلوِّ المنزلة على الخلقِ والتَّعاظمِ عليهم ، وإظهارِ صاحبِ هذا الشرفِ حاجةَ الناسِ إليه وافتقارهم إليه ، وذُلَّهم له في طلبِ حوائجِهم منه ، فهذا نفسُه مُزاحمةٌ لرُبوبيةِ اللَّه تعالى وإلهيتهِ ، وربما تسبب بعضُ هؤلاءِ إلى إيقاعِ الناسِ في أمرٍ يحتاجُون فيهِ إليهِ ؛ ليضطرَّهُم بذلك إلى رفعِ حاجاتهم إليه ، وظهورِ افتقارهم واحتياجِهم إليهِ ، ويتعاظمُ بذلك ويتكبَّرُ بهِ ، وهذا لا يَصلحُ إلا للَّه تعالى وحده لا شريكَ له .

كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[٤] .

وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[٥] .

وفي بعضِ الآثارِ أنَّ اللَّه تعالى يبتلي عبدَهُ بالبلاءِ ليسمعَ تضرعَهُ .

---

(١) الطقطقة : صوت قوائم الخيل على الأرض الصلبة . « اللسان » مادة : (طقطق) .

(٢) الهملجة : حسن سير الدابة في سرعة وبخترة . « اللسان » مادة : (هملج) .

(٣) البرذون من الخيل : ما كان من غير نتاج العرب . « اللسان » مادة : (برذن) .

(*) كان القصد : « نسخة » .

(٤) الأنعام : ٤٢ . (٥) الأعراف : ٩٤ .

وفي بعض الآثارِ - أيضًا - أن العبدَ إذا دعا اللَّه وهو يُحبهُ قال اللَّه: «يا جِبْرِيلُ، لَا تَعْجَلْ بِقَضَاءِ حاجتهِ، فَإِنِّي أحبُّ أن أَسمعَ تضرعَهُ».

فهذه الأمورُ أصعبُ وأخطرُ من مجردِ الظلمِ وأدهى من الشِّركِ، والشركُ أعظمُ الظُّلم عند اللَّه.

وفي «الصحيح»[1] عن النبيِّ ﷺ قال: «**يَقُولُ اللَّه تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا عَذَّبْتُهُ**».

كان بعضُ المتقدمينَ قاضيًا، فرأى في منامهِ كأنَّ قائلًا يقول: أَنتَ قاضٍ، واللَّه قاضٍ. فاستيقظَ مُنزعجًا، وخرجَ عن القضاءِ وتركهُ.

وكان طائفةٌ مِن القضاةِ الورعين يمنعونَ الناسَ أن يدعوهم بـ «قاضي القُضاة»، فإن هذا الاسمَ يُشبهُ مَلِكَ الملوكِ الذي ذمَّ النبيُّ ﷺ التَّسمية به. وقال: «**لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّه**»[2].

و «حاكمُ الحُكَّامِ» مِثْله، أو أشدُّ منه.

ومن هذا البابِ - أيضًا - أن يُحبَّ ذُو الشرفِ والولايةِ أَن يُحْمَدَ على أفعالهِ ويُثنى عليهِ بها، ويطلبُ من الناسِ ذلك، ويتسببُ في أَذى من لا يُجيبُه إليهِ، ورُبما كانَ ذلكَ الفعلُ إلى الذمِّ أقربَ منهُ إلى المدحِ، وربما أظهرَ أمرًا حسنًا في الظاهرِ، وأحبَّ المدحَ عليه وقصدَ بِهِ في الباطنِ شرًّا، (وفَرِحَ بتمويهِ)[*] ذلكَ وترويجه على الخلقِ.

/ وهذا يدخلُ في قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ**﴾ الآية[3]. [ق٤/ب]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة.

(*) وقصد تمويه: «نسخة».

(٣) آل عمران: ١٨٨.

فإنَّ هذه الآيةَ إنما نزلتْ فيمن هذه صفاتُهُ، وهذا الوصفُ - أعني طلبَ المدحِ مِنَ الخلقِ ومحبَّتَهُ والعقوبةَ على تركِهِ - لا يصلحُ إلَّا للّه وحدهُ لا شريكَ لهُ، ومن هنا كان أئمةُ الهدى ينهونَ عن حمدِهِم على أعمالهم وما يصدُرُ منهم من الإحسانِ إلى الخلقِ، ويأمرونَ بإضافةِ الحمدِ على ذلك إلى اللّه وحدهُ لا شريكَ لهُ، فإن النِّعم كلَّها منهُ.

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ - رحمه اللّه - شديد العنايةِ بذلكَ، وكتبَ مرةً إلى أهلِ الموسمِ كتابًا يُقرأُ عليهم، وفيه الأمرُ بالإحسانِ إليهم، وإزالةُ (المظالمِ التي)(*) كانت عليهم، وفي الكتاب: «ولا تحمدُوا على ذلك كُلِّهِ إلَّا اللّهِ، فإنَّهُ لوْ وَكَلَني إلَى نفسِي كنتُ كغيري»(١).

وحكايتُه مع المرأةِ التي طلبتْ منه أن يفرضَ لبناتِها اليتامى مشهورةٌ، فإنها كانت لها أربعُ بناتٍ، ففرض لثنتينِ منهنَّ، وهي تحمدُ اللّه، ثُم فرضَ للثالثةِ فشَكرتْهُ، فقالَ: إنَّما كنَّا نفرضُ لهنَّ حيثُ كنتِ تولينَ الحمدَ أهلَهُ، فمري هؤلاءِ الثلاثَ يُواسينَ الرابعة. أو كما قال - رضي اللّه عنه.

وحاصل الأمر أراد أن يعرف أنَّ ذا الولايةِ إنما هو مُنتصِبٌ لتنفيذ أمرِ اللّه، وآمرٌ العبادَ بطاعة اللّه تعالى، وناهٍ لهم عن محارمِ اللّه، ناصحٌ لعبادِ اللّه بدُعائهم إلى اللّه، فهو يقصد أن يكونَ الدينُ كُلُّه للّه، وأن تكونَ العِزَّةُ للّه وهو مع ذلك خائفٌ من التقصيرِ في حقوقِ اللّه أيضًا.

فالمحُبّونَ للّه غَايةُ مقاصدهم من الخلقِ أن يحبوا اللّه ويُطيعوهُ، (ويفردوه)(**) بالعبوديةِ والإلهيةِ، فكيفَ من يزاحمُهُ في شيءٍ من ذلك، فهو لا يريدُ من الخلقِ جزاءً ولا شُكُورًا، وإنما يَرجُو ثوابَ عمله من اللّه كما قال اللّه تعالى:

(*) مظالم: «نسخة».

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/٢٩٣).

(**) من النسخة «ك» وباقي النسخ الثلاث: «ويعرفوه».

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآيتين(١).

وقال ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فإنما أنا عبد، فقولُوا: عبدَ الله ورسُولهُ»(٢).

وكانَ ﷺ يُنكرُ على مَن لَا يتأدَّبُ معهُ في الخطاب بهذا الأدب، كما قال: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ محمدٌ، بل قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ»(٣).

وقال لمن قال: مَا شاءَ اللَّه وشئتَ: «أجعلتني للَّه ندًّا؟! بل ما شاءَ اللَّه وحدَهُ»(٤).

فَمِن هُنا كانَ خُلفاءُ الرُّسلِ وَأَتباعُهم مِن أُمراءِ العَدلِ وقُضاتِهم لَا يدعونَ إلى تعظيمِ نفوسهم البتَّةَ؛ بل إلى تعظيمِ اللَّه وحدَهُ وإفرادِهِ بالعُبوديةِ والإلهيةِ، ومنهم من كانَ لا يريدُ الولايةَ إلَّا للاستعانةِ بها على الدعوة إلى اللَّه وحدهُ.

وكان بعضُ الصالحينَ / يتولى القضاء ويقولُ: (أنا)(*) أتولاهُ لِأَستعينَ بِهِ على الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المُنكر. [ق٥/أ]

ولهذا كانتِ الرسلُ وأتباعُهم يصبرونَ على الأذى في الدعوة إلى اللَّه، ويتحملونَ في تنفيذ أوامر اللَّه من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهُم صابرونَ؛ بل رَاضُونَ

---

(١) آل عمران: ٧٩ - ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه أحمد (٧٢/٥، ٣٩٨)، وابن ماجه (٢١١٨) من حديث الطفيل بن سخبرة الأزدي.
وأخرجه أحمد (٣٨٤/٥، ٣٩٤ و ٣٩٨)، وأبو داود (٤٩٨٠) من حديث حذيفة.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٤/١، ٢٨٣، ٣٤٧)، وابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٤٥) من حديث ابن عباس.

(*) من النسخة «ك» و«س» وفي النسخة «ع» إنما، وفي الأصل «ألا».

بذلك، فإن المحبَّ ربما يتلذذُ بما يُصيبهُ مِن الأذى في رضى مَحبوبهِ، كما كانَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ - رضي الله عنهما - يقولُ لأبيهِ في خلافتهِ إذا حرصَ على تنفيذِ الحقِّ وإقامةِ العدلِ: يا أَبَتِ، لَوَدِدْتُ أَنّي غَلَتْ بي وبكَ القُدورُ في الله عزَّ وَجَلَّ.

وقال بعضُ الصَّالحينَ: وددتُ أنَّ جسمي قُرِضَ بالمقاريضِ وأَنَّ هذا الخلقَ كُلَّهم أطاعُوا الله عز وجل. فعُرِضَ قولُه على بعضِ العارفينَ، فقال: إن كانَ أرادَ بذلك النصيحةَ للخلقِ وإلَّا فلا أدري. ثم غُشِيَ عليهِ.

ومعنى هذا: أنَّ صاحبَ هذا القولِ قد يكونُ لحظُّ نُصحِ الخلقِ والشفقةِ عليهم من عذابِ الله (وأحبَّ)(*) أن يفديَهم من عذابِ الله بأذى نفسهِ، وقد يكونُ لحظُّ جَلالِ الله وعظمتِهِ وما يستحقُّهُ من الإجلالِ والإكرامِ والطَّاعةِ والمحبةِ، فَوَدَّ أنَّ الخلقَ قاموا بذلك، وإن حَصَلَ له في نفسهِ غايةُ الضررِ، وهذا هو مَشهدُ خواصِّ المُحبينَ العارفينَ بمُلاحظتهِ فغُشِيَ على هذا الرجلِ العارفِ.

وقد وصف الله - تعالى - في كتابه أن المحبين له يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم.

وفي ذلك يقولُ بعضُهم:

أَجِدُ المَلامَةَ في هَوَاكَ لَذِيذَةً
حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

القسم الثاني:

طلبُ الشرفِ والعُلوِّ على الناس بالأُمور الدينيةِ، كالعلمِ والعملِ والزُّهدِ.

فهذا أفحشُ من الأولِ وأقبحُ وأشدُّ فسادًا وخطرًا، فإنَّ العلمَ والعملَ والزهدَ إنَّما يُطلبُ بها ما عند الله من الدرجات العُلَى والنعيمِ المقيمِ ويطلب بها ما عند الله والقربِ منهُ والزُّلفى لَديهِ(**).

(*) فأحب: «نسخة».

(**) لقربه: «نسخة».

قال الثوريُّ : إنَّما فُضِّلَ العلمُ ؛ لأنَّهُ يُتقى به اللّه ، وإلَّا كانَ كسائرِ الأشياءِ .

فإذا طلبَ بشيءٍ من هذا عَرضَ الدنيا الفاني فهو - أيضًا - نوعانِ :

أحدهما : أن يطلبَ به المالَ ، فهذا من نوعِ الحرصِ على المالِ وطلبهِ بالأسبابِ المحرَّمةِ .

وفي هذا الحديث عن النبيِّ ﷺ : «**مَنْ تعلَّمَ عِلمًا ممَّا يُبتغى به وجهُ اللّه لا يتعلمُهُ إلَّا ليُصيبَ به عرضَ الدنيا لم يجدْ عرفَ الجنّةِ يَوْمَ القيامةِ**» يعني : رِيحَها .

خرَّجهُ الإمامُ أحمد[١] ، وأبو داود[٢] ، وابنُ ماجه[٣] ، وابنُ حبانَ في «صحيحه»[٤] من حديثِ أبي هريرة ، عن النبي ﷺ .

وسببُ هذا - واللّه أعلمُ - أنَّ في الدنيا جنةً مُعجَّلةً ، وهي معرفةُ اللّه / [ق/ب] ومحبتُهُ ، والأُنسُ به والشَّوقُ إلى لقائِهِ ، وخشيتُهُ وطاعتُهُ ، والعلمُ النافعُ يدلُّ على ذلك ، فمن دلَّهُ علمهُ على دخول هذه الجنةِ المُعجَّلةِ في الدنيا دَخلَ الجنةَ في الآخرةِ ، ومن لم يشُم رائحتَها لم يشُم رائحةَ الجنةِ في الآخرةِ .

ولهذا كان أشد الناس عذابًا في الآخرة عالمٌ لم ينفعهُ اللّه بعلمهِ ، وهو أشدُّ الناسِ حسرةً يومَ القيامةِ ، حيثُ كان معهُ آلةٌ يتوصَّلُ بها إلى أعلى الدَّرجاتِ وأرفعِ المقاماتِ ، فلم يستعملها إلا في التوصُّل إلى أخسِّ الأمورِ وأدناهَا وأحقرِهَا ، فهو كمن كان معهُ جواهرُ نفيسةٌ لها قيمةٌ ، فباعَها ببعر أو شيءٍ مستقذَرٍ لا يُنتفعُ بهِ ، بل حالُ من يطلبُ الدنيا بعلمهِ ، أقبح وأقبحُ وكذلك من يطلبُها بإظهارِ الزهدِ فيها ، فإنَّ ذلكَ خداعٌ قبيحٌ جدًّا .

---

(١) في «المسند» (٢/٣٣٨) .
(٢) في «السنن» (٣٦٦٤) .
(٣) في «السنن» (٢٥٢ ، ٢٦٠) .
(٤) كما في «الإحسان» (٧٨) .

وكان أبُو سليمانَ الدَّارانيُّ يعيبُ على من لبس عباءةً ، وفي قلبِهِ شهوةٌ من شهواتِ الدنيا تساوي أكثر من قيمةِ العَباءة .

يشيرُ إلى أنَّ إظهارَ الزهدِ في الدنيا باللباس الدني إنما يصلحُ لمن فرغَ قلبهُ من التَّعلُّقِ بها ، بحيثُ لا يتعلقُ قلبُهُ بها بأكثرَ من قيمةِ ما لبسهُ في الظاهرِ ، حتى يستوي ظاهرُهُ وباطنُهُ في الفراغ من الدنيا .

وما أحسنَ قول بعض العارفينَ – وقد سُئلَ عن الصوفيِّ – فقال : الصُّوفيُّ .

مَنْ لبسَ الصُّوفَ على الصَّفَا   وَسَلَكَ طَرِيقَ الْمُصْطَفَى
وَذَاقَ الْهَوَى بَعْدَ الْجَفَا   وَكَانَتِ الدُّنْيَا مِنْهُ خَلْفَ الْقَفَا

النوع الثاني : مَن يطلبُ بالعمل والعلم والزهد الرياسة على الخلقِ والتعاظُمَ عليهم ، وأن ينقادَ الخلقُ ويخضعونَ لهُ ويصرفُونَ وُجوهَهُم إليهِ ، وأن يُظهرَ للناسِ زيادةَ علمهِ على العُلماءِ ليعلوَ بهِ عليهِم ونحو ذلك .

فهذا موعدُهُ النارُ ؛ لأنَّ قصْدَ التَّكبرِ على الخلقِ مُحرَّمٌ في نفسهِ ، فإذا استعملَ فيهِ آلة الآخرةِ كان أقبحَ وأفحشَ من أن يستعملَ فيهِ آلاتِ الدنيا من المالِ والسلطانِ .

وفي « السنن » عن النبي ﷺ قال : « **مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ** » .

خرجه الترمذيُّ(١) من حديث كعبِ بنِ مالكٍ .

وخرجه ابنُ ماجه من حديث ابن عمرَ(٢) وحُذيفةَ(٣) وعنده : « **فَهُوَ فِي النَّارِ** » .

وخرج ابن ماجه(٤) ، وابن حبان في « صحيحه »(٥) من حديث جابر ، عن

---

(١) في « الجامع » (٢٦٥٤) . قال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم ، تُكُلِّم فيه من قِبَلِ حفظه .

(٢) في « السنن » (٢٥٣) . قال في « الزوائد » : إسناده ضعيف لضعف حماد وأبي كرب .

(٣) في « السنن » (٢٥٩) وفي « الزوائد » : إسناده ضعيف .

(٤) في « السنن » (٢٥٤) . في « الزوائد » : رجال إسناده ثقات .

(٥) كما في « الإحسان » (٧٧) .

النبي ﷺ قال : / « لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، [ق٦/أ] وَلَا لِتَخَيَّرُوا بِهِ الْـمَجَالِسَ ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ » .

وخرَّجه ابنُ عدَي[1] من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه ، وزاد فيه : « وَلَكِنْ تَعَلَّمُوهُ لِوَجْهِ اللَّهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ » .

وعن ابن مسعودٍ قال : « لَا تَعَلَّمُوا العلمَ لِثَلاثٍ : لِتُمارُوا بِهِ السُّفهاءَ ، أَوْ لتُجادلُوا بِهِ الْفُقهاءَ ، أَوْ لِتَصرفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُم ، وابتغُوا بقوْلكُمْ وفعلكُمْ ما عندَ اللَّه ؛ فإِنَّه يبْقَى ؛ وَيَفْنَى / مَا سِوَاهُ » . [ق٦/ب]

وقد ثبتَ في « صحيح مسلم »[2] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، عن النبيِّ ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ خلق تُسعَّرُ بهِمُ النَّارُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ ... » منهُمُ العالمُ الذي قرأ القُرآنَ لِيُقالَ : قارئٌ ، وتعلَّمَ الْعلمَ لِيُقالَ عالمٌ ، وأَنَّهُ يُقالُ لهُ : قدْ قِيلَ ذلكَ ، وأُمِرَ بِهِ فسُحبَ على وجههِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ . وذكر مثلَ ذلكَ في المُتصدِّق ليُقال إِنَّهُ جوادٌ ، وفي المُجاهدِ لِيُقالَ إِنَّهُ شُجاعٌ .

وعن علي رضي اللَّه عنه قال : يا حملةَ العِلمِ ، اعملوا بهِ ؛ فإنما العالمُ من عملَ بما علمَ ، فوافقَ عملُهُ علمَهُ ، وسيكون أقوامٌ يحملونَ العلمَ لا يُجاوزُ تَراقِيهم ، يُخالفُ عملَهم علمُهُم ، وتخالفُ سريرتُهُم علانيتَهُم ، يجلسونَ حلقًا حلقًا فيباهي بعضُهم بعضًا ، حتى إنَّ الرجلَ ليغضبُ على جليسهِ إذا جلسَ إلى غيرهِ ويدعُهُ ، أُولئكَ لا تصعدُ أعمالُهم في مجالسِهم تلكَ إلى اللَّه عز وجل .

وقال الحسنُ : لا يكونُ حظُّ أحدِكُم من العلم أن يقال عالمٌ .

وفي بعض الآثارِ أنَّ عيسى عليه السلامُ قال : « كيفَ يكونُ من أهلِ العلمِ من يطلبُ العلم ليُحدِّثَ بِهِ ولا يطلبُهُ ليعملَ به ؟! » .

---

(١) في « الكامل » (٢١٦/٧) ترجمة يحيى بن أيوب الغافقي . وقال عن هذا الحديث وغيره : غير محفوظين وأعل هذا الحديث بتفرد يحيى بن أيوب به عن ابن جريج .

(٢) برقم (١٩٠٥) .

وقال بعضُ السلفِ : بَلغنا أنَّ الذي يطلبُ الأحاديثَ ليحدِّثَ بها لا يجدُ ريحَ الجنةِ ، يعني : من ليسَ له غرضٌ في طلبهَا إلَّا ليحدث بها دُون العملِ بها .

ومن هذا القَبيلِ كراهةُ السَّلفِ الصَّالحِ الجُرأَة على الفُتيا والحرصَ عليها (والمنازعة)(*) إليها والإكثارَ منها .

وروى ابنُ لهيعةَ عن [عُبيد اللَّه](١) بن أبي جعفر مرسلًا ، عن النبي ﷺ قال : « **أجرَؤُكُم على الفُتْيا أجرَؤُكُم عَلَى النَّارِ** »(٢) .

وقال علقمة : كانوا يقولون : أجرؤُكُم على الفتيا أقلُّكم علمًا .

وعن البراءِ قال : « أدركتُ مائة وعشرين من الأنصارِ من أصحابِ رسول اللَّه ﷺ يُسأَلُ أحدُهم عن المسألةِ مَا منهُم من أحد إلَّا وَدَّ أن أخاهُ كَفاهُ » .

وفي روايةٍ : « فيرُدُّها هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأوَّلِ » .

وعن ابنِ مَسعودٍ رضي اللَّه عنه قال : « إنَّ الذي يُفتي النَّاسَ في كُلِّ ما يَسْتَفْتُونَهُ لمجنونٌ » .

وسُئِلَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ عن مسألةٍ ، فقال : ما أَنا عَلى الفُتيا بِجَرِيءٍ .

وكتبَ إلى بعضِ عُمَّالِهِ : إنِّي واللَّه مَا أَنا بِحَريصٍ على الفُتيا ، ما وَجدتُ منها بُدًّا .

وليسَ هذا الأمرُ لمن وَدَّ أنَّ الناسَ احتاجوا إليه ، إنَّما هذا الأمرُ لمن وَدَّ أنَّهُ وَجدَ من يكفيهِ .

وعنهُ أنه قال : أَعلمُ الناسِ بالفتوى أَسكتُهُم ، وأجهلُهُم بها أَنطقُهُم .

---

(١) في « الأصل » : عبد اللَّه . وهو خطأ ، والصواب « عبيد اللَّه » انظر « تهذيب الكمال » (١٥/ ٤٨٨) .

(٢) أخرجه الدارمي (١٥٧) .

(*) والمسارعة : « نسخة » .

وقال سفيانُ الثوريُّ رحمة اللّه عليه : أَدركنا الفُقهاءَ وهُم يَكرهونَ أن يُجيبوا في المسائلِ والفُتيا حتى لا يَجِدوا بُدًّا من أن يُفتُوا ، وإذا أُعفُوا منها كانَ أَحبَّ إليهم .

وقال الإمامُ أحمدُ رضي اللّه عنه : مَن عرَّضَ نفسَهُ لِلفُتيا فقد عَرَّضَها لِأَمْرٍ عَظيمٍ ، إلَّا أنَّهُ قد تُلجئُ الضرورةُ .

قيل له : فأَيُّما أفضلُ ؟ الكلامُ أَمِ السُّكوتُ ؟

قال : الإمساكُ أحبُّ إليَّ .

قيل له : فإذَا كَانتِ الضرورةُ ؟

فجعلَ يقولُ : الضرورةُ الضرورةُ ! وقالَ : الإمساكُ أَسلمُ لَهُ .

وليعلمِ المفتي أنهُ يوقعُ عن اللّه أَمرهُ ونهيهُ ، وأنهُ موقوفٌ ومسئُولٌ عن ذلكَ .

قال الربيعُ بنُ خُثيمٍ : أيها المفتون ! انظُروا كيفَ تُفتون .

وقال عمرُو بنُ دينارٍ لقتادةَ لما جلس للفُتيا : تدري في أي عمل وقعت ، وقعت بين اللّه وبين عباده وقلتَ : هذا يَصلحُ ، وهَذا لا يَصلحُ .

وعن ابن المُنكدرِ قال : إنَّ العالمَ داخل بينَ اللّه وبينَ خلقهِ ، فلينظُرْ كيفَ يدخلُ عليهم .

وكان ابنُ سيرينَ إذا سُئِلَ عن الشيءِ من الحلالِ والحرامِ تغيرَ لونُهُ وتبدَّلَ ، حتى كأنَّهُ ليسَ بالذي كانَ .

وكانَ النَّخعيُّ يُسأَلُ فتظهرُ عليهِ الكراهةُ ويقولُ : ما وجدتَ أحدًا تسأل غيري ؟! وقالَ : قَد تكلَّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا مَا تكلمتُ ، وإنَّ زمانًا أكونُ فيه فقيهَ الكُوفةِ لزمانُ سُوءٍ .

ورُوِيَ عن عمر قال : إنكم لتستفتوننا استفتاءَ قومٍ كأنَّا لا نسأَلُ عمَّا نُفتيكم بِهِ .

وعن محمدِ بن واسعٍ قال : أَوَّلُ من يُدعى إلى الحسابِ الفُقهاءُ .

وعن مالكٍ أنه كانَ إذا سُئِلَ عن المسألةِ كأنهُ واقفٌ بين الجنةِ والنَّارِ .

وقال بعضُ العلماءِ لبعضِ المُفتينَ : إذا سُئلتَ عن مَسألةٍ فلا يَكُنْ همُّكَ تخليصَ السائلِ ، ولكن تخليصَ نفسكَ أوَّلًا .

وقال لِآخرَ : إذَا سُئلتَ عن مسألةٍ فتفكَّرْ ؛ فإن وجدتَ لنفسك مخرجًا فتكلَّم وإلا فاسكُتْ .

وكلامُ السلفِ في هذا المعنى كثيرٌ جدًّا يطولُ ذكرُه واستِقْصاؤهُ .

[ق٧/أ] / ومِنَ هذا البابِ أيضًا كراهةُ الدُّخولِ على المُلوكِ والدُّنُوِّ منهُمْ ، وهُوَ البَابُ الذي يدخُلُ منهُ عُلماءُ الدُّنيا إلى نيلِ الشرفِ والرياساتِ فيها .

وخرج الإمام أحمدُ(١) ، وأبو داود(٢) ، والترمذيُّ(٣) ، والنسائي(٤) من حديث ابن عباس ، عن النبيِّ ﷺ قال : « **مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلَاطِينِ افْتُتِنَ** » .

وخرج أحمد(٥) ، وأبو داود(٦) نحوه من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ وفي حديثه : « **وَمَا ازْدَادَ أَحَدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا** » .

وخرج ابن ماجه(٧) من حديث ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَقُولُونَ : نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا** » .

---

(١) (٣٥٧/١) .

(٢) برقم (٢٨٥٩) .

(٣) برقم (٢٢٥٦) . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري

(٤) برقم (٤٣٢٠) .

(٥) (٣٧١/٢ ، ٤٤٠) .

(٦) برقم (٢٨٦٠) .

(٧) برقم (٢٥٥) . قال في « الزوائد » : إسناده ضعيف ، وعبيد الله بن أبي بردة لا يعرف .

وخرجه الطبراني(١) ولفظُه : «إنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ يَأْتِيهِمُ الشَّيْطَانُ يَقُولُ : لَوْ أَتَيْتُمُ الْمُلُوكَ فَأَصَبْتُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَاعْتَزَلْتُمُوهُمْ بِدِينِكُمْ ، أَلَا وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا» .

وخرَّجَ الترمذيُّ(٢) من حديث أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال : «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ . قَالُوا : وَمَا جُبُّ الْحَزَنِ ؟! قال : وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ يَدْخُلُهُ ؟ قَالَ : الْقُرَّاءُ الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ» .

وخَرَّجَ ابن ماجه(٣) نحوه ، وزاد فيه : «وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ الْجَوَرَةَ» .

ويُروى من حديث علي(٤) ، عن النبي ﷺ نحوُه .

ومِنْ أعظمِ ما يُخشى عَلى من يَدخلُ على الملُوكِ الظلمة أن يُصدِّقَهم بكَذِبهم ، ويُعينَهُم على ظُلمهم ولو بالسكوتِ عن الإنكارِ عليهم ، فإنَّ من يُريدُ بدُخولِهِ عليهم الشَّرفَ والرِّياسةَ - وهو حريصٌ عليهم - لَا يقدمُ على الإنكارِ عليهم ؛ بل رُبَّما حَسَّنَ لهم بعضَ أفعالهم القبيحة تقربًا إليهم لِيحسُنَ موقعُهُ عندهُم ، ويُساعدُوه على غرَضِهِ .

وقد خَرَّج الإمامُ أحمدُ(٥) ، والترمذيُّ(٦) ، والنسائي(٧) ، وابن حبانَ في «صحيحه»(٨) من حديثِ كعبِ بن عُجرةَ ، عن النبي ﷺ قال : «سيكونُ

---

(١) في «الأوسط» (٨٢٣٦) . قال الطبراني : لا يروى هذا الحديث عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد ، تفرد به هشام بن عمار .

(٢) في «الجامع» (٢٣٨٣) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٣) في «السنن» (٢٥٦) .

(٤) أخرجه العقيلي (٢/٢٤١-٢٤٢) ، وابن عدي (١٣٩/٤) . وفي إسناده «أبي بكر الداهري» قال عنه العقيلي حدث بأحاديث لا أصل لها ويحيل على الثقات ، وذكر العقيلي هذا الحديث منها . وقال ابن عدي عن هذا الحديث : باطل .

(٥) في «المسند» (٢٤٣/٤) .

(٦) في «الجامع» (٢٢٥٩) . قال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه من حديث مسعر إلا من هذا الوجه .

(٧) في «السنن الصغرى» (٤٢٠٧) . (٨) كما في «الإحسان» (٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥) .

بعدي أُمراءُ ؛ فمن دخلَ عليهمْ فصدَّقَهُم بكَذِبِهِم وأَعانَهُم على ظُلمهم فليس مني ولستُ منهُ / وليس بواردٍ عليَّ الحوضَ ، ومن لم يدخُلْ عليهِمْ ولم يُعِنْهُم على ظلمهم ولم يُصدِّقْهُمْ بِكَذِبهم فهو منِّي وأنا منهُ ، وهو واردٌ عليّ الحوضَ ». [ق٧/ب]

وخرج الإمامُ أحمدُ[1] معنى هذا الحديث من حديث حذيفةَ ، وابن عُمرَ ، وخبَّابِ بنِ الأرتِّ ، وأبي سعيد الخُدريِّ ، والنُّعمانِ بنِ بشيرٍ - رضي الله عنهم .

وقد كان كثير من السلفِ ينهونَ عن الدخولِ على الملوكِ لمن أراد أمرهُم بالمعروفِ ونَهيهُم عن المنكر أيضًا .

ومِمَّن نهى عن ذلك : عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ وابنُ المباركِ والثَّوريُّ وغيرُهم من الأئمةِ .

وقال ابنُ المُباركِ : ليسَ الآمرُ الناهي عندَنا من دَخلَ عليهم فأمرهُم ونهاهُم ، إنما الآمرُ الناهي من اعتزلَهُم .

وسببُ هذا ما يُخشَى من فتنةِ الدخولِ عليهم ؛ فإنَّ النَّفسَ قد تُخيِّلُ للإنسانِ إذا كانَ بعيدًا عنهُم أنهُ يأمرُهم وينهاهُم ويغلِّظُ عليهِم ، فإذا شاهدَهُم قريبًا مالتِ النَّفسُ إليهم ؛ لأنَّ محبةَ الشرفِ كامنة في النفسِ ، (والنفسُ تحسِّنُ له ذلكَ و)(*) مداهنتهم وملاطفتهم ، وربما مالَ إليهم وأحبَّهُم ، ولا سيما إن لاطفُوهُ وأكرموهُ وقبِل ذلكَ منهم ، وقد جرى ذلك (لابن طاوسٍ)(**) مع بعضِ الأُمراءِ بحضرةِ أبيهِ طَاوسٍ فوبَّخَهُ طاوسٌ على فعلهِ ذلكَ .

وكتبَ سُفيانُ الثوريُّ إلى عبَّادِ بن عبَّادٍ ، وكانَ في كتابِهِ :

« إيَّاكَ وَالأُمراءَ أن تدنُوَ منهم أو تُخالطهم في شيءٍ من الأشياءِ ، وإياكَ أن تُخدَعَ ويقالُ لك : لتشفعَ وتدرأَ عن مظلومٍ أو تردَّ مظلمةً ؛ فإن ذلك خديعة

---

(١) في « المسند » (٢/٩٥) ، (٣/٢٤ ، ٩٢) ، (٤/٢٦٧-٢٦٨) ، (٥/١١١، ٣٨٤) ، (٦/٣٩٥) .

(*) لمحبة النفس له ، ولذلك : « نسخة » .

(**) لعبد الله بن طاوس : « نسخة » .

إبليسَ ، وإنما اتَّخذها فُجّارُ القُرّاءِ سُلمًا ، وما كُفيتَ من المسألةِ والفُتيا فاغتنم ذلك ولا تُنافسهم ، وإياكَ أن تكونَ كمن يُحبُّ أن يُعملَ بقولهِ أو يُنشر قولهُ أو يُسمع قولُهُ ، فإذا تُرِكَ ذلك منه عُرِفَ فيه ، وإياك وحُبَّ الرئاسة ، فإنَّ الرجلَ يكونُ حُبُّ الرئاسةِ أحبَّ إليه من الذهب والفضَّةِ ، وهو بابٌ غامضٌ لا يُبصرُهُ إلَّا البصيرُ من العُلماءِ السَّماسرةِ ، فتفقَّد بقلبٍ واعمل بنيَّةٍ ، واعلم أنَّه قد دنا من النَّاسِ أمرٌ يشتهي الرجلُ أن يموتَ ، والسلامُ » .

ومن هذا البابِ أيضًا كراهةُ أن يُشهِرَ الإنسانُ نفسهُ للناسِ بالعلم والزهدِ والدِّينِ ، أو بإظهارِ الأعمالِ والأقوالِ والكراماتِ ليزار وتُلتمَسَ بركتُهُ ودُعاؤُه ، وتقبيل يدُهُ وهُو مُحبٌّ لذلكَ ويُقيمُ عليهِ ويفرحُ به أو يَسعى في أسبابهِ .

/ ومن هنا كانَ السلفُ الصالحُ يكرهونَ الشُّهرةَ غايةَ الكَراهةِ ، منهُم : أيوبُ والنخعيُّ وسفيانُ وأحمدُ وغيرُهم من العلماءِ الربَّانيينَ ، وكذلك الفُضَيلُ وداود الطَّائيُّ وغيرُهما من الزُّهَّادِ والعارفينَ ، وكانوا يذُمُّونَ أنفسهُم غايةَ الذمِّ ويسترون أعمالهُم غايةَ السَّترِ . [ق٨/أ]

دخلَ رجلٌ على داودَ الطائيِّ فسألهُ ما جاء به ؟ فقال : (جئت)(*) أزورك . فقال : أمَّا أنتَ فقد أصبتَ خيرًا حيثُ زُرتَ في اللّه ، ولكن أنا أنظرُ ماذا لقيتُ غدًا إذا قيل لي : من أنتَ حتَّى تُزارَ ؟ من الزُّهَّادِ أنتَ ؟ لَا واللّه . من العُبَّادِ أنتَ ؟ لَا واللّه . من الصالحينَ أنت ؟ لَا واللّه ... وَعدَّدَ خصالَ الخيرِ على هذا الوجهِ ، ثُمَّ جعَل يُوبِّخُ نفسه ، فيقول : يا داودُ ! كنتَ في الشَّبيبةِ فاسقًا ، فلمَّا شِبتَ صِرتَ مُرائيًا ، والمُرائي أشرُّ من الفَاسقِ .

وكان محمدُ بنُ واسعٍ يقولُ : لو أنَّ للذنوبِ رائحةً ما استطاعَ أحدٌ أن يُجالِسَني .

وكان إبراهيمُ النَّخعيُّ إذا دخلَ عليهِ أحدٌ وهو يقرأُ في المصحفِ غطَّاهُ .

(*) أحب أن : « نسخة » .

وكانَ أُويسٌ وغيرُه من الزُّهَّادِ إذا عُرِفوا في مكَانٍ ارتحلُوا عنهُ.

وكان كثيرٌ منَ السلفِ يَكرهُ أن يُطلَبَ منهُ الدُّعاءُ، ويقولُ لمن يسألُهُ الدُّعاء: أَمِنِّي أنا؟!

ومِمَّنْ رُوِيَ عنهُ ذلكَ عمرُ بنُ الخطابِ وحذيفةُ بن اليمان رضي الله عنهما، وكذلكَ مالكُ بنُ دينارٍ.

وكان النخعيُّ يكرهُ أن يُسألَ الدُّعاء.

وكتبَ رجلٌ إلى أحمدَ يسألُهُ الدعاءَ فقال أحمدُ: إذا دعونا نحنُ لهذا، فمن يدعُو لَنا؟!

وَوُصفَ بعضُ الصالحينَ واجتهادُهُ في العبادةِ لبعضِ المُلوكِ فَعزمَ على زيارتهِ، فبلغَهُ ذلكَ فجلسَ على قَارِعةِ الطريقِ يأكُلُ، فَوافَاهُ الملكُ وهُو على تِلكَ الحالةِ، فَسلَّمَ عليهِ، فَردَّ عليهِ السلامَ، وجعل يأكُلُ أكلًا كثيرًا ولا يَلتفتُ إلى الملكِ، فقال الملكُ: ما في هذا خيرٌ، ورَجعَ. فقال الرجلُ: الحمدُ للهِ الذي رَدَّ هذا عَنِّي وهو لائمٌ.

وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا.

وها هنا نُكتةٌ دقيقة، وهي أن الإنسانَ قد يذُمُّ نفسهُ بين الناسِ يُريدُ بذلكَ أن يُرِيَ أنه مُتواضعٌ عندَ نفسهِ، فيرتفعُ بذلكَ عندَهُم ويمدحُونَهُ بهِ، وهذا من دَقائقِ أبوابِ الرِّياءِ وقد نَبَّه عليهِ السلفُ الصالحُ.

قال مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله بن الشِّخِّير: كَفى بالنفسِ إطراءً أَن تَذُمَّها على الملأ، كأنكَ تُريدُ بذمِّها زينتَها، وذلكَ عند الله سَفَهٌ.

* * *

فصل

وقد تبينَ بما ذكرنا أن حبَّ المال والرياسةِ / والحرصِ عليهما يُفسدُ دينَ المرءِ [ق٨/ب]
حتى لا يبقى منهُ إلا ما شاءَ اللَّه ، كما أخبرَ بذلك النبي ﷺ .

وأصلُ محبةِ المال والشرفِ : من حُب الدنيا ، وأصل حُبِّ الدنيا اتِّباعُ الهوى .

قال وهبُ بنُ مُنبِّه : من اتّباع الهوى الرغبةُ في الدنيا ، ومن الرغبةِ فيها حُبُّ المالِ والشرفِ ، ومِن حُبِّ المالِ والشرفِ استحلالُ المحارمِ .

وهذا كلامٌ حَسَنٌ ؛ فإنه إنما عُتِبَ على صاحبِ المالِ والشرفِ الرغبةَ في الدنيا ، وإنما تَحصُلُ الرغبةُ في الدنيا من اتّباع الهَوى ؛ لأَنَّ الهوى دَاعٍ إلى الرغبةِ في الدنيا وحُبِّ المالِ والشرفِ فيها ، والتقوى تمنعُ من اتِّباعِ الهوى وتردعُ عن حُبِّ الدنيا .

قال اللَّه تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(١) .

وقد وَصفَ اللَّه تعالى أهلَ النارِ بالمالِ والسلطانِ في مَوَاضِعَ مِن كِتابِهِ ، فقال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾(٢) .

واعلمْ أَنَّ النَّفْسَ تُحِبُّ الرِّفْعَةَ والعُلوَّ على أبناءِ جنسِهَا ، وَمن هُنا نشأَ الكِبرُ والحسدُ ، ولكن العاقلَ يُنافسُ فِي العُلوِّ الدائم الباقي الذي فيهِ رضوانُ اللَّه وقُربُهُ وجِوارُهُ ، ويَرغَبُ عن العُلوِّ الفاني الزَّائلِ ، الذي يعقُبُهُ غَضبُ اللَّه وَسخطُه ، وانحطاطُ العبدِ وسُفُولُه وبعدُهُ عَن اللَّه وطردُهُ عنه ، فهذا العُلوُّ الفاني الذي يُذَمُّ ، وهو العتوُّ والتكبرُ في الأرض بغيرِ الحقِّ .

---

(١) النازعات : ٣٧ - ٤١ .

(٢) الحاقة : ٢٥ - ٢٩ .

وأما العُلوُّ الأوَّلُ والحرصُ عليه فهو محمودٌ .

قال اللّه تعالى : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[1] .

وقال الحسن : إِذَا رأيتَ الرّجلَ يُنافسكَ في الدنيا فنافِسْهُ في الآخرةِ .

وقال وُهَيبُ بنُ الوَرْدِ : إن استطعتَ أن لا يسبقَكَ إلى اللّه أحدٌ فافعلْ .

وقالَ محمدُ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ العابدُ : لو أنَّ رجلًا سَمِعَ برجلٍ أو عَرفَ رجلًا أطوعَ للّه منهُ فانصدعَ قلبُهُ لم يكن ذلكَ بِعجبٍ .

وقال رجلٌ لمالكِ بن دينارٍ : رأيتُ في المنام مناديًا يُنادي : أيها الناسُ ، الرحيلَ ، الرحيلَ ، فما رأيتُ أحدًا ارتحل إلا محمدُ بنُ واسعٍ ، فصاحَ مالكٌ وغُشِيَ عليهِ .

ففي درجاتِ الآخرةِ الباقيةِ يَشرعُ التنافسُ وطلبُ العُلوِّ في منازِلِها ، والحرصُ على ذلكَ بالسعي في أسبابِهِ ، وأن لا يقنعَ الإنسانُ منها بالدُّونِ / مَعَ قُدرتِهِ [ق٩٥/أ] على العُلوِّ .

وأما العلوُّ الفاني المُنقطعُ الذي يعقب صاحبَهُ غدًا حسرةً وندامةً وذِلَّةً وهَوانًا وصغارًا ، فهو الذي يشرعُ الزهدُ فيه والإعراضُ عنهُ .

وللزهدِ فيه أسبابٌ عديدةٌ :

فمنها : نظرُ العبدِ إلى سُوءِ عاقبةِ الشرفِ في الدنيا بالولايةِ والإمارةِ لمن لا يُؤدِّي حقَّها في الآخرةِ ، ومنها : نظر العبد إلى عُقوبةِ الظَّالمينَ والمكذبين ، ومن يُنازِعُ اللّه رِداءَ الكبرياءِ .

وفي «السُّنن» عن النبي ﷺ قال : «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ : بُولَسُ ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ : طِينَةَ الخَبَالِ**» .

---

(١) المطففين : ٢٦ .

وخرجه الترمذيُّ[١] وغيرُه[٢] من حديثِ عمرِو بنِ شُعَيبٍ، عن أبيهِ، عن جدِّه، عن النبيِّ ﷺ.

وفي روايةٍ لغيرِه منْ وَجهٍ آخَرَ في هذا الحديث: «يطؤهم الناس بأقدامهم».

وفي رواية أخرى من وجه آخر: «يَطَؤُهُم الجِنُّ وَالإِنْسن وَالدَّوَابُّ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّه بَيْنَ عِبَادِهِ».

واستأذنَ رَجلٌ عُمرَ - رضي اللَّه عنه - في القَصصِ على الناس فقال له: إنِي أَخافُ أن تَقُصَّ عليهم فترتفع عَليهِم في نَفسِكَ حَتَّى يَضَعَكَ اللَّه تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ يَومَ القيامةِ.

ومِنها: نَظرُ العبدِ إلى ثَوابِ المُتواضعينَ للَّه في الدُّنيا بالرِّفعةِ في الآخرةِ؛ فإنه من تواضعَ للَّه رفَعَهُ.

ومنها - وَلَيس هُو في قُدرَةِ العبدِ، ولكنَّهُ من فضلِ اللَّه ورَحمتِهِ -: مَا يُعوِّضُ اللَّه عِبادةُ العارفين به، الزاهدينَ فيمَا يفنى مِنَ المالِ والشرفِ، ممَّا يُعجِّلُهُ اللَّه لهم في الدنيا مِن شرفِ التَّقوى وهيبةِ الخلقِ لهم في الظَّاهرِ، ومن حلاوةِ المعرفةِ والإيمانِ والطَّاعةِ في الباطنِ.

وهي الحياةُ الطيِّبةُ التي وعدهَا اللَّه لمن عَمِلَ صالحًا من ذكرٍ أو أُنثى وهُو مُؤمنٌ، وهذهِ الحياةُ الطيبةُ لم يذُقها الملوكُ في الدنيا ولا أَهلُ الرئاساتِ والحرصِ على الشرفِ، كما قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ.

لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ فيه لجالدونا عليهِ بالسيوفِ.

ومن رزقَهُ اللَّه ذلكَ اشتغلَ به عن طلبِ الشرفِ الزائلِ والرئاسةِ الفانيةِ.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٣].

---

(١) في «الجامع» (٢٤٩٢). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وانظر تخريج هذا الحديث في كتابي «أهوال النار» باب «سجن النار».

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٩/٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٨٨٠٠).

(٣) الأعراف: ٢٦.

وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[1].

وفي بعض الآثار: يقول اللَّه عزَّ وجلَّ: «أَنَا العَزِيزُ؛ فمن أَرادَ العزَّ فليُطِعِ العَزِيزَ، وَمَن أَرادَ عزَّ الدُّنيا وَالآخِرةِ وشرفهما فَعليهِ بالتَّقْوَى».

وكان حجاج بن أرطاةَ / يقولُ: قَتلني حُبُّ الشرفِ. فقالَ لهُ سَوَّارٌ: لَوِ اتقيتَ اللَّه شَرفتَ. [ق٩/ب]

وفي هذا المعنى يقول القائل شعرًا:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمْ
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَم
وَلَيسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ
إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَو حَجَم

وقال صالحٌ الباجيُّ: الطاعةُ إمرةٌ والمُطِيعُ للَّه أميرٌ مُؤَمَّرٌ على الأُمراءِ، أَلا تَرَى هَيبتَهُ في صُدورِهِم، إن قَالَ قَبِلُوا، وإِنْ أَمر أَطاعُوا، ثم يَقولُ: يَحِقُّ لمن أَحسنَ خِدمتَكَ وَمننتَ عليهِ بمحَبَّتِكَ أن تُذَلِّلَ له الجبابرةَ حتَّى يَهابوهُ لهيبتِهِ في صُدورهم من هيبتِكَ في قلبِهِ، وكُلُّ الخيرِ من عندكَ بأوليائكَ.

وقال بعضُ السلفِ الصالح: مَنْ أَسعدُ بالطاعةِ مِنْ مُطيعٍ؟ أَلَا وَكُلُّ الخيرِ في الطاعةِ، أَلَا وإِنَّ المُطيعَ للَّه مَلِكٌ في الدنيا والآخرةِ.

وقال ذو النون: مَن أكرمُ وأعزُّ مِمَّن انقطعَ إلى مَنْ مَلكَ الأَشياءَ بيدِهِ؟

دَخلَ محمدُ بنُ سُليمانَ أَميرُ البصرةِ على حمادِ بنِ سلمةَ وقعدَ بين يديهِ يسأَلُهُ فقال له: يا أَبا سلمة، مَا لي كلما نظرتُ إليكَ ارتعدتُ فرقًا منكَ؟ قال: لأَنَّ العالِمَ إِذَا أَرادَ بعلمه وجهَ اللَّه خافَهُ كلُّ شيءٍ، وإنْ أَرادَ أن يُكثِّرَ بهِ الكُنوزَ خافَ مِن كلِّ شيءٍ.

(١) فاطر: ١٠.

ومن هذا قولُ بعضهم: على قَدرِ هيبتكَ للّه يخافُكَ الخلقُ، وعلى قدرِ محبّتِكَ للّه يُحبُّكَ الخلقُ، وعلَى قدرِ اشتغالِكَ باللّه تَشتغلُ الخلقُ بأَشغالِكَ.

وكانَ عمرُ بن الخطابِ - رضي اللّه عنه - يَومًا يمشي وَوراءَهُ قومٌ من كبارِ المهاجرين، فالتفتَ فرآهم فخَروا على رُكبهم هيبةً لهُ، فبكى عمرُ وقال: اللّهمّ إنك تعلمُ أني أخوفُ لك منهُم؛ فاغفر لي.

وكان العُمَريُّ الزاهد قد خرجَ إلى الكوفةِ إلى الرشيدِ ليعظَهُ وينهاه؛ فوقعَ الرعبُ في عسكرِ الرشيدِ لما سَمِعوا بنزوله، حتى لو نَزلَ بهم عدوٌّ مِائةُ ألفِ نفسٍ لما زادُوا على ذلك.

وكان الحسنُ لَا يستطيعُ أحدٌ أن يسألَهُ هيبةً له، وكان خواصُّ أصحابِهِ يجتمعونَ ويطلبُ بعضُهم مِن بَعضٍ أن يسألوه عن المسألةِ، فإذا حَضروا مَجلسَهُ لم يَجسرُوا على سؤالِهِ، حتى رُبما مكثُوا على ذلك سَنةً كاملةً هَيبةً له.

وكَذلك كانَ مالكُ بنُ أنسٍ يُهابُ أن يُسأَلَ، حتى قالَ فيهِ القائلُ شعرًا:

يَدَعُ الـجَوَابَ وَلَا يُراجَـعُ هَيْبَةً
والـسَّـائِـلُـونَ نَـوَاكِـسُ الأَذْقَـانِ
نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى
فَهُوَ الـمَهِيـبُ وَلَيْسَ ذا سُلْطَانِ

وكان يزيد العُقيليُّ يقول: من أرادَ بعلمه وجهَ اللّه تعالى أقبلَ اللّه عليهِ بوَجهِهِ وأقبلَ بقلوبِ العبادِ عليه، ومن عملَ لغيرِ اللّه صرفَ اللّه وجهَهُ عنهُ وصرفَ قلوبَ العبادِ عنه.

وقال محمدُ بنُ واسعٍ: إذَا أقبلَ العبدُ بقلبِهِ على اللّه أقبلَ اللّه عليهِ بقلوبِ المؤمنينَ.

[ق١٠٠/أ] / وقَالَ أبو يزيدَ البَسْطَامِيُّ : طَلَّقْتُ الدنيا ثلاثًا بتاتًا ، لا رجعةَ لِي فيها ، وصرتُ إلى ربي وحدي ، ونَادَيتُهُ بالاستعانةِ : إلهي ، أدعُوكَ دُعاءَ من لم يَبْقَ لَهُ غيرُكَ . فلما عَرفَ صِدقَ الدُّعاءِ من قلبي واليأسَ مِن نَفسي كَانَ أوَّلُ ما وردَ عليَّ من إجابةِ هذا الدُّعاءِ أن أنساني نَفسي بالكُلية ، ونَصبَ الخَلَائقَ بين يدي مع إعراضي عنهم .

وكَانَ يُزارُ مِن البُلدانِ ، فلما رأَى ازدحامَ الناسِ عليهِ قال :

وَلَـيْتَنِي صِـرْتُ شَـيْـئًـا ... مِـنْ غَـيْـرِ شَـيْءٍ (أَغْـد)(*)
أَصْـبَـحْـتُ لـلْـكُـلِ مَـوْلَـى ... لِأَنَّـنِـي لَـكَ (عَـبْـد)(*)
وَفِـي الْـفُـؤَادِ أُمُـورٌ ... مَـا تُـسْـتَـطَـاعُ تُـعَـد
لَـكِـنْ كِـتْـمَـانُ حَـالِـي ... أَحَـقُّ بِـي (وَأَشَـد)(*)

كَتبَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ إلى مَكحولٍ : أَمَّا بعدُ ، فإنكَ أصبتَ بظاهرِ علمكَ عندَ الناسِ شَرفًا ومنزلةً ، فاطلُبْ بباطنِ علمكَ عندَ اللَّه منزلةً وزُلْفى ، واعلمْ أنَّ إحدَى المنزلَتينِ تمنعُ من الأخرى .

ومعنى هَذا أَنَّ العلمَ الظاهرَ من تعلُّم الشَّرائعِ والأحكامِ ، والفَتاوى والقَصصِ والوَعظِ ونحوِ ذلك مما يظهرُ للناسِ يَحصلُ بهِ لصاحبهِ عندَهُم منزلةٌ وشرفٌ ، والعلمُ الباطنُ المودَعُ في القلوبِ من معرفةِ اللَّه وخشيتِهِ ، ومحبتِهِ ومُراقبتِهِ ، والأنسِ بهِ والشوقِ إلى لقائِهِ ، والتوكلِ عليهِ والرِّضى بقضائِهِ ، والإعراضِ عن عَرَضِ الدنيا الفاني ، والإقبالِ على جَوهرِ الآخرةِ الباقي ، كلُّ هذا يوجبُ لصاحبهِ عندَ اللَّه منزلةً وزُلْفَى ، وإحدَى المنزلتينِ تمنعُ من الأُخرى .

فمن وقفَ مع منزلتِهِ عندَ الخلقِ ، واشتغلَ بما حَصلَ لهُ عندَهم بعلمِ الظاهرِ من شَرفِ الدنيا ، وكَانَ همّهُ حِفظَ هذهِ المنزلةِ عندَ الخلقِ وملازمتَها وتربيتها

---

(١) من «أ» وفي باقي النسخ الثلاث الأخرى بزيادة الألف بعد الدال .

والخوفَ من زَوَالِها كانَ ذلكَ حظَّهُ من اللَّه وانقطَعَ به عنهُ ، فهو كما قالَ بعضُهم : ويلٌ لِمَن كانَ حَظُّهُ مِن اللَّه الدنيا .

وكان السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ يعجب مما يَرى من علمِ الجُنَيدِ وحُسنِ خطابِهِ وسُرعةِ جَوابِهِ فقالَ لَه يومًا - وقَد سألَهُ عن مَسألةٍ فَأجابَ وأصابَ - : أَخشَى أن يكونَ حظُّكَ من الدنيا لسانك . فكانَ الجُنيدُ لَا يزالُ يَبكي من هذهِ الكلمةِ .

ومَن اشتغلَ بتَربيةِ منزلتِهِ عندَ اللَّه بما ذكرنا من العلمِ الباطنِ وَصلَ إلى اللَّه ، فاشتغلَ بِهِ عمَّا سواهُ ، وكانَ لهُ في ذلكَ شُغُلٌ عن طلبِ المنزلةِ عندَ الخلقِ ، ومع هذا ، فإنَّ اللَّه يُعطيهِ المنزلةَ في قُلوبِ الخلقِ والشرفَ عندَهم ، وإن كان لا يريدُ ذلك ولا يَقِفُ معهُ ؛ بل يَهرُبُ منهُ أَشدَّ الهربِ ويفِرُّ أَشدَّ الفِرَارِ ؛ خشيةَ أن يقطعَهُ الخلقُ عن الحقِّ جلَّ جَلالُهُ .

قال اللَّه تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[1] .

أي : في قلوبِ عِبادِهِ .

وفي حديثٍ : « **إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى : يَا جِبْرِيلُ ، إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا . فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ** » .

والحديثُ مَعروفٌ ، وهُو مُخرّجٌ في « الصحيح »[2] .

/ وبكُلِّ حالٍ ؛ فطلبُ شرف الآخرةِ يَحصلُ معه شرف الدنيا ، وإن لم يُرِدْهُ [ق١٠/ب] صاحبُهُ ولم يطلُبهُ ، وطلبُ شرف الدُّنيا يمنع شَرفَ الآخرةِ ولا يَجتمعُ معهُ ، والسعيدُ من آثرَ الباقي على الفاني ، كما في حديثِ أبي موسى ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى** » .

---

(١) مريم : ٩٦ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) .

خرجهِ الإمام أحمد[١] وغيره[٢].

وما أَحسنَ ما قال أبو الفتح البُستيُّ:

أَمْرَانِ مُفْتَرِقَانِ لَسْتَ تَرَاهُمَا
يَتَشَوَّقَانِ لِخلْطَة وَتَلَاقِي
طَلَبُ المَعَادِ مَعَ الرِّيَاسَةِ وَالعُلَى
فَدَعِ الَّذِي يَفْنَى لِمَا هُوَ بَاقِي

تم الكلام على شرح الحديث، والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

---

(١) في «المسند» (٤/٤١٢).

(٢) أخرجه أيضًا عبد بن حميد في «مسنده» (٥٦٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤١٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٣٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبير» (٣/٣٧٠). وصححه الحاكم.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الوحدة	الصفحة
مقدمة المجموع	٣
القرآن (معاني كلمات القرآن)	٤
العقيدة	٣٩
الحديث النبوي الشريف	١٥٠
السيرة النبوية	١٥٤
الأصول العلمية	١٦٠
الرقاق	٢٤١